



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية وآدابها
قسم الدراسات العليا العربية

تصوير النفس في شعر المتنبي

إعداد الطالب

عبدہ حسین مبروک البرکاتی

الرقم الجامعي ٤٢٣٨٠١٦٢

إشراف الأستاذ الدكتور

مصطفى عبد الواحد

بحث مكمل لنيل درجة الماجستير في الأدب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء

إلى أمي المحببة وأبي الغالي

إلى نزوجتي العزيزة

إلى فلذات قلبي أبنائي : مهند ، علي ، معتز

إلى إخوتي وأخواتي وأقاربي جميعاً

أهدي لهم جميعاً هذا الجهد سائلاً المولى أن يوفقنا لما يحب ويرضى

شكر وتقدير

اللهم لك الحمد على واسع فضلك وجزيل عطائك
يسرني أن أتوجه بجزيل الشكر وبالغ العرفان إلى والدي ومشرقي الأستاذ
مصطفى عبد الواحد الذي عبّد لي طريق البحث الوعر وكانت توجيهاته الخبيرة معينة
لي على السير قدماً في هذا العمل
والشكر موصول لأحد أكبر صروح العلم في مملكتي الحبيبة جامعة أم القرى
ممثلة في قسم الدراسات العليا العربية ولرئيسها الفذ الدكتور صالح الزهراني ولكل
أساتذتها الفضلاء الذين أحاطوني بالرعاية والتوجيه
ثم الشكر موصول لزملائي الأفاضل عبد العزيز محمد القرمطي
وعبد العزيز علي البركاتي ومحمد عبد العزيز البركاتي على مساندي في تسهيل
بعض أعمال هذا البحث فلهم مني جميعاً صادق الدعاء

الباحث

ملخص الرسالة

اسم الباحث عبده حسين مبروك البركاتي

عنوان الدراسة : تصوير النفس في شعر المتبني

الباب الأول : الجوانب الموضوعية في تصوير المتبني للنفس الإنسانية

وقد توزعت الدراسة على ثمانية فصول على النحو التالي

الفصل الأول جمعت أبيات المتبني التي استخدم فيها لفظ النفس وتعرضت لها بالشرح الموجز

الفصل الثاني وفيه تحدثت عن تصوير المتبني لآماله وآلامه ومعاناته في معاملة من لا يوافقون

طبعه

الفصل الثالث وتحدثت فيه عن الكمالات النفسية التي عني المتبني بإبرازها وخاصة

الشجاعة والكرم والوفاء

الفصل الرابع وفيه تحدثت عن الجوانب النفسية الرائعة التي أبرزها المتبني في مديحه لسيف

الدولة الحمداني

الفصل الخامس وتحدثت فيه عن الجوانب النفسية الوضيعة التي أبرزها في هجاء لكافور

الأخشيدي وغيره

الفصل السادس تعرضت فيه لتصوير المتبني لتقلب الطباع واختلاف العواطف

الفصل السابع تعرضت فيه لتصوير المتبني لعاطفة الحب ونظرته إلى المرأة

الفصل الثامن وفيه تحدثت عن أسباب نجاح المتبني في تصوير النفس الإنسانية

الباب الثاني : الجوانب الفنية في تصوير المتبني للنفس الإنسانية

وقد توزعت على ستة فصول

الفصل الأول جانب التقرير في حديث المتبني عن النفس الإنسانية

الفصل الثاني وفيه تحدثت عن التشبيه في تصوير المتبني للنفس الإنسانية

الفصل الثالث وتناولت فيه استخدامه للكناية والاستعارة في حديثه عن النفس الإنسانية

الفصل الرابع وتناولت فيه استخدام المتبني للمجاز بأنواعه في حديثه عن النفس الإنسانية

الفصل الخامس وتعرضت فيه لطريقة المتبني في التعريض والاستهزاء

الفصل السادس آراء النقاد والدارسين حول قدرة المتبني على تصوير النفس الإنسانية

قائمة المحتويات

الصفحة	الموضوع
ت	الإهداء
ث	شكر وتقدير
ج	ملخص الرسالة
١	المقدمة
٣	الدراسات السابقة
٦	خطة البحث
الباب الأول الجوانب الموضوعية في تصوير المتنبي للنفس الإنسانية	
الفصل الأول : ترديد المتنبي للفظ " النفس " في شعره	
١٠	أولاً : ما قصد به ممدوحيه ومن هجاهم
٢٣	ثانياً : ما قصد به نفسه
٢٩	ثالثاً : ما أورده في أبيات الحكمة
الفصل الثاني : تصوير المتنبي لآلامه وآماله ومعاناته في معاملة من لا يوافقون طبيعه	
٣٩	القسم الأول حديثه عن آلامه وآلامه في صباه
٤١	القسم الثاني حديثه عن آلامه وآلامه في فترة ما بعد الصبا
٤٢	القسم الثالث حديثه عن آلامه من آخر عهده بكافور حتى وفاته
الفصل الثالث: الكمالات النفسية التي عني بها المتنبي بإبرازها (الشجاعة - الكرم - الوفاء)	
٤٧	الشجاعة
٥٣	الأدلة على شجاعة المتنبي
٥٧	الحديث عن وفاء المتنبي
الفصل الرابع : الجوانب النفسية الرائعة التي أبرزها في مديحه لسيف الدولة	
٦١	أسباب إعجاب المتنبي بسيف الدولة
٦٢	صور إعجاب المتنبي بسيف الدولة
٦٦	أولاً : ارتمائه بكل ما يملك إلى سيف الدولة
٦٧	ثانياً : توحد المتنبي مع ممدوحه سيف الدولة

الصفحة	الموضوع
٦٩	ثالثاً : انتشار لغة الحب ومخاطبة سيف الدولة بمخاطبة المحبوب
٧١	رابعاً : توسيع دائرة المدح
٧٢	خامساً : إعجاب المتتبي بأقارب سيف الدولة كافة وأخته وقومه ووالدته وولده
الفصل الخامس : الجوانب النفسية للوضيعة التي أبرزها في هجاء لكافور وغيره	
٧٥	أسباب هجائه لكافور
٧٥	أولاً : عطايا كافور دون آمال المتتبي
٧٦	ثانياً : وعد كافور ثم مطله حيث أيأسه بعد انتظار
٧٧	ثالثاً : الفجوة النفسية التي حصلت للمتتبي بعد فراقه لسيف الدولة
٧٨	رابعاً : شماتة حساد المتتبي لعدم نياله الملك من عطاء كافور
٧٨	خامساً : ما قرّ في نفس المتتبي من حسد كافور له
٧٨	سادساً : منع كافور المتتبي من الرحيل عن مصر
٧٩	الهجاء الفاحش المقذع
٨٢	هجاء الخالي من الفحش
٨٣	الحكمة في قصائد الهجاء
٨٧	الفصل السادس : تصويره لتقلب الطباع واختلاف العواطف
٩١	الفصل السابع : تصويره لعاطفة الحب ونظرته إلى المرأة
٩١	هل أحب المتتبي ؟
٩٦	الرد على قول الأستاذ محمود شاكر
٩٧	حديث المتتبي عن الجمال الحسي
١٠٢	الحب العفيف الممنع
١٠٤	حب المتتبي للبدو ونسيبه بالأعرابيات
١٠٥	تصوير المتتبي مواقف الوداع والفراق وأطلال الأحبة
١٠٩	تصوير المتتبي للهجر والسهد والطيغ وعدم إصغائه إلى العدل واللوم

الصفحة	الموضوع
١١٥	ملاحظات على شعر الحب عند المتنبي
	الفصل الثامن : أسباب نجاح المتنبي في تصوير النفس
١١٨	(١) ثقافته الواسعة وتجاريه
١٢٥	(٢) رحلاته
١٢٦	(٣) المجالس الأدبية
١٢٧	(٤) ذكاؤه الشديد وطبيعته الشاعرة
١٢٨	(٥) صدقه واعتداده بنفسه
١٢٩	(٦) ارتباط شعره بحياته
١٣٠	(٧) صراعاته النفسية
	الباب الثاني : الجوانب الفنية في تصوير المتنبي للنفس الإنسانية
١٣٧	الفصل الأول : جانب التقرير في حديث المتنبي عن النفس الإنسانية
١٤٠	الفصل الثاني : التشبيه في تصوير المتنبي للنفس الإنسانية
١٤٦	الفصل الثالث : الكناية في تصوير المتنبي للنفس الإنسانية
١٤٧	أولاً : الكنايات في تصوير المتنبي للنفس الإنسانية
١٥٠	الفصل الرابع : الاستعارة في تصوير المتنبي للنفس الإنسانية
١٥٨	الفصل الخامس : المجاز بأنواعه
١٥٩	الفصل السادس : طريقة المتنبي في التعريض والاستهزاء
١٦٨	الفصل السابع : آراء النقاد حول شعر النفس عند المتنبي
١٧١	نتائج البحث
١٧٣	التوصيات
١٧٤	فهرس الأشعار
١٩٣	المراجع

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وأفصحهم لساناً وأكملهم بياناً ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أما بعد :

لقد عُرف عن العرب شغفهم بالشعر واهتمامهم بالشعراء الذين كثروا حتى أربوا على العَد كما يقول ابن قتيبة في كتابه الشعر والشعراء : " والشعراء المعروفون بالشعر عند عشائريهم وقبائلهم في الجاهلية والإسلام ، أكثر من أن يحيط بهم محيط أو يقف من وراء عددهم واقفاً " وقد برز من هذه الكثرة عدد من الشعراء على مرّ السنين ، فاقوا أقرانهم وشغل الناس بهم ولعل شاعراً عربياً لم يملأ الدنيا باسمه وشعره كما ملأها المتنبي ، فقد شغل الأدباء وعلماء العربية به منذ حياته إلى يومنا الحاضر فأكثرُوا من شروح شعره وكتابة الدراسات حوله ، ولقد شغف الناس بشعره لما حمل من حكم وخبرات ولما امتاز به من قوة جرس وورصانة ولما تمثل به شعره من خصال عربية كريمة من إباء وعزة وترفع ولما فيه من تفرد وعبقرية شعرية ولما رسم من صور للنفس الإنسانية في كل حالاتها ولقد قدح عندي شعلة التفكير بموضوع تصوير النفس الإنسانية عند المتنبي إطلاعي على كتاب حقيقة النقد الثقافي للأستاذ الدكتور مصطفى عبد الواحد والذي تصدّى فيه لمحاولات قذف الثقافة العربية والأدب العربي بوابل من التهم على رأسها : الزعم بأن كبار شعراء العربية مستبدون طغاة لا يقبلون الآخر وليس عندهم إلا المحق والإبادة والعدوان وثانيها : نسبة المآسي والنكبات التي حاقت بالأمة إلى شعر هؤلاء العباقرة الذين لم يكن منهم إلا تمجيد البغي والتزلف والنفاق وثالثها : أن كبار شعراء العربية مداحون مرتزقة يبيعون شعرهم دون النظر لعقيدة أو مبدأ أو نظرة للحياة ولما وجدت الدكتور الغدامي صاحب كتاب النقد الثقافي يصف الشاعر الكبير المتنبي بأنه أقل الشعراء اهتماماً بالإنساني وتحقيراً له ولما لم أجد تركيزاً من دراسي شعر المتنبي على النواحي الإنسانية العظيمة في شعره جهدت في أن استكمل هذا الجانب المهم ، فلقد وسم عند بعض النقاد بالذاتية وهذا عين الصواب ، فشعره صورة لنفسه وذاته بكل ما فيها من استعلاء وشموخ وطموح وعظمة وعدائية وألفة وحب بآمالها وآلامها في وضاعتها وعلياتها وفي كل حالاتها الإنسانية المختلفة والأدب في اعتقادي ليس وعظماً وإرشاداً ، بل متعة تهدف إلى التأثير في الروح الإنسانية من حيث إصلاحها وتنقيفها وإمتاعها وما أجملها من صورة تلك التي تنقل نوازع النفس الإنسانية واتجاهاتها ، هذا النقل الصادق لخلجات الداخل المختلفة في كل حالاتها ، فالأديب المتفوق من وجهة نظري هو من تأثرت نفسه بالحياة

ومظاهرها تأثراً خاصاً بنفسيته ، ثم جهد بأدبه أن ينقل هذا التأثير إلى الناس وجعلهم يشعرون بما يشعر وينفعلون بما ينفعل به ، والمتنبّي في نظري كان يتفاعل بمشاعره مع الأحداث المختلفة التي عايشها في كل البيئات التي تنقل فيها فصور لنا بكاميرا خاصة به ما دار حوله ولم ينكفئ على ذاته إلا بقدر ما نقل لنا كل شيء حوله على ضوء ما اعتقد من المثل والقيم ، وقد رسم لنا نواحي إنسانية فيها إحاطة وشمول بكل ما يواجه الإنسان من الآلام والآمال والضعفة والرفعة ، فرسم الطباع والعواطف في تقلباتها وسمت نفسه فاتخذ وسيلة الشعر تعبيراً عن ذلك السمو ووجدت شعره الذاتي يفيض بآلامه وآماله ورأيته مثلاً للنفس البشرية في حالاتها المختلفة متقلباً بين جوانبها فجوابنا عن سؤال : هل نجح المتنبّي في التأثير على سامعيه وقراء شعره ؟ وهل نقل إليهم مشاعره أم عجز عن ذلك ؟ أهم من نفي الذاتية عن المتنبّي أو إثباتها ... نعم لقد كان شعر المتنبّي أيضاً من نفس حساسة اعتملت فيها الأحداث وأثرت فيها التجارب فأظهرت ذلك تعبيراً إنسانياً عكس انفعالها بالأحداث وعلل لنا الأمور تعليلاً نرضاه ونسلم به ونراه صدقاً لما في نفوسنا وتصويراً لما اختلج في عواطفنا ومن هنا قلت إن المتنبّي صور النفس الإنسانية في حالاتها المختلفة وجهدت استطاعتي في قراءة شعر المتنبّي وإبراز هذه الصور الإنسانية منه والتي لم تجد تركيزاً كبيراً ممن سبقوني لدراسة شعر المتنبّي وركزت جهدي على فهم أشعاره وقلبت النظر فيها بعمق متخذاً المنهج الفنّي التكاملي سبيلاً لبحثي حيث أفدت من جميع المناهج النفسية والتاريخية والذوقية فعايشت نصوصه الشعرية سابراً أغوارها آخذاً في الاعتبار المرويات التاريخية حول كل فكرة متذوقاً لأبيات المتنبّي ومهتماً بلغته وأساليبه الفنية بعد وضعها في مكانها من تاريخ حياته ونفسه محاولاً قدر جهدي إزاحة القناع عن السبب والجانب المهم من شعر المتنبّي الذي استحق به أن يكون شاعراً عظيماً وهو تصويره للنفس الإنسانية في جوانبها المختلفة من سمو وضعفة وحب وعداء وتقلب لطباعها كما يرى الأستاذ عباس محمود العقاد حيث يقول عنه " لم يكن المتنبّي ممن شغفوا بمحاسن الطبيعة وأسرارها ولكنه كان ممن يقبلون بجملتهم على جهاد الحياة في وسط المعمة فيحصون عليها هزائمها وانتصاراتها ويكتبون لها حسناتها وسيئاتها وكان الرجل أشبه رجال القول برجال العمل في الخلق والمزاج ، فأقبل على الجهاد في عصره عاملاً كما أقبل عليه مترقباً دارساً فأعانه ذلك على تقييد ضوابطه وتعليق شوارده وأخرج لنا من شعره معرضاً واعياً لكل ما يعتلج بالنفس المجاهدة وعيبة حاوية الأشكال من الحكم العربية والقواعد المقررة المشاهدة^(١) "

^١ مطالعات في الكتب والحياة للعقاد ، طبعة دار المعارف ، ص ١٤٢ .

ثم جهدت مستفيداً من توجيهات مشرفي الدكتور مصطفى عبد الواحد حفظه الله نحو ما يجب عليّ قراءته من المراجع وإلى الأسلوب الأمثل في مثل هذه الأبحاث وإلى طرق توزيع أبواب وفصول البحث وقد عدت خلال ذلك إلى شروح الديوان فوجدت شرح البرقوقي أكمل الشروح ففيه إشارات إلى كل الشروح وطبعته أحسن الطبعات وأشملها ولذا رأيت أن أعتد عليه في فهم شعر المتنبي مع عدم إغفالي النظر إلى جملة شروح الديوان حتى أحيط فهماً بكلام الشاعر ولقد وجدت الشراح يتفاوتون في فهم وتأويل أشعار المتنبي فكان ذلك معيناً لي على تكامل الصورة حول المتنبي الذي ملأ الدنيا وشغل الناس .
ولم أقدم شيئاً عن سيرة المتنبي لأني وجدتها أشبعت بالبحث والدراسة .

الدراسات السابقة

قد وجدت بعض الدراسات السابقة التي طرقت بعض جوانب هذا الموضوع على النحو

التالي :

الدراسة الأولى بعنوان : المتنبي الإنسان والشاعر بين أبي تمام وأبي فراس :

وهي بحث مقدم للحصول على درجة الدكتوراه من جامعة الملك سعود تحت عنوان " المتنبي الإنسان والشاعر بين أبي تمام وأبي فراس " للدكتورة نورة الشمالان ، وقد أطلعت على نسخة دار مصر للطباعة والتي استبعدت منها المؤلفة ما يتعلق بالموازات وهذا ملخص هذا البحث :

توزع البحث على أربعة فصول سبقت بتمهيد عن نشأة المتنبي وحياته .

الفصل الأول : عن شخصية المتنبي

وقد خرجت الباحثة بتصور لشخصية مبعثه ديوانه فهو أصدق تعبير — كما ترى الباحثة — عن حياته وأحسن تصوير لنفسيته ثم تناولت أشهر ما قيل عن شخصيته فكانت ملاحظتها عندها :

١. الإحساس بالعظمة ٢. الطموح ٣. التشاؤم ٤. الإيمان بالقوة

وقد رجحت الباحثة القول بإصابة المتنبي بداء العظمة مستفيدة من علم النفس في هذا الاتجاه .

الفصل الثاني : العوامل المؤثرة في شعره وقد عدت العوامل التالية :

- بيئته المملوءة بالفتن .
- تضخم الشعور بالذات لديه
- اضطراره للتكسب لدى الأمراء والكبراء
- ثقافته الواسعة

الفصل الثالث : أغراضه الشعرية

الشعر الحربي — الحكمة — المدح — الهجاء — الشكوى — الرثاء — الغزل — العتاب والاستعطاف والاعتذار — الشعر السياسي — الوصف .

الفصل الرابع : خصائصه الفنية

الأسلوب — المعاني — العاطفة
أثر سيف الدولة في الخصائص الفنية للمنتبي .

الدراسة الثانية : دراسة بعنوان " لغة الحب في شعر المنتبي "

وهو كتاب للدكتور عبد الفتاح صالح نافع صادر عن دار الفكر للنشر والتوزيع بعمان وقد جاءت نتائجها كالتالي :

توزعت الدراسة على أربعة أبواب واشتمل كل باب منها على عدة فصول وقد خرجت بالنتائج التالية :

١. إن فن المنتبي الشاعر العظيم كان صورة صادقة لحياته ونفسيته وأن شخصيته القوية الجبارة بتساميها وطموحها كانت ذات أثر كبير في توجيه فنّه في مسار خاص وطبعه بطابع من الأصالة والاستقلال .

٢. إن الظروف التي أحاطت بالمنتبي إلى جانب ما طبعت عليه نفسه من رفعة وسمو وتطلع للمثل جعلته مستقل بمذهب خاص في الحب يقيم عليه كثيراً من جوانب شعره ، وإن آثار هذا المذهب وبصماته تسربت إلى لغة الشاعر فمنحتها صفة خاصة ذات دلالة نفسية ، فلم تعد اللغة في شعره مجرد ألفاظ وتراكيب لا تعني سوى دلالاتها المباشرة ، وإنما اصطبغت بصبغة إيجابية استمدتها الشاعر من حياته وتجاربه ونفسيته ولونها بكل هذه معاً فجاءت لغته أيضاً من الأحاسيس والمشاعر وتعبيراً صادقاً لما يحس به ويشعر نحو الوجود والناس والأفراد .

٣. إن تطلع المنتبي للمثال أصبح لديه مبدأ يغذي فنه ونفسه معاً ويمده بطاقة هائلة من التصور والتعبير ويحدد رؤيته للوجود والناس والأفراد ويرسم له إطار علاقاته مع الآخرين .

٤. إن لغة المتنبي في الحب تسربت إلى مراثيه ، فعبرت بصدق عن وفائه وعن شعوره الحزين نحو من يرثيهم وعن مواساته الصادقة لأولئك الأحياء الذين فقدوا أحبتهم . وقلنا إن المتنبي خرج بالثناء عن نطاقه الرسمي القائم على المجاملات ليدخل في صلب التجربة الإنسانية العميقة فيصور فلسفته في الحياة والفناء وينقل لنا تأملاته بصدق ويجعلنا نعيش معه لحظات حزنه الحي بما يبعثه من تأثير ويولده من تجاوب .

٥. تتبع الباحث أبعاد لغة الحب في شعر المتنبي القومي ، فوجدها في غيرته القومية وفي حبه لقومه وعروبته ولمسها في تغنيه الدائم بقيم العروبة ومثلها وفي حنينه الجارف لمواطن ذكرياته في دمشق وحلب حين كان يعيش في بلاد الغربة ويمدح ملوكاً لا صلة لهم بالعروبة كما خلص إلى أن ثورته وسخطه على بني قومه وهجائه لأهل عصره وجيل زمنه لم يكونا في الحقيقة سوى إشفاق زائد على هؤلاء القوم الذين ارتضوا بواقعهم المؤلم وقبلوا بسادة من العبيد يتحكمون في مصائرهم دون أن يحرکوا ساكناً أو يحاولوا شيئاً لتغيير هذا الواقع أو السمو به .

٦. إن علاقة الشاعر بالمرأة إنما هي علاقة سطحية ، وأن هناك من الأمور الأخرى ما كان يشغل باله ويملاً عليه نفسه فلا يترك للمرأة مكاناً في قلبه ويقول إن إجادة الشاعر في الغزل تكمن في مقدرته الفنية العظيمة وخياله الخلاق . وقوة ذاكرته التي استطاعت أن تستوعب ما في القديم من صور وأساليب استخدمها الشعراء في تغزلهم ، ثم في تطويعه اللغة لتعبر عما يجول في فكره نحو المرأة .

٧. تحدث الباحث في الفصل الثاني عن عشق المتنبي للممدوح ، فعرض لكثرة المدح في شعره ورأى أن هذه الظاهرة لا تعيبه ، فمدائحه كانت تمجيداً للمبادئ والأفكار — التي آمن بها — أكثر منها تمجيداً للأشخاص الذين يمدحهم وهو يصور فيها ذاتيته ونزعات نفسه ورغباته التي كان يسعى إليها أكثر مما يصور أهواء ممدوحيه من الملوك والأمراء والقادة .

وقد اتفقت الدراسة الحالية مع الدراسة الثانية في الآتي :

١. إن فن المتنبي كان صورة صادقة لحياته ونفسيته .
٢. إن الحب الذي يضني الروح ويدله العقل ويضرم السعير في الجوف لم يدخل قلب المتنبي . مع اختلاف طرق الاستنباط وشواهد وكذا اختلاف طريقة التحليل والمعالجة للشواهد وتختلف الدراسة الحالية عن هاتين الدراستين في الآتي :

١. أنها تركزت فقط على شعر المتنبي الذي صور فيه النفس الإنسانية بينما شملت الدراسة الأولى جملة أغراض شعر المتنبي المختلفة وناقشت الدراسة الثانية شعر الحب عند المتنبي فقط .

٢. تختلف هذه الدراسة مع الدراسة الأولى في أسباب تميز ونجاح المتنبي في تصوير النفس الإنسانية وبيّن ذلك في جملة النتائج التي خرجت بها هذه الدراسة .

٣. اختلف المنهج المتبع في دراستي عن الدراستين حيث اتخذت الدراسة الأولى منهج المقارنة والموازنة وذكر صاحب الدراسة الثانية أنه اتبع منهجاً يقوم على ربط الشعر بالتجربة ودراسة الشعر من خلال تجربة الفنان وموقفه النفسي بينما اتخذت المنهج التكاملي منهجاً لدراسة وتحليل شعر النفس الإنسانية عند المتنبي .

خطة البحث

وقد اقتضت خطة البحث تقسيمه إلى باين تحت كل منهما عدة فصول تسبقهما مقدمة وتعقبهما خاتمة ، ثم قائمة بالمصادر والمراجع وقائمة للأشعار الواردة في البحث وقائمة بالموضوعات التفصيلية للبحث .

الباب الأول : الجوانب الموضوعية في تصوير المتنبي للنفس الإنسانية

وقد توزعت الدراسة على ثمانية فصول على النحو التالي :

الفصل الأول : جمعت أبيات المتنبي التي استخدم فيها لفظ النفس وتعرضت لها بالشرح الموجز
الفصل الثاني : وفيه تحدثت عن تصوير المتنبي لآماله وآلامه ومعاناته في معاملة من لا يوافقون طبعه .

الفصل الثالث : وتحدثت فيه عن الكمالات النفسية التي عني المتنبي بإبرازها وخاصة الشجاعة والكرم والوفاء .

الفصل الرابع : وفيه تحدثت عن الجوانب النفسية الرائعة التي أبرزها المتنبي في مديحه لسيف الدولة الحمداني .

الفصل الخامس : وتحدثت فيه عن الجوانب النفسية الوضيعة التي أبرزها في هجاءه لكافور الأحشيدي وغيره .

الفصل السادس: تعرضت فيه لتصوير المتنبي لتقلب الطباع واختلاف العواطف .

الفصل السابع: تعرضت فيه لتصوير المتنبي لعاطفة الحب ونظرتة إلى المرأة .

الفصل الثامن : وفيه تحدثت عن أسباب نجاح المتنبي في تصوير النفس الإنسانية

الباب الثاني : الجوانب الفنية في تصوير المتنبي للنفس الإنسانية

وقد توزعت على ستة فصول :

- الفصل الأول : جانب التقرير في حديث المتنبي عن النفس الإنسانية .
- الفصل الثاني : وفيه تحدثت عن التشبيه في تصوير المتنبي للنفس الإنسانية .
- الفصل الثالث : وتناولت فيه استخدامه للكناية في حديثه عن النفس الإنسانية .
- الفصل الرابع : وتناولت فيه استخدامه الاستعارة في حديثه عن النفس الإنسانية
- الفصل الرابع : وتناولت فيه استخدام المتنبي للمجاز بأنواعه في حديثه عن النفس الإنسانية .
- الفصل الخامس : وتعرضت فيه لطريقة المتنبي في التعريض والاستهزاء .
- الفصل السادس : آراء النقاد والدارسين حول قدرة المتنبي على تصوير النفس الإنسانية .

الباحث

الباب الأول

الجوانب الموضوعية في تصوير المتنبي للنفس الإنسانية

ويشتمل على ثمانية فصول

الفصل الأول جمعت أبيات المتنبي التي استخدم فيها لفظ النفس وتعرضت لها بالشرح الموجز

الفصل الثاني وفيه تحدثت عن تصوير المتنبي لآماله وآلامه ومعاناته في معاملة من لا يوافقون
طبعه

الفصل الثالث وتحدثت فيه عن الكمالات النفسية التي عني المتنبي بإبرازها وخاصة

الشجاعة والكرم والوفاء

الفصل الرابع وفيه تحدثت عن الجوانب النفسية الرائعة التي أبرزها المتنبي في مديحه لسيف

الدولة الحمداني

الفصل الخامس وتحدثت فيه عن الجوانب النفسية الوضيعة التي أبرزها في هجاءه لكافور

الأخشيدي وغيره

الفصل السادس تعرضت فيه لتصوير المتنبي لتقلب الطباع واختلاف العواطف

الفصل السابع تعرضت فيه لتصوير المتنبي لعاطفة الحب ونظرته إلى المرأة .

الفصل الثامن : وفيه تحدثت عن أسباب نجاح المتنبي في تصوير النفس الإنسانية

الفصل الأول

ترديد المتنبي للفظ
" النفس " في شعره

الفصل الأول : ترديد المتنبي للفظ " النفس " في شعره

من خلال قراءتي لشعر المتنبي وجدته مولعاً باستخدام لفظ النفس ، فقد أورده في مدائحه وأهاجيه وفي فخره أيضاً وقد جاء به على صيغة المفرد والجمع وقد قصد به خطاب ممدوحيه وعنى به نفسه ، وسأعرض أمثلة لكل ذلك في هذا الفصل متعرضاً بشيء من الشرح للأبيات تاركاً ما جاء منها على صورة التقرير إلى الفصل الخاص بذلك في الباب الثاني .

أولاً : ما قصد به ممدوحيه ومن هجاهم

قال من الطويل :

فَتَى عَلَّمَتْهُ نَفْسُهُ وَجُدُوهُ قِرَاعَ الْعَوَالِي وَابْتِذَالَ الرَّغَائِبِ^(١)

والبيت قاله يمدح أبا القاسم طاهر العلوي والمعنى أن شجاعته وسخاءه غريزتان موروثتان وأضاف إلى ذلك أن نفسه علمته هاتين الحصلتين أيضاً .

وقال من الطويل :

فَرُبَّ غُلَامٍ عَلَّمَ الْمَجْدَ نَفْسُهُ كَتَعْلِيمِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الطَّعْنَ وَالضَّرْبَا^(٢)

والمعنى رب إنسان علم نفسه المجد من غير أن يعلمه أحد لأن طبعه فيه ذلك فهو ينظر في أفعال المجد ويحمل نفسه عليها .

وقال من الطويل :

إِذَا عُرِضَتْ حَاجٌ إِلَيْهِ فَنَفْسُهُ إِلَى نَفْسِهِ فِيهَا شَفِيعٌ مُشَفَّعٌ^(٣)

والبيت في مدح علي بن احمد الطائي والمعنى أن طلاب الحاجات لا يحتاجون إلى شفعاء عند الممدوح فهو شفيع إلى نفسه مقبول الشفاعة لأن فيه من الكرم ما يغني عن الوسائل .

وقال من الوافر :

أَخِفَّتِ اللَّهُ فِي إِحْيَاءِ نَفْسِي مَتَى عَصِيَّ الْإِلَهِ؟ بَأَنْ أُطِيعَا^(٤)

يقول : إن وصالك إحياء لنفسي التي ستموت بدونه ويخبر أن معصية الله في قتل النفس لا في إحيائها فهو طاعة لله .

^١ الديوان ج ١ / ٢٧٩ وشرح البيت من ديوان أبي الطيب لأبي العلاء المعري تحقيق د. عبد المجيد دياب ، ط دار المعارف ج ٢ / ٤٣٧

^٢ الديوان ج ١ ص ١٨٦ وشرح البيت بحاشية شرح المعري ج ٣ / ٢٣٢

^٣ الديوان ج ٢ ص ٣٥١ وشرح البيت بحاشية ص ٣٥٢

^٤ الديوان ج ٢ ص ٣٦٠ وشرح البيت بحاشية الصفحة

وقال من الطويل :

على مهلٍ إن كنتَ لستَ براحمٍ لنفسِكَ مِنْ جُودٍ فَإِنَّكَ تُرْحَمُ^(١)
والبيت في مدح عمر بن سليمان الشرايبي فيقول له ارفق بنفسك فإنك إن لم ترحمها من بذلك
إياها في الحرب فإنَّ الناس يرحمونك .

وقال من الوافر :

وَأَمَّا فِدَاءَكَ كُلَّ نَفْسٍ وَلَوْ كَانَتْ لِمَمْلَكَةٍ مِلاكَ^(٢)
وهو يمتدح عضد الدولة وقيل أنها آخر قصيدة والمعنى قد أمنت أن تفديك نفوس الخلائق أجمعين
وملوكتهم المترفين فهم عند إضافتهم إليك كالعوام لا يحصل بهم نفع .

وقال من الوافر :

كَأَنَّ الْمَوْتَ لَمْ يَفْجَعْ بِنَفْسٍ وَلَمْ يَخْطُرْ لِمَخْلُوقٍ بِيَالٍ^(٣)
والبيت في رثاء والدة سيف الدولة وهو يستعظم موت هذه المرأة حتى كأنَّ النَّاسَ لَمْ يَرَوْا مَوْتًا وَلَمْ
يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ أَحَدٍ مِنْهُمْ قَبْلَهَا وَهَكَذَا مَوْتَ الْعِظَمَاءِ .

وقال من الطويل :

شَرِيكَ الْمَنَايَا وَالنَّفُوسُ غَنِيمَةٌ فَكُلُّ مَمَاتٍ لَمْ يُمِثَّهُ غُلُولٌ^(٤)
والبيت في مدح سيف الدولة يقول بينه وبين المنايا شركة في النفوس ، فكل منية لم تكن عن
سيفه فقد خانتها المنايا فيها يشير إلى كثرة وقائعه واتصال ملاحمه .

وقال من الطويل :

لِمَنْ هَوَّنَ الدُّنْيَا عَلَى النَّفْسِ سَاعَةً وَلَلْبَيْضِ فِي هَامِ الْكُمَاةِ صَلِيلٌ^(٥)
وهو في سيف الدولة والمعنى أنَّ الدولة تدول لمن وطَّن نفسه على القتل ولم يمل إلى الدنيا
بالنكوص عن الحرب وصبر على المكروه وهو يسمع صليل الحديد في رؤوس الشجعان .

^١ الديوان ج ٤ ص ٢١٣ وشرحه بحاشية الصفحة

^٢ الديوان ج ٣ ص ١٢٤ وشرحه بحاشية صفحتي ١٢٤ - ١٢٥

^٣ الديوان ج ٣ ص ١٤٣ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٤ الديوان ج ٣ ص ٢٣١ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٥ الديوان ج ٣ ص ٢٣١ وشرحه بحاشية الصفحة .

وقال من الخفيف :

وَلَقَدْ رُمْتَ بِالسَّعَادَةِ بَعْضًا مِنْ نُفُوسِ الْعِدَى فَأَدْرَكَتَ كُلًّا^(١)

وهي من قصيدة يُعزِّي فيها سيف الدولة بوفاة أخته الصغرى فيقول : طلبت بعض أعدائك فأدركت الكل بما أعطيت من السعد في الظفر بالأعداء .

وقال من الطويل :

وَوَيْلٌ لِنَفْسٍ حَاوَلَتْ مِنْكَ غَرَّةً وَطُوبَى لَعَيْنٍ سَاعَةً مِنْكَ لَا تَخْلُو^(٢)

والبيت في شجاع بن محمد الطائي والمعنى ويل لنفس طلبت منك غفلة وطوبى لعين لا تخلو من إبصارك والويل كلمة عذاب وطوبى فعلى من الطيب أي العيش الطيب لها .

وقال من الوافر :

وَأَشْرَفُ فَاخِرٍ نَفْسًا وَقَوْمًا وَأَكْرَمُ مُنْتَمٍ عَمًّا وَخَالًا^(٣)

وهو في بدر بن عمّار فيقول : وهو شريف حسيب إذا انتسب من جهة نفسه وآبائه وحتى من جهة أمه فهو شريف أيضاً .

وقال من الوافر :

لَقَدْ أَمِنْتَ بِكَ الْإِعْدَامَ نَفْسٌ تَعُدُّ رَجَاءَهَا إِيَّاكَ مَالًا^(٤)

والبيت في بدر بن عمّار والمعنى كل نفس ترجو عطاءك وتعد هذا الرجاء مالاً لها تأمن الفقر لأنك تبلّغها آمالها .

وقال من البسيط :

فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِلَّا أَنْ أَنْفُسَهُمْ مِنْ طَيِّبِينَ بِهِ فِي الْأَشْهُرِ الْحُرْمِ^(٥)

والمعنى لتمرنهم على الحرب هم في مثل أحوال الجاهلية إلا أن أنفسهم غير خائفة لشجاعتهم وثقة بنصرهم فكأنهم في الأشهر الحرم .

ويقول من الطويل :

وَإِنَّ نُفُوسًا أُمَّمَّتْكَ مَنِيعَةً وَإِنَّ دِمَاءً أُمَّلَّتْكَ حَرَامٌ^(٦)

والمعنى من قصدك راجياً صار منيعاً وحرمت إراقة دمه وهو في سيف الدولة .

^١ الديوان ج ٣ ص ٢٤٧ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٢ الديوان ج ٣ ص ٣٠٨ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٣ الديوان ج ٣ ص ٣٤٣ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٤ الديوان ج ٤ / ٢٨٨ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٥ الديوان ج ٣ ص ٣٤٦ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٦ الديوان ج ٤ ص ١١١ وشرحه بحاشية الصفحة .

وقال من البسيط :

نَفْتُ رُقَادَ عَلِيٍّ عَن مَحَا جِرِهِ
نَفْسٌ يُفَرِّحُ نَفْسًا غَيْرَهَا الْحُلْمُ^(١)

البيت في سيف الدولة والمعنى نفى رقاده عن عينيه كبير همته وقوة عزمه ونفس يفرج عن غيرها النوم والدعة واللهو .

وقال من الطويل :

تَحَرَّجَ عَن حَقْنِ الدَّمَاءِ كَأَنَّهُ
يَرَى قَتْلَ نَفْسٍ تَرَكَ رَأْسَ عِلَى جِسْمِ^(٢)

والبيت في الحسين بن إسحاق التنوخي والمعنى أنه يرى ترك رأس عدو من أعدائه على جسمه كقتل نفس لا يحل له قتلها .

وقال من الخفيف :

تُشْرِقُ أَعْرَاضَهُمْ وَأَوْجُهُهُمْ
كَأَنَّهَا فِي نَفْسِهِمْ شَيْمٌ^(٣)

والبيت في مدح علي بن إبراهيم التنوخي والمعنى كأن أعراضهم خلائق تشرق في نفوسهم يصفهم بنقاء الأعراض والوجوه والشيم .

وقال من الخفيف :

دَانَ لَهُ شَرْقُهَا وَمَغْرِبُهَا
وَنَفْسُهُ تَسْتَقِلُّ دُنْيَاهَا^(٤)

والبيت في مدح عضد الدولة والمعنى أطاعه أهل الشرق والغرب ودانوا له ونفسه تستقل جميع الدنيا وقال في عضد الدولة من الخفيف :

لَوْ كَفَرَ الْعَالَمُونَ نِعْمَتَهُ
لَمَا عَدَّتْ نَفْسُهُ سَجَايَاهَا^(٥)

والمعنى لو أن إنعامه قوبل بالكفران ولم يُشكر لم يترك الإحسان لأن نفسه جبلت على السجايا الكريمة

وقال من الطويل :

وَمِنْ قَوْلِ سَامٍ لَوْ رَأَى لِنَسْلِهِ
وَنَفْسٌ لَهُ لَمْ تَرْضَ إِلَّا التَّنَاهِيَا

^١ الديوان ج ٤ ص ١٤١ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٢ الديوان ج ٤ ص ١٧٣ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٣ الديوان ج ٤ ص ١٨٧ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٤ الديوان ج ٤ ص ٤١٢ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٥ الديوان ج ٤ ص ٤١٥ وشرحه بحاشية الصفحة .

دَعَتْهُ فَلَبَّاهَا إِلَى الْمَجْدِ وَالْعُلَى

وَقَدْ خَالَفَ النَّاسُ النَّفْسَ الدَّوَاعِيَا^(١)

والأبيات في مدح كافور وسام هو سام بن نوح ويقال هو أبو البيض وأن السود من ولد

أخيه حام والمعنى لو رآك لفضلك على أبناءه البيض لنجابتك ولجعل نفسه فداء لك ، والأستاذ أي الرئيس والمعنى أن ما ذكرته من مناقبه مدى بلغه الله غايته ولكن نفسه تأبى أن تقف إلى حد معين ثم يمدحه بأن نفسه عظيمة لما دعاها إلى المجد أجابته بعكس غيره من الناس فهم عاجزون عن ذلك لأنهم ليس لهم في الجود والشرف والشجاعة والأخلاق الحميدة .

وقال من الكامل :

وَدَعَوَهُ مِنْ فَرَطِ السَّخَاءِ مُبَدَّرًا

وَدَعَوَهُ مِنْ غَضَبِ النَّفْسِ الْغَاصِبَا^(٢)

والبيت في مدح علي بن منصور الحاجب يمدحه بسعة العطاء والشجاعة .

وقال من الطويل :

ذَرِ النَّفْسَ تَأْخِذُ وَوَسْعَهَا قَبْلَ بَيْنِهَا

فَمُفْتَرِقٌ جَارَانِ دَارُهُمَا الْعُمُرُ^(٣)

والبيت من قصيدة مدح لعلي بن أحمد بن عامر الأنطاكي والمعنى دع نفسك تأخذ ما تطيق مما تصبو إليه فإنها غير باقية مع الجسد .

وقال من الكامل :

مُتَشَابَهُوْ وَرَعَ النَّفْسِ كَبِيرُهُمْ

وَصَغِيرُهُمْ عَفُّ الْإِزَارِ حُلَاجِلُ^(٤)

والبيت في مدح القاضي أبي الفضل أحمد الأنطاكي وهو يمدح قومه بأن كبيرهم وصغيرهم سواء في العفة وأن لهم جميعاً سيادة وريادة عظيمة .

وقال من الطويل :

إِذَا عَايَنْتَكَ الرَّسُلُ هَائَتْ نُفُوسُهَا

عَلَيْهَا وَمَا جَاءَتْ بِهِ وَالْمُرَاسِلُ^(٥)

وهو في مدح سيف الدولة فإذا رآته رسل الروم وما هو عليه من المهابة تصاغرت عندهم أنفسهم وما أتوا به من الهدايا وتصاغرت لديهم الملوك الذين أرسلوهم لفخامة قدره .

وقال لسيف الدولة من الطويل :

إِذَا الْعَرَبُ الْعَرَبَاءُ رَازَتْ نُفُوسَهَا

فَأَنْتَ فَتَاهَا وَالْمَلِيكُ الْحُلَاجِلُ^(٦)

^١ الديوان ج ٤ ص ٤٣١ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٢ الديوان ج ١ ص ٢٥٦

^٣ الديوان ج ٢ / ٢٥٣ وشرح البيت بحاشية الصفحة .

^٤ الديوان ج ٣ ص ٣٧٥ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٥ الديوان ج ٣ ص ٢٣٥ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٦ الديوان ج ٣ ص ٢٤٠ وشرحه بحاشية الصفحة .

والعرب العرباء : القديمة الخالصة التي لم تشبها هجنة والحلاحل : السيد والمعنى إذا اختبروا أنفسهم عند الجود والشجاعة علموا أنك سيدهم وأجودهم وأشجعهم .
وقال من البسيط :

وَأَنْتُمْ نَفَرٌ تَسْخُو نُفُوسَكُمْ بِمَا يَهْبِنَ وَلَا يَسْخُونَ بِالسَّلْبِ^(١)
والبيت في رثاء أخت سيف الدولة والمعنى إنما تحزن لأن الدهر سلبك أختك وأنت من قوم أهل
عزة وأنفة يجودون بما يعطون عن طيب نفس ولا يجودون بما يؤخذ منهم قهراً .
وقال من البسيط :

كَأَنَّ نَفْسَكَ لَا تَرْضَاكَ صَاحِبَهَا إِلَّا وَأَنْتَ عَلَى الْمِفْضَالِ مِفْضَالٌ^(٢)
والبيت في مدح فاتك الأسدي والمعنى لما جبلت عليه من الكرم وعلو الهمة كأن نفسك لا ترضاك
صاحباً لها حتى تفضل كل مفضل وتربي عليهم .
وقال من الوافي :

أَطَابَ النَّفْسَ أَتَكَ مُتَّ مَوْتاً تَمَّتَّهُ الْبَوَاقِي وَالْخَوَالِي^(٣)
وهو في رثاء والدة سيف الدولة والمعنى مت في العز والعفاف وهذا يتمناه من بقي من النساء ومن
مضى منهن فأنت فرت بخيري الدنيا والآخرة .
وقال من الطويل :

وَلَكِنْ تَفُوقُ النَّاسَ رَأْيًا وَحِكْمَةً كَمَا فُقَّتْهُمْ حَالًا وَنَفْسًا وَمَحْتَدًا^(٤)
وهو في مدح سيف الدولة والمحتد : الأصل والمعنى أنت أعرف بمواقع الإساءة والإحسان من كل
إنسان لأنك فقتهم في الرأي والحكمة ، كما فقتهم بالحال فأنت أمير وبالنفس فأنت أعلاهم هممة
وبالأصل فأنت شريف الأصل .
وقال من الطويل :

أُرِيكَ الرَّضَى لَوْ أَحْفَتِ النَّفْسُ خَافِيَا وَمَا أَنَا عَنْ نَفْسِي وَلَا عَنْكَ رَاضِيَا^(٥)
وهو في هجاء كافور والمعنى لو أحفت النفس ما فيها من كراحتك لأريتك الرضا ولكني لست
راضٍ عن نفسي في قصدي إليك ولا عنك لتقصيرك في حقي .
وقال من البسيط :

١ الديوان ج ١ ص ٢٢٣ وشرحه بحاشية الصفحة .
٢ الديوان ج ٣ ص ٤٠٦ وشرحه بحاشية الصفحة .
٣ الديوان ج ٣ ص ١٤٥ وشرحه بحاشية الصفحة .
٤ الديوان ج ٢ ص ١١ وشرحه بحاشية الصفحة .
٥ الديوان ج ٤ ص ٤٣٢ وشرحه بحاشية الصفحة .

حتى وَصَلْتُ إِلَى نَفْسٍ مُّحَجَّبَةٍ تَلْقَى النَّفُوسَ بِفَضْلِ غَيْرِ مُّحْجُوبٍ^(١)
والبيت في مدح كافور والمعنى : تحجب الملوك عدم ابتذالهم أنفسهم للناس لكن نوال كافور قريب للجميع .

وقال من الطويل :

لَقَيْتَ الْقَنَا عَنْهُ بِنَفْسٍ كَرِيمَةٍ إِلَى الْمَوْتِ فِي الْهَيْجَا مِنَ الْعَارِ تَهْرُبُ^(٢)
والبيت في مدح كافور يقول ذدت الرماح بنفسك عن علي بن الإخشيد فكنت من شجاعتك تهرب في الحرب من العار إلى الموت .

وقال من الطويل :

وَيَا آخِذًا مِنْ دَهْرِهِ حَقَّ نَفْسِهِ وَمِثْلَكَ يُعْطَى حَقَّهُ وَيُهَابُ^(٣)
البيت في كافور والمعنى لا تنقص الأيام شيئاً من حَقِّكَ لمنعتك .

وقال من الطويل :

فِعِشْ لَوْ فَدَى الْمَمْلُوكُ رَبًّا بِنَفْسِهِ مِنْ الْمَوْتِ لَمْ تُفْقَدْ فِي الْأَرْضِ مُسْلِمٌ^(٤)
البيت في مدح عمر بن سليمان الشراي يقول إن المسلمين جميعاً مملوكون لك فلو كان يقبل المملوك فداء عن مالكة لم تمت مادام في الأرض مسلم لأنهم يقدونك بأنفسهم .

وقال من الكامل :

لَا خَلْقَ أَسْمَحُ مِنْكَ إِلَّا عَارِفٌ بِكَ رَاءَ نَفْسِكَ لَمْ يَقْلُ لَكَ هَاتِيهَا^(٥)
والبيت في مدح أبي أيوب أحمد بن عمران والمعنى لا أحد أكرم منك إلا من عرف مدى كرمك فلم يسألك أن تهبه نفسك إذ لو سألك لجدت بها فكان تركها لك جوداً عليك بها .

وقال من الكامل :

وَبَذَلْتَ مَا عَشِقْتَهُ نَفْسُكَ كُلَّهُ حَتَّى بَذَلْتَ لَهُدِهِ صِحَّاتَهَا^(٦)
وهو في مدح أحمد بن عمران والمعنى : الضمير في هذه أي للحمى أي أنك بذلت كل ما أحبته نفسك حتى بذلت للحمى صحتك يريد أنه جواد يجود بكل شيء يحبه .

وقال من الكامل :

^١ الديوان ج ١ ص ٢٩٩ وشرحه بحاشية الصفحة .
^٢ الديوان ج ١ ص ٣٠٩ وشرحه بحاشية الصفحة .
^٣ الديوان ج ١ ص ٣٢٣ وشرحه بحاشية الصفحة .
^٤ الديوان ج ٤ ص ٢١٤ وشرحه بحاشية الصفحة .
^٥ الديوان ج ١ ص ٣٥٤ وشرحه بحاشية الصفحة .
^٦ الديوان ج ١ ص ٣٥٧ وشرحه بحاشية الصفحة .

وارفق بنفسك إن خلقك ناقص واستر أباك فإن أصلك مظلم^(١)
وهذا البيت في هجاء ابن كيغلع والمعنى لا تتحرش بالشعراء كي لا يذكروا عيوبك لأنه أعور
وقصير ووصم أصله بالدناءة واللؤم .
وقال من الخفيف :

أنتِ مِنَّا فَتَنْتِ نَفْسَكَ لَكِنَّـ
كُ عُوْفِيَتْ مِنْ ضَنْئِي وَاشْتِيَاقٍ^(٢)
والخطاب للمحبوبة يقول أنتِ في معشر عشاقك إلا أنكِ عوفيت من الضنى والاشتياق لأنك
واصلت محبوبك وهو نفسك وفتنت نفسك أي بالحب وهو حب نفسها .
قال من البسيط :

أجر الجياد على ما كنت مجريها
وخذ بنفسك في أخلاقك الأول^(٣)
والبيت في سيف الدولة والمعنى عاود القتال ودع السلم وكان سيف الدولة ترك الحرب مدة وقد
قصد المتنبى حرب الروم وحماية الثغور .
وقال من الطويل :

ومن كان ذا نفس كنفسك حرّة
ففيه لها مَعْنٍ وفيها له مُسَلٌ^(٤)
وهو من قصيدة رثاء أبي الهيجا عبد الله بن سيف الدولة والمعنى : من كانت نفسه حرة كنفسك
أغنته عن تعزية غيره وأسلته عن مصيبته لأنه يعرف أن الدهر لا يخلو من الحوادث .
وقال من البسيط :

ألزمت نفسك شيئاً ليس يلزمها
أن لا يوارِيَهُمْ أَرْضٌ وَلَا عِلْمٌ^(٥)
والبيت في سيف الدولة والمعنى : ألزمت نفسك أن تتبع الروم أينما فروا وتدركهم حيثما تواروا
من الأرض وهذا لا يلزمك لأنك هزمتهم ولم تكتفِ بما اكتفى به غيرك في الظهور عليهم .
وقال من الكامل :

قالت فلا كذبت شجاعته
أقدم فنفسك ما لها أجل^(٦)
والبيت في مدح عضد الدولة والمعنى : هو يقتحم الأهوال غير مبال حتى كأن شجاعته قالت له
أقدم فما لنفسك أجل تخشاه كآجال الناس ثم دعا له بالبقاء فقال : لا كانت شجاعته كاذبة .

^١ الديوان ج ٤ ص ٢٥٤ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٢ الديوان ج ٣ / ١٠١ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٣ الديوان ج ٣ ص ١٦٩ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٤ الديوان ج ٣ ص ١٧٤ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٥ الديوان ج ٤ ص ٨٢ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٦ الديوان ج ٤ ص ٢٠ وشرحه بحاشية الصفحة .

وقال من البسيط :

قالت عن الرِّفْدِ طِبُّ نَفْسًا فَقَلْتُ لَهَا
لَا يَصْدُرُ الْحُرُّ إِلَّا بَعْدَ مَوْرِدِهِ^(١)
وهو من أبيات صبي المتنبى والمعنى دع الرfid والعطاء ولا تطلبهما فقال إن الحر إذا قصد أمراً لا
ينصرف عنه إلا بعد الوصول إليه والضمير في قالت للعاذلة .

وقال من البسيط :

نَفْسٌ تُصَغَّرُ نَفْسَ الدَّهْرِ مِنْ كِبَرٍ
لَهَا نُهَى كَهْلِهِ فِي سِنِّ أَمْرَدِهِ^(٢)
وهو من أبيات صباه والمعنى إن نفس الممدوح في عظمها وكبرها تصغر نفس الدهر الذي هو
مجمع الخير والشر .

وقال من البسيط :

مَا يَقْبِضُ الْمَوْتُ نَفْسًا مِنْ نَفْسِهِمْ
إِلَّا وَفِي يَدِهِ مِنْ تَنْهَاهَا عُوْدُ^(٣)
وهو في هجاء كافور والمعنى إن أرواحهم قدرة فإذا أراد الموت قبضها لم يباشرها بيده وإنما
يتناولها بعود كما يفعل بالجيفة .

وقال من السريع :

وَإِنْ عَرَكَ الشُّكُّ فِي نَفْسِهِ
بِحَالِهِ فَاَنْظُرْ إِلَى جَنْسِهِ^(٤)
وهو في هجاء كافور والمعنى : إذا شككت في نفسه ولم تعرفه فقسه بغيره من العبيد فإنك لا ترى
أحداً منهم له مروءة وكرم .

وقال من الخفيف :

وَأَرَادَتْهُ أَنْفُسُ حَالِ تَدْبِيهِ
رُكَّ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمُرَادِ^(٥)
وهو في مدح كافور والمعنى : بعض النفوس أرادت الشر ولكن حسن تدبيرك حال بينها وبين
ذلك .

وقال من الطويل :

١ الديوان ج ٢ ص ١٨٤ وشرحه بحاشية الصفحة .
٢ الديوان ج ٢ ص ١٨٤ وشرحه بحاشية الصفحة .
٣ الديوان ج ٢ ص ١٤٣ وشرحه بحاشية الصفحة .
٤ الديوان ج ٢ ص ٣١٣ وشرحه بحاشية الصفحة .
٥ الديوان ج ٢ / ١٣١ وشرحه بحاشية الصفحة .

وَدَى مَا جَنَى قَبْلَ الْمَيْتِ بِنَفْسِهِ وَ لَمْ يَدِهِ بِالْجَامِلِ الْعَكْنَانِ^(١)

وهي في شبيب العقيلي حيث خرج على كافور فقتله والمعنى أنه بهلاكه اقتص منه فكانت نفسه دية عن الذين قتلهم ولم تكن الدية من الإبل .

وقال من المتقارب :

وَمَنْ جَهَلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهُ رَأَى غَيْرَهُ مِنْهُ مَا لَا يَرَى^(٢)

وهو في هجاء كافور والمعنى : من لم يعرف قدر نفسه غروراً وإعجاباً خفيت عليه عيوبه فرأى الناس من عيوبه ما لا يرى واستقبحوا منه ما استحسّن .

وقال من الطويل :

وَلَوْ لَمْ تَسِرْ سِرْنَا إِلَيْكَ بِأَنْفُسٍ غَرَائِبَ يُؤَثِّرُنَ الْجِيَادَ عَلَى الْأَهْلِ^(٣)

وهو في مدح دلير بن لشكروز والمعنى : لو لم تسر إلينا لسرنا إليك بأنفس هي غريبة بين الناس ومن غرابتها أهما تؤثر السفر على الحضر والتعب على الدعة تحصيلاً للمجد .

وقال من الطويل :

وَرِيَّانُ لَا تَصْدَى إِلَى الْخَمْرِ نَفْسُهُ وَصَدْيَانُ لَا تَرَوِي يَدَاهُ مِنَ الْبَدْلِ^(٤)

وهو في مدح دلير بن لشكروز والمعنى : أنه لا يشرب الخمر فكأنه مرتو منها لا يعطش إليها ولا يفتر عن البذل فكأنه عطشان لا يروى منه .

وقال من الطويل :

وَفِي كُلِّ نَفْسٍ مَا خَلَاهُ مَلَالَةٌ وَفِي كُلِّ سَيْفٍ مَا خَلَاهُ فُلُولٌ^(٥)

وهو في مدح سيف الدولة والمعنى : كل نفس من نفوس جيشه دخلها الملل ما عداه وكل سيف قد ثلمه الضرب أما هو فلم تكل عزائمه عن متابعة القتال .

وقال من المتقارب :

أَحَبُّ أَمْرِيءٍ حَبَّتِ الْأَنْفُسُ وَأَطْيَبُ مَا شَمَّهُ مَعْطِسٌ^(٦)

وهو في ابن العميد والمعنى : أنت أحب امرئ حبته النفوس وهذا الند أطيب رائحة شمتهما الأنوف .

^١ الديوان ج ٤ ص ٣٧٦ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٢ الديوان ج ١ ص ١٦٨ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٣ الديوان ج ٤ ص ١٠ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٤ الديوان ج ٤ ص ١٨٥ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٥ الديوان ج ٣ ص ٢٢٥ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٦ الديوان ج ٢ ص ٣١٤ وشرحه بحاشية الصفحة .

وقال من الوافر :

وَتَمْلِكُ أَنْفُسَ الثَّقَلَيْنِ طُرّاً
فَكَيْفَ تَحُوزُ أَنْفُسَهَا كِلَابٌ^(١)

وهو في مدح سيف الدولة والمعنى : أنك تملك أنفوس الإنس والجن جميعاً فكيف لقبيلة بني كلاب ملك أنفسهم .

وقال من الطويل :

وَمَنْ لَمْ تُعَلِّمَهُ لَكَ الدَّلَّ نَفْسُهُ
مَنْ النَّاسِ طُرّاً عَلَّمَتْهُ الْمَنَاصِلُ^(٢)

وهو في مدح سيف الدولة والمعنى : من لم يخضع لك طوعاً ورغبةً خضع لك خوفاً ورهبة .

وقال من الطويل :

أَلَا لَيْسَتْ الْحَاجَاتُ إِلَّا نُفُوسَكُمْ
وَلَيْسَ لَنَا إِلَّا السِّيُوفَ وَسَائِلُ^(٣)

يقول للملوك عصره : لا نطلب إلا أرواحكم ولا نتوسل إلا بسيوفنا .

وقال من الطويل :

وَتَنْسُبُ أَفْعَالَ السِّيُوفِ نُفُوسَهَا
إِلَيْهِ وَيَنْسُبِنَ السِّيُوفَ إِلَى الْهِنْدِ^(٤)

وهو في مدح ابن العميد والمعنى : السيوف تنسب فعلها العظيم إلى كفه وهي منسوبة إلى الهند فالضربة دلت على قوة الضارب ودلت على جودة السيوف .

وقال من الخفيف :

وَنُفُوسٌ إِذَا انْتَبَرَتْ لِقِتَالٍ
نَفِدَتْ قَبْلَ يَنْفَدِ الْإِقْدَامُ^(٥)

وهو في مدح علي من أحمد المري الخراساني والمعنى هم يعلمون الناس الإقدام فيفنون وإقدامهم باق فالذكر الحسن عمر تال للإنسان .

وقال من الكامل :

تِلْكَ النُّفُوسُ الْغَالِبَاتُ عَلَى الْعُلَى
وَالْمَجْدُ يَغْلِبُهَا عَلَى شَهَوَاتِهَا^(٦)

^١ الديوان ج ١ ص ٢٠٤ وشرحه بحاشية الصفحة .
^٢ الديوان ج ٣ / ١٤١ وشرحه بحاشية الصفحة .
^٣ الديوان ج ٣ ص ٢٩٥ وشرحه بحاشية الصفحة .
^٤ الديوان ج ٢ ص ١٦٨ وشرحه بحاشية الصفحة .
^٥ الديوان ج ٤ ص ٢٢٢ وشرحه بحاشية الصفحة .
^٦ الديوان ج ١ ص ٣٥٢ وشرحه بحاشية الصفحة .

والبيت في مدح أحمد بن عمران والمعنى : هم يغلبون الناس على العلى فيحوزونها دونهم والمجد يغلبهم على شهواتهم فلا يمكنهم منها خشية العيب والنقص .

وقال من الطويل :

أَبْتُ لَكَ ذَمِّي نَخْوَةً يَمْنِيَّةً وَنَفْسٌ بِهَا فِي مَازِقٍ أَبْدَأُ تَرْمِي ^(١)

وهو في مدح الحسين بن إسحاق التنوخي والمعنى : ترفعك عن النقائص ونفسك التي ترمي بها في مآزق الحرب يأبيان ذمي لك .

وقال من البسيط :

تَجْرِي النَّفُوسُ حَوَالِيَهُ مُخَلِّطَةً مِنْهَا عُدَاةٌ وَأَغْنَامٌ وَأَبَالٌ ^(٢)

والبيت في مدح فاتك الكبير الملقب بالمجنون وأراد بالنفوس هنا الدماء والمعنى تجري الدماء حوله مختلطة دماء أعدائه بدماء الذبائح للأضياف من إبل وغنم .

وقال من الطويل :

تَحَاسَدَتِ الْبُلْدَانُ حَتَّى لَوْ؟ نَهَا نُفُوسٌ لَسَارَ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ نَحْوَكَا ^(٣)

وهو في مدح بدر بن عمار والمعنى إن البلدان يحسد بعضها بعضاً على ولايتك فلو أن لها نفوساً تعقل لسعى إليك الشرق والغرب تمالكاً عليك وسعيًا للافتخار بك .

وقال من البسيط :

وَرَدَّ بَعْضُ الْقَنَا بَعْضًا مُقَارَعَةً كَأَنَّهَا مِنْ نُفُوسِ الْقَوْمِ فِي جَدَلٍ ^(٤)

والبيت في مدح سيف الدولة والمعنى : حين تتشاجر الرماح فيرد بعضها بعضاً كأنها تجادل عن نفوس أصحابها لا يثبت في هذه الحال إلا أنت .

وقال من الكامل :

وَلَمَّا تَفَاضَلَتِ النَّفُوسُ وَدَبَّرَتْ أَيْدِي الْكُؤَمَةِ عَوَالِي الْمُرَانِ ^(٥)

والبيت في مدح سيف الدولة والعوالي : صدور الرماح والمران : الرماح اللينة والمعنى لأن الشجاعة إنما تستعمل بالعقل فالعقل يجعل الشجاع يتخذ حركات معينة في تحريك الرماح وهو مرتبط بالبيت قبله حيث يقول :

^١ الديوان ج ٤ ص ١٧٨ وشرحه بحاشية الصفحة .
^٢ الديوان ج ٣ ص ٤٠٢ وشرحه بحاشية الصفحة .
^٣ الديوان ج ٣ ص ١٢٠ وشرحه بحاشية الصفحة .
^٤ الديوان ج ٣ ص ٢١٢ وشرحه بحاشية الصفحة .
^٥ الديوان ج ٤ ص ٣٠٨ وشرحه بحاشية الصفحة .

لَوْلَا الْعُقُولُ لَكَانَ أَدْنَى ضَيْعِمٍ
أَدْنَى إِلَى شَرَفٍ مِنَ الْإِنْسَانِ (١)

وقال من الخفيف :

فِي خَمِيسٍ مِنَ الْأَسْوَدِ بَيْسٍ
يَفْتَرِسُنَ النَّفُوسَ وَالْأَمْوَالَ (٢)
وهو من قصيدة مدح لسيف الدولة والمعنى : سار بجيش عظيم شديد ذو بأس كأهم أسود وقوله
والأموال أي وينتهن الأموال فهو من باب : علفتها تبناً وماءً بارداً .

وقال من البسيط :

سَادَاتُ كُلِّ أُنَاسٍ مِنْ نُفُوسِهِمْ
وَسَادَةُ الْمُسْلِمِينَ الْأَعْبُدُ الْقَزَمُ (٣)
وهو في هجاء كافور والمعنى : كل أمة يملكهم من هو من جنسهم فكيف يسود المسلمين عبيد
لئام ؟

وقال من الطويل :

إِذَا اسْتَقْبَلَتْ نَفْسُ الْكَرِيمِ مُصَابَهَا
بُحْبُثٌ تَنْتُ فَاسْتَدْبَرْتُهُ بِطِيبِ (٤)
والبيت من قصيدة يعزي بها سيف الدولة لوفاة عبده يماك والمعنى : إذا استقبل الكريم إصابة الدهر
بالجزع راجع عقله فاعتصم بالصبر لعلمه أن الجزع لا يفيد .

وقال من الخفيف :

وَأَحَقُّ الْغُيُوثِ نَفْسًا بِحَمْدِ
فِي زَمَانِ كُلِّ النَّفُوسِ جَرَادُهُ (٥)
وهو في مدح ابن العميد والمعنى : وخلق الله غيثاً هو أخلق الغيوث بالحمد ويعني ابن العميد
لعموم صلاحه ، ووجد في زمان قد استشرى فساد أهله فكانوا كالجراد .

وقال من المتقارب :

وَمَنْ ضَاقَتِ الْأَرْضُ عَنْ نَفْسِهِ
حَرَى أَنْ يَضِيقَ بِهَا جِسْمَهُ (٦)
والبيت في مدح فاتك الكبير والمعنى : إن من ضاقت الأرض عن همته لخليق أن يضيق جسمه
بهمته فلا يسعها ولذا هلك لأنه لم يطق احتمالها لعظم ما تطلب .

وقال من الرمل :

١ الديوان ج ٤ ص ٣٠٨
٢ الديوان ج ٣ ص ٢٦٦ وشرحه بحاشية الصفحة .
٣ الديوان ج ٤ ص ٢٨١ وشرحه بحاشية الصفحة .
٤ الديوان ج ١ ص ١٨٠ وشرحه بحاشية الصفحة .
٥ الديوان ج ٢ ص ١٥٧ وشرحه بحاشية الصفحة .
٦ الديوان ج ٤ ص ٢٨٥ وشرحه بحاشية الصفحة .

بَاعِثُ النَّفْسِ عَلَى الْهَوْلِ الَّذِي لَيْـ
سَ لِنَفْسٍ وَقَعَتْ فِيهِ إِيَابٌ^(١)
وهو في مدح بدر بن عمار والمعنى : إنه يحمل نفسه على ركوب الأمر العظيم الهائل الذي لا
خلاص لمن وقع فيه .
وقال من الخفيف :

إِنَّمَا الْجِلْدُ مَلْبَسٌ وَابْيَضَاضُ الْـ
نَّفْسِ خَيْرٌ مِنْ ابْيَضَاضِ الْقَبَاءِ
يقول إنما الجلد بمنزلة اللباس فلا قيمة لبياضه وإنما المعول عليه بياض النفس ونقاءها من العيوب
والكلام عن كافور .

ثانياً : ما قصد به نفسه

قال من الكامل :

لَهْوَى النَّفْسِ سَرِيرَةٌ لَا تُعْلَمُ
عَرَضًا نَظَرْتُ وَخِلْتُ أَنِي أَسْلَمُ^(٢)
والمعنى إن سر الهوى لا يعرف من أين يتسرب إلى قلب العاشق ثم قال إني نظرت إليها عن غير
قصد — يعني المحبوبة — فعشقتها وكنت أظن أنني أسلم من هواها .
وقال من الطويل :

حُشَّاشَةٌ نَفْسٍ وَدَعَتْ يَوْمَ وَدَّعُوا
فَلَمْ أَدْرِ أَيِّ الظَّاعِنِينَ أُشِيعُ^(٣)
والمعنى : بقية نفسي ودعتني يوم ودعتني الأحاب فذهبت البقية والحبيب فحرت أيهما أودع .
وقال من الطويل :

أَشَارُوا بِتَسْلِيمٍ فَجَدْنَا بِأَنْفُسِ
تَسِيلُ مِنَ الْأَمَاقِ وَالسَّمُّ أَدْمُعُ^(٤)
والمعنى : أشاروا بسلام التوديع فجدنا بأرواح سالت من الآماق تسمى دموعاً .
وقال من الطويل :

وَإِنَّا لَنَلْقَى الْحَادِثَاتِ بِأَنْفُسِ
كَثِيرُ الرِّزَايَا عِنْدَهُنَّ قَلِيلُ^(٥)
والمعنى : يصف نفسه بالجلد وقلة الجزع لنوب الدهر ولذا يحتقر الخطوب الجليلة .
وقال من البسيط :

حَتَّى وَصَلْتُ بِنَفْسٍ مَاتَ أَكْثَرُهَا
وَلَيْتَنِي عِشْتُ مِنْهَا بِالَّذِي فَضَّلَا^(٦)

^١ الديوان ج ١ ص ٢٦٢ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٢ الديوان ج ٤ ص ٢٤٧ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٣ الديوان ج ٢ / ٣٤٤ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٤ الديوان ج ٣ / ٣٤٤ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٥ الديوان ج ٣ ص ٢٣٠ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٦ الديوان ج ٣ ص ٢٩٠ وشرحه بحاشية الصفحة .

والمعنى : وصلت إلى الممدوح بنفس ذهب أكثر لحمها لما قاست من هول الطريق ثم تمنى العيش بما بقي ليقضي حق الممدوح .

وقال من البسيط :

سُبْحَانَ خَالِقِ نَفْسِي كَيْفَ لَذُّهَا فيما النَّفْسُ تَرَاهُ غَايَةَ الْأَلَمِ^(١)

يتعجب من أن الله جعل لذته في التمرس بالمهالك وهو غاية ألم النفوس .

وقال من الطويل :

وَإِنِّي لَمِنْ قَوْمٍ كَأَنَّ نَفْسَهُمْ بِهَا أَنْفٌ أَنْ تَسْكُنَ اللَّحْمَ وَالْعَظْمَا^(٢)

يقول أنا من قوم ديدهم التعرض للحرب فكأن نفوسنا ترى البقاء في أجساد من لحم وعظم عار تأنف منه ولذا هي تختار الموت على الحياة .

وقال من الخفيف :

كُنْ أَيُّهَا السَّجْنُ كَيْفَ شئتَ فَقَدْ وَطَّئْتُ لِلْمَوْتِ نَفْسَ مُعْتَرِفِ^(٣)

يقول للسجن كن كيف شئت من الشدة فأنا صابر لا محالة .

وقال من البسيط :

رِدِّي حِيَاضَ الرَّدَى يَا نَفْسِ وَأَتْرَكِي حِيَاضَ خَوْفِ الرَّدَى لِلشَّاءِ وَالنَّعَمِ^(٤)

(٤)

يقول : ردي المهالك والحروب واتركي الخوف للنعم والشاة فهي لا تقاتل عن نفسها .

وقال من الوافر :

وَشُغِلَ النَّفْسِ عَنِ طَلَبِ الْمَعَالِي بَبِيعِ الشَّعْرِ فِي سَوْقِ الْكَسَادِ^(٥)

يقول : إلى كم أشغل نفسي عن طلب المعالي بنظم الشعر في مدح من لا قيمة عنده للشعر .

وقال من المديد :

يَشْغَلُنِي عَنْهَا وَعَنْ غَيْرِهَا تَوَطَّيْتُ النَّفْسَ لِيَوْمِ الطَّعَانِ^(٦)

يقول : مالي ولهذه البطيخة إني مشغول عنها وعن غيرها بتوطين نفسي للضرب والطعن في

الحرب .

^١ الديوان ج ٤ ص ٢٩٥ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٢ الديوان ج ٤ ص ٢٣٥ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٣ الديوان ج ٣ ص ٢٤ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٤ الديوان ج ٤ ص ١٦٠ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٥ الديوان ج ٢ ص ٧٧ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٦ الديوان ج ٤ ص ٣٦٣ وشرحه بحاشية الصفحة .

وقال من الطويل :

وَلَوْ فَارَقْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ حَيَاتِهَا
لَقُلْتُ أَصَابَتْ غَيْرَ مَذْمُومَةِ الْعَهْدِ^(١)

يقول : لو آثرت نفسي البقاء لديك على الحياة معي لقلت أنها أصابت فيما فعلت لأنك أبرّ بها منّي وهو يخاطب ابن العميد .

وقال من الطويل :

وَفِي النَّفْسِ حَاجَاتٌ وَفِيكَ فَطَانَةٌ
سُكُوتِي بَيَانٌ عِنْدَهَا وَخِطَابٌ^(٢)

والمعنى في نفسي حاجات لا ينبعث بها لساني وأنت من الفطانة بحيث تدركها دون أن أذكرها .
وقال من البسيط :

إِذَا أَرَدْتُ كُمَيْتَ اللَّوْنِ صَافِيَةً
وَجَدْتُهَا وَحَيْبُ النَّفْسِ مَفْقُودٌ^(٣)

والمعنى : إن الخمر لا تطيب إلا مع الحبيب وحببي بعيد عني فلا معنى لشرب الخمر .
وقال من المتقارب :

سَأَجْعَلُهُ حَكَمًا فِي النَّفُوسِ
وَلَوْ نَابَ عَنْهُ لِسَانِي كَفَانِي^(٤)

والمعنى سأقتل من أعدائي من شئت ولساني كسيفي في الحدة وهو يكفي مكانه .
وقال من البسيط :

يَا مَنْ تَحَكَّمَ فِي نَفْسِي فَعَذَّبَنِي
وَمَنْ فُوَادِي عَلَى قَتْلِي يُضَافِرُهُ^(٥)

والمعنى : إن فؤاده يعين الحبيب على قتله فقلبه العاشق عون عليه مع حبيبه .
وقال من المتقارب :

وَأَلْهَجَ نَفْسِي لِعَيْرِ الْخَنَا
بِحُبِّ ذَوَاتِ اللَّمَى وَالتَّهْوُدِ^(٦)

والمعنى : ما أوقع نفسي بحب سمر الشفاة الناهدات لغير الفحش والفجور .
وقال من المتقارب :

وَفِي جُودِ كَفِّكَ مَا جُدَّتْ لِي
بِنَفْسِي وَلَوْ كُنْتُ أَشْتَقِي تَمُودَ^(٧)

^١ الديوان ج ٢ ص ١٧٢ وشرحه بحاشية الصفحة .
^٢ الديوان ج ١ ص ٣٢٤ وشرحه بحاشية الصفحة .
^٣ الديوان ج ٢ ص ١٤١ وشرحه بحاشية الصفحة .
^٤ الديوان ج ٤ ص ٣٢٤ وشرحه بحاشية الصفحة .
^٥ الديوان ج ٢ / ٢٢١ وشرحه بحاشية الصفحة .
^٦ الديوان ج ٢ ص ٦٥ وشرحه بحاشية الصفحة .
^٧ الديوان ج ٢ ص ٦٨ وشرحه بحاشية الصفحة .

والمعنى : إن جودك لي بنفسي هو في جملة عطايك .

وقال من الكامل :

لَمَّا تَقَطَّعَتِ الحُمُولُ تَقَطَّعَتْ نَفْسِي أَسَى وَكَأَنَّهُنَّ طُلُوحٌ^(١)

والمعنى : لما تفرقت الحمول سائرة وكأنها طلوح تقطعت نفسي وجداً وحرناً .

وقال من الطويل :

بِنَفْسِي الحَيَالُ الزَّائِرِي بعد هَجَعَةٍ وَقَوْلُهُ لِي بعدَنَا العُغْمَضَ تَطَعَمٌ^(٢)

والمعنى : أفدى بنفسي الخيال الذي زارني بعد نومي وقال مخاطباً لي : أتمام بعد فراقنا ؟ وهل من

فارق أحبته ينام ؟

وقال من الطويل :

أَجَارِكُ يَا أَسَدَ الفَرَادِيسِ مُكْرَمٌ فَتَسْكُنَ نَفْسِي أُمُّ مَهَانَ فَمُسْلَمٌ^(٣)

والمعنى : يخاطب أسود المكان هل من جاورها عزيز مكرم فتسكن نفسه أم مهان مخذول .

وقال من الخفيف :

وَاقِفًا تَحْتَ أحمَصِي قَدْرَ نَفْسِي وَاقِفًا تَحْتَ أحمَصِي الأَنَامُ^(٤)

والمعنى نفسي عالية وإن كان جسمي بين الناس فأنا واقف تحت قدر نفسي والأنام وقوف تحت

أحمصي والأخص باطن القدم .

وقال من البسيط :

إِنِّي لِأَعْذِرُهُمْ مِمَّا أَعْنَفُهُمْ حَتَّى أَعْنَفُ نَفْسِي فِيهِمْ وَأَنِي^(٥)

والمعنى : إني أجعل لهم عذراً فيما ألومهم به من الغفلة واللؤم حتى أعود على نفسي باللوم فأقتصر

في لومهم فهم جهال والجاهل لا يلام على ترك المكارم وقد بين ذلك في البيت التالي .

وقال من الطويل :

كَذَا أَنَا يَا دُنْيَا إِذَا شِئْتَ فَاذْهَبِي وَيَا نَفْسِ زَيْدِي فِي كَرَائِهَا قَدْ مَا^(٦)

والمعنى : أنا كما وصفت نفسي لا أقبل الضيم ولا آسف لندية فاذهبي عني فلست أبالي ويا نفس

تقدمي فيما تكرهه الدنيا من ترك الانقياد لها ومن الحروب التي يكرهها أهل الدنيا .

^١ الديوان ج ١ ص ٣٧٠ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٢ الديوان ج ٤ ص ٢٠٥ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٣ الديوان ج ٤ ص ٢١٤ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٤ الديوان ج ٤ ص ٢١٨ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٥ الديوان ج ٤ ص ٣٤٢ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٦ الديوان ج ٤ ص ٢٣٥ وشرحه بحاشية الصفحة .

وقال من الطويل :

وَأَكْبَرُ نَفْسِي عَن جَزَاءٍ بَغِيْبَةٍ
وَكُلُّ اغْتِيَابٍ جُهْدٌ مِّنْ مَا لَهُ جُهْدٌ^(١)

والمعنى : إني أكبر نفسي عن جزاء عدوي باغتيابه لأن هذا طاقة من لا طاقة له بمحاربة عدوه .
وقال من الطويل :

بِنَفْسِي الَّذِي لَا يُزِدْهُيْ بِجَدِيْعَةٍ
وَإِنْ كَثُرَتْ فِيهَا الذَّرَائِعُ وَالْقَصْدُ^(٢)

والمعنى : أفدي بنفسي الممدوح صاحب الفطنة الذي لا تنطلي عليه خدع أعدائه وإن حاولوا
بشتى الوسائل لعلمه بقصدتهم .
وقال من الوافر :

وَنَفْسٍ لَا تُجِيبُ إِلَى خَسِيْسٍ
وَعَيْنٍ لَا تُدَارُ عَلَى نَظِيْرٍ^(٣)

والمعنى : قل ما شئت في نفس — يعني نفسه — لا تؤاتيني على أمر خسيس وعين لا تفتح على
نظير لي .
وقال من الخفيف :

تَرَكُ مَدْحِيكَ كَالِهِجَاءِ لِنَفْسِي
وَقَلِيْلٌ لَّكَ الْمَدِيْحُ الْكَثِيْرُ^(٤)

والمعنى ترك مدحي إياك هجاء لنفسي وما يستكثرون قليل بالنسبة إلى حقك وما تستأهل .
وقال من الطويل :

وَنَفْسِي لَهُ نَفْسِي الْفِدَاءُ لِنَفْسِهِ
وَلَكِنَّ بَعْضَ الْمَالِكِيْنَ عَنِيْفٌ^(٥)

والمعنى : أنا مملوك له إذ أسرني بإحسانه لكنه مالك عنيف وهو دعاء معناه أفديه بنفسي
وقال من الطويل :

بِنَفْسِي وَكَيْدٌ عَادَ مِنْ بَعْدِ حَمَلِهِ
إِلَى بَطْنِ أُمَّ لَا تُطْرَقُ بِالْحَمْلِ^(٦)

والمعنى : أفدي بنفسي مولوداً صار بعد حمل الأم إلى حمل أم لا تطرق وهي الأرض .
وقال من البسيط :

وَمَا الْحَيَاةُ وَنَفْسِي بَعْدَمَا عَلِمْتُ
أَنَّ الْحَيَاةَ كَمَا لَا تَشْتَهِي طَبْعُ^(١)

^١ الديوان ج ٢ ص ٩٥ وشرحه بحاشية الصفحة .
^٢ الديوان ج ٢ ص ٩٧ وشرحه بحاشية الصفحة .
^٣ الديوان ج ٢ ص ٢٤٧ وشرحه بحاشية الصفحة .
^٤ الديوان ج ٢ ص ٢٥١ وشرحه بحاشية الصفحة .
^٥ الديوان ج ٣ ص ٣٦ وشرحه بحاشية الصفحة .
^٦ الديوان ج ٣ ص ١٧٥ وشرحه بحاشية الصفحة .

والمعنى : ما لنفسي والحياة ؟ أي لا أريدها بعدما عرفت أنها دنس فعلام الحرص عليها ؟
وقال من الطويل :

وَأُورِدُ نَفْسِي وَالْمُهَنْدُ فِي يَدِي مَوَارِدَ لَا يُصْدِرْنَ مَنْ لَا يُجَالِدُ^(٢)
والمعنى : أورد نفسي في الحرب وهي مهلكة لا يصدر منها حي ما لم يكن شجاعاً مثلي .
وقال من المتقارب :

أُصْرَفُ نَفْسِي كَمَا أَشْتَهِي وَأُمْلِكُهَا وَالْقَنَا أَحْمَرُ^(٣)
والمعنى : قادر على تصريف نفسي لا تغلبي على شيء لا أريده وهو يصيرها إذا احمرت الرماح
بالدماء في الحرب .
وقال من الكامل :

إِنِّي لِأَجْبُنُ عَنْ فِرَاقِ أَحِبَّتِي وَتُحِسُّ نَفْسِي بِالْحِمَامِ فَأَشْجُعُ^(٤)
والمعنى : الفراق عنده أعظم من الموت فهو جبان أمامه شجاع لا يهاب الموت في ساحة المعركة .
وقال من البسيط :

سُبْحَانَ خَالِقِ نَفْسِي كَيْفَ لَذْتُهَا فِيمَا النَّفُوسُ تَرَاهُ غَايَةَ الْأَلَمِ^(٥)
يتعجب من أن الله جعل لذته في اقتحام المهالك وهو غاية ألم النفوس .
وقال من الوافر :

لَقَدْ عَلَّمْتُ نَفْسِي الْقَوْلَ فِيهِمْ كَتَعْلِيمِ الطَّرَادِ بِلا سِنَانِ^(٦)
والمعنى : تعلمت المدح في الناس لأمدحك كما يتعلم الطراد بغير سنان ليصبح المتعلم ماهراً .
وقال من الطويل :

سَجِيَّةُ نَفْسٍ مَا تَزَالُ مُلِيحَةً مِنْ الضَّيِّمِ مَرْمِيًّا بِهَا كُلِّ مَخْرَمِ^(٧)
والمعنى : هذه الأنفة هي من طبيعة نفسي فهي أبداً خائفة من أن ييخس حقها من الإكرام .
وقال من الطويل :

رَضِيْتُ بِمَا تَرْضَى بِهِ لِي مَحَبَّةً وَقَدْتُ إِلَيْكَ النَّفْسَ قَوْدَ الْمُسْلِمِ^(٨)

^١ الديوان ج ٢ ص ٣٣١ وشرحه بحاشية الصفحة .
^٢ الديوان ج ١ ص ٣٩٤ وشرحه بحاشية الصفحة .
^٣ الديوان ج ٢ ص ١٩٥ وشرحه بحاشية الصفحة .
^٤ الديوان ج ٣ ص ١٢ وشرحه بحاشية الصفحة .
^٥ الديوان ج ٤ ص ٢٩٥ وشرحه بحاشية الصفحة .
^٦ الديوان ج ٤ ص ٣٩٠ وشرحه بحاشية الصفحة .
^٧ الديوان ج ٤ ص ٢٦٣ وشرحه بحاشية الصفحة .
^٨ الديوان ج ٤ ص ٢٧٢ وشرحه بحاشية الصفحة .

والمعنى : رضيت بما ترضاه لي موافقة لهواك لأني قدت نفسي إليك قود من سلم إليك أمره تصرفه
كما تشاء .

وقال من الطويل :

وَهَبْتَ عَلَى مِقْدَارِ كَفِّي زَمَانَنَا وَنَفْسِي عَلَى مِقْدَارِ كَفِّكَ تَطْلُبُ^(١)

والمعنى : أنت تعطيني على ما يليق بالزمان ويتفق وكرمه وأنا أطلب ما توجهه همتك ويقتضيه
كرمك .

وقال من الطويل :

وَفِي الْجِسْمِ نَفْسٌ لَا تَشِيبُ بِشَيْبِهِ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْوَجْهِ مِنْهُ حِرَابٌ^(٢)

والمعنى أن همته لا تشيب مع جسمه ولو أن الشعرات البيض في وجهه كانت حرابا .

ثالثاً : ما أورده في أبيات الحكمة

قال من الخفيف :

وَلَذِيذُ الْحَيَاةِ أَنْفَسُ فِي النَّفْسِ سِ وَأَشْهَى مِنْ أَنْ يُمَلَّ وَأَحْلَى
وَإِذَا الشَّيْخُ قَالَ أَفَّ فَمَا مَ لَّ حَيَاةً وَإِنَّمَا الضَّعْفُ مَلًّا^(٣)

والمعنى : الحياة لذيدة شهية إلى الناس من أن تمل وإنما يتضجر كبار السن من الضعف لا من طول
الحياة فهي محبة إلى النفس في الشبية والكبر .

وقال من الطويل :

تَعْرُ حَلَاوَاتُ النَّفُوسِ قُلُوبَهَا فَتَخْتَارُ بَعْضَ الْعَيْشِ وَهُوَ حِمَامٌ
وَشَرُّ الْحِمَامِينَ الزَّوَامِينَ عَيْشَةً يَذُلُّ الَّذِي يَخْتَارُهَا وَيُضَامُ^(٤)

والمعنى إن حلاوة النفوس تغر قلوب أربابها حتى تختار عيشاً فيه ذل وهذا العيش هو الموت في
الحقيقة بل هو شر من الموت لما فيه من تجرع الهوان .

قال من البسيط :

تَخَالَفَ النَّاسُ حَتَّى لَا اتَّفَاقَ لَهُمْ إِلَّا عَلَى شَجَبٍ وَالْخُلْفُ فِي الشَّجَبِ
فَقِيلَ تَخَلَّصَ نَفْسُ الْمَرْءِ سَالِمَةً وَقِيلَ تَشْرَكَ جِسْمَ الْمَرْءِ فِي الْعَطَبِ

^١ الديوان ج ١ ص ٣٠٦ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٢ الديوان ج ١ ص ٣١٦ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٣ الديوان ج ٣ ص ٢٤٩ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٤ الديوان ج ٤ ص ١١١ وشرحه بحاشية الصفحة .

وَمَنْ تَفَكَّرَ فِي الدُّنْيَا وَمُهْجَتِهِ أَقَامَهُ الْفِكْرُ بَيْنَ الْعَجْزِ وَالْتَعَبِ^(١)

والمعنى : جرى اختلاف الناس في كل شيء ولم يتفقوا إلا على الهلاك أي أن كل نفس ستموت ثم اختلفوا في حقيقة الموت فمنهم من قال الروح لا تفنى بفناء الجسم وآخرون خالفوهم ثم قال : إن من تفكر في مفارقة الدنيا أتعبه ذلك لما يجد في نفسه من الأسف على الدنيا ثم يعود فيقر في نفسه أن ذلك قضاء محتوم فهو بين حالي التعب والعجز .

وقال من الطويل :

وَأَتَعَبُ خَلْقِ اللَّهِ مَنْ زَادَ هُمُهُ وَقَصَرَ عَمَّا تَشْتَهِي النَّفْسُ وَجَدُهُ^(٢)

والمعنى : كأنه يضرب مثلاً لنفسه حيث همته عالية ولكن قصور طاقته من الغنى لا تبلغه ما يريد . وقال من الطويل :

أُصَادِقُ نَفْسَ الْمَرْءِ مِنْ قَبْلِ جَسَمِهِ وَأَعْرِفُهَا فِي فِعْلِهِ وَالتَّكَلُّمِ^(٣)

والمعنى : أراد بالنفس هنا المعاني الكريمة والفضائل الإنسانية فهو قبل أن تقع بينه وبين من يجب معرفة يصادق نفسه أولاً ويستدل عليها بكلامه وفعله وهو كما قال العكبري معنى قول الحكيم : الائتلاف بالجواهر قبل الائتلاف بالأجسام .

وقال من الخفيف :

وَمَرَادُ النَّفُوسِ أَصْعَرُ مِنْ أَنْ تَتَّعَادَى فِيهِ وَأَنْ تَتَّفَانَى^(٤)

والمعنى : هو ينهى عن المعادة والتحاسد مخبراً أن ما تريده النفوس من حطام الدنيا أحقر من يعادي بعضنا بعضاً لأجله .

وقال من الكامل :

تَصْنُفُو الْحَيَاةَ لِجَاهِلٍ أَوْ غَافِلٍ عَمَّا مَضَى فِيهِ — وَمَا يُتَوَقَّعُ
وَلَكِنْ يُغَالِطُ فِي الْحَقَائِقِ نَفْسَهُ وَيَسُومُهَا طَلَبَ الْمَحَالِ فَتَطْمَعُ^(٥)

والمعنى : أي تصنفو الحياة لمن يغالط حقيقة أن الدنيا دار غرور فانية وأن الإنسان فيها على خطر فمن منى نفسه السلامة والبقاء صفا له العيش حين ألقى عن نفسه التفكير في العواقب وكلف نفسه طلب المحال في البقاء مع السلامة ونيل المراد فطمعت نفسه في ذلك .

^١ الديوان ج ١ ص ٢٢٤ وشرحه بحاشية الصفحة .
^٢ الديوان ج ٢ ص ١٢٢ وشرحه بحاشية الصفحة .
^٣ الديوان ج ٤ ص ٢٦٥ وشرحه بحاشية الصفحة .
^٤ الديوان ج ٤ ص ٣٧٢ وشرحه بحاشية الصفحة .
^٥ الديوان ج ٣ ص ١٣ وشرحه بحاشية الصفحة .

وقال من الكامل :

وَالظَّلْمُ مِنْ شَيْمِ النَّفْسِ فَإِنْ تَجَدُّ
ذَا عِفَّةٍ فَلِعَلَّةٍ لَا يَظْلِمُ^(١)

والمعنى : من طبيعة النفوس أن تظلم فإذا رأيت عفيفاً لا يظلم فإنما تركه لعله كالخوف أو العجز ونحوهما.

^١ الديوان ج ٤ ص ٢٥٣ وشرحه بحاشية الصفحة .

الفصل الثاني

تصوير المتنبي لألامه وأماله
ومعاناته في معاملة من لا
يوافقون طبعه

الفصل الثاني : تصوير المتنبي لآلامه وآماله ومعاناته في معاملة من لا يوافقون طبعه
إن الباحث القارئ لحياة المتنبي يجدها رحلة كان خلفها آمال كبار ونفس ذات طموح

عالي وأنها تغلفت في كل مراحلها بآلام جسام وقد عانى المتنبي خلالها أكثر ما عانى صعوبات
معاملة من لا يوافقون طبعه ، بل ويخالفونها إلى النقيض تماماً ولذا رأينا المتنبي وهو كالأسد الهائج
هابياً لتحقيق آماله ومتبرماً مما قاساه من الآلام ومفصحاً عن آماله العريضة ، وقد استقرأت ديوانه
مستخرجاً ذلك منه مما سأعرضه في هذا الفصل إن شاء الله .

من الصعب أن تقرأ قصيدة للمتنبي لا يذكر فيها آماله وأمانيه ومن الصعب أيضاً أن تفصل بين
آماله وآلامه لأنه كان يضمن هذه الآلام صعوبة تحقيقها وبعد الرجاء الكامن في معاكسة الأيام
والناس له ووقوف الظروف دون تحقيق هذه المآرب من مثل قوله من الطويل :

أودُّ مِنَ الْآيَامِ مَا لَا تَوُدُّهُ وَأَشْكُو إِلَيْهَا بَيْنَنَا وَهِيَ جُنْدُهُ^(١)
ونحو قوله من الخفيف :

أَبْدًا أَقْطَعُ الْبِلَادَ وَنَجْمِي فِي نُحُوسٍ وَهَمِّي فِي سُعُودِ^(٢)
فهو يخبر عن طموحه العالي وهمته البعيدة وسعيه الدائب وإن كان حظه قليلاً من الرزق .
وقد وجدت المتنبي في طموحه هذا معتداً بنفسه وموآبه محتقراً لكل ما يجد أمامه فلا شيء مما
يفعل أمامه جدير بالإهتمام ولا أحد من الناس الذين قابلهم خليق بالحدز منه حيث يقول من
الرجز :

أَيَّ مَحَـلٍّ أُرْتَقِي أَيَّ عَظِيـمٍ أَتَّقِي
وَكَلِّ مَا قَدْ خَلَقَ اللّٰهُ هُوَ وَمَا لَمْ يُخْلَقْ لِقِي
مُحْتَقِرٌ فِي هَمِّي كَشَعْرَةٍ فِي مَفْرِقِي^(٣)

والدارس لحياته يرى بجلاء أن المتنبي ظهرت محاولاته في الارتقاء نحو طموحاته ولكنه ظل يتبرم
ويشتكي من أهل زمنه مصوراً آلامه الجسام منهم ، فهم يجهلون رسالته ويخذلونه في تحقيق مراده
ويضمرون له العداة أيضاً كما يقول من البسيط :

حَوْلِي بِكُلِّ مَكَانٍ مِنْهُمْ خَلَقٌ تُخْطِي إِذَا جِئْتَ فِي اسْتِفْهَامِهَا بَمَنْ
لَا أَفْتَرِي بَلَدًا إِلَّا عَلَى غَرَرٍ وَلَا أَمْرٌ بِجَلِّ غَيْرِ مُضْطَغِنِ^(٤)

^١ الديوان ج ٢ ص ١١٩ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٢ الديوان ج ٢ ص ٤٥ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٣ الديوان ج ٣ ، ص : ٨١ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٤ الديوان ج ٤ ص ٣٤١

ولكن انطلاقته لتحقيق طموحه تركز على ثقته العظيمة بنفسه التي هَلَّلَ بها في كل أحاديثه من مثل قوله من الوافر :

وكم طَرَبِ الْمَسَامِعِ لَيْسَ يَدْرِي أَيْعَجِبُ مِنْ ثَنَائِي أَمْ عَلَاكَأ (١)
وقوله من الطويل :

فلم أَرَ قَبْلِي مَنْ مَشَى الْبَحْرُ نَحْوَهُ ولا رَجُلًا قَامَتْ تُعَانِقُهُ الْأَسْدُ (٢)
حتى وصل به الحال إلى أن يضع نفسه في مقام الممدوحين :

وَأَنَا مِنْكَ لَا يُهْنَىءُ عُضْوُ بِالْمَسْرَاتِ سَائِرَ الْأَعْضَاءِ (٣)
بل وجدته يميز نفسه عن الملوك أيضاً كما يقول من البسيط :

سَيَعْلَمُ الْجَمْعُ مِمَّنْ ضَمَّ مَجْلِسُنَا بَأْتِنِي خَيْرٌ مَنْ تَسَعَى بِهِ قَدَمُ
الْخَيْلِ وَاللَّيْلِ وَالْبَيْدَاءُ تَعْرِفُنِي وَالسَّيْفُ وَالرَّمْحُ وَالْقِرْطَاسُ وَالْقَلَمُ (٤)
ويساويهم بنفسه أحياناً أخرى :

كما في خطابه لأبي عبيد الله محمد الخطيب الخصيي من البسيط :

وإِنَّمَا نَحْنُ فِي جَيْلٍ سَوَاسِيَةٍ شَرٌّ عَلَى الْحُرِّ مِنْ سُقْمٍ عَلَى بَدَنِ (٥)
وقد قال ذلك لكافور أيضاً كما سبق وأكد ذلك بعد عدة أبيات في ذات القصيدة بقوله من الخفيف :

وَفُؤَادِي مِنَ الْمُلُوكِ وَإِنْ كَا نَ لِسَانِي يُرَى مِنَ الشُّعْرَاءِ (٦)

وقد حاول في كلا البيتين أن يوضح مكانته العالية أمام كافور ولا أدري كيف قبل كافور ذلك منه ؟ وأعتقد أن مردّ تلك المغالاة عند المتنبي إلى حالته النفسية حيث يحاول أن يردّ على أعدائه ومنافسيه ومن يحاول أن ينقص من قدراته فدعاه ذلك إلى المغالاة الممقوتة في مكانته وقدراته فوجدته يقول من الخفيف :

إِنْ أَكُنْ مُعْجَبًا فَعُجِبَ عَجِيبٌ لَمْ يَجِدْ فَوْقَ نَفْسِهِ مِنْ مَزِيدٍ (٧)

١ الديوان ج ٣ ص ١٣١

٢ الديوان ج ٢ ص ٩٦

٣ الديوان ج ١ ص ١٥٦

٤ الديوان ج ٤ ص ٨٥

٥ الديوان ج ٤ ص ٣٤١

٦ الديوان ج ١ ص ١٥٩

٧ الديوان ج ٢ ص ٤٧

بل وجدته يرفض أن يتشبه به أحد أو يحاول الوصول إلى قدراته كما يقول من الطويل :
أَمْطُ عَنْكَ تَشْبِيهِي بِمَا وَكَأَنَّهُ فَمَا أَحَدٌ فَوْقِي وَلَا أَحَدٌ مِثْلِي ^(١)

بل ويضع نفسه وقومه في طبقة مستقلة كما يقول من الطويل :
وَإِنِّي لَمِنْ قَوْمٍ كَأَنَّ نُفُوسَهُمْ بِهَا أَنْفٌ أَنْ تَسْكُنَ اللَّحْمَ وَالْعَظْمَا
تَغَرَّبَ لَا مُسْتَعْظِمًا غَيْرَ نَفْسِهِ وَلَا قَابِلًا إِلَّا لِخَالِقِهِ حُكْمًا ^(٢)
وقد درج على أن يقول بأن مواهبه لا مثيل لها وأن طموحه لا يحده حد ولا نهاية لمطالبه كما يقول من الطويل :

وما الجَمْعُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالنَّارِ فِي يَدِي بِأَصْعَبَ مِنْ أَنْ أَجْمَعَ الْجَدَّ وَالْفَهْمَا
يَقُولُونَ لِي مَا أَنْتَ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ وَمَا تَبْتَغِي؟ مَا أَبْتَغِي جَلًّا أَنْ يُسْمَى ^(٣)

ولقد كان للطموح الكبير والآمال البعيدة التي حملتها نفس المتنبي العظيمة فلسفة مختلفة جعلته يسبح بالآفاق ويقطع البيداء طويلاً وعرضاً وقد كانت دونها بيد حتى كاد هذا الطموح أن يجلب المنية لطرفه في كل لحظة من حياته ولا شك أنه جلبها على يد فاتك الأسدى حيث كان المتنبي كما وصفه أبو القاسم مظفر بن علي الطبسي من الخفيف :

كان من نفسه الكبيرة في جيب — ش ومن كبريائه في سلطان

نعم فنبته الطموح التي هي في قلب كل إنسان كانت شجرة عظيمة عند أبي محسّد فقد نظر بعيداً إثباتاً لوجوده ، واعتزازاً بقدرته الفكرية وإمكاناته التي رأى أنها تؤهله لمكانة مرموقة ، وأما فلسفة طموحه فتقول بأن عمر الإنسان محدود وسيواجه الموت حتماً فالأولى به إذاً أن يموت ميتة شريفة تخلد ذكره كما قال من الوافر :

إِذَا غَامَرْتَ فِي شَرَفٍ مَرُومٍ فَلَا تَقْنَعْ بِمَا دُونَ النَّجْمِ
فَطَعْمُ الْمَوْتِ فِي أَمْرٍ حَقِيرٍ كَطَعْمِ الْمَوْتِ فِي أَمْرٍ عَظِيمٍ ^(٤)

ولكن هذه المطامح والآمال وقفت دونها عوائق كثيرة فقد كانت تثير حفيظة أصحاب السلطان والولاة الذين لم يمكنوا المتنبي من تحقيقها خوفاً من منافستهم في حلبة الرياسة والزعامة وخاصة أن صوت المتنبي ملأ الدنيا تهديداً ووعيداً مرة بالتلميح وأخرى بالتصريح كما قال من البسيط :

مِيعَادُ كُلِّ رَقِيقٍ الشُّفْرَتَيْنِ غَدًا وَمَنْ عَصَى مِنْ مَلُوكِ الْعُرْبِ وَالْعَجَمِ ^(١)

^١ الديوان ج ٣ ص ٢٨١

^٢ الديوان ج ٤ ص ٢٢٦

^٣ الديوان ج ٤ ص ٢٢٦

^٤ الديوان ج ٤ ، ص : ٢٤٥ .

وقد وجدته يلبس نفسه أثواب البطولة والعظمة ولكن سهامه ارتدت إلى نحره حيث لم يكن عتاده الدفاعي كافياً كما حصل في قصة قتله من قبل فاتك الأسدي .
ولقد كان المتنبي ذكياً حيث فطن إلى أمر هام وهو أن الزعامة تحتاج لما يقوم بتكاليدها من مال وثروة وأتباع حيث قال من الطويل :

فَلَا يَنْحَلُّ فِي الْمَجْدِ مَالِكٌ كُلُّهُ فَيَنْحَلُّ مَجْدٌ كَانَ بِالْمَالِ عَقْدُهُ
وَدَبَّرَهُ تَدْبِيرَ الَّذِي الْمَجْدُ كَفُّهُ إِذَا حَارَبَ الْأَعْدَاءَ وَالْمَالَ زَنْدُهُ
فَلَا مَجْدَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ وَلَا مَالَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَجْدُهُ (٢)

ومن ركائز فلسفة الطموح عند المتنبي أن يخالف المرء طبيعته الميالة إلى الدعة والاستقرار كما يقول من البسيط :

سُبْحَانَ خَالِقِ نَفْسِي كَيْفَ لَذَّتْهَا فِيمَا النَّفْسُ تَرَاهُ غَايَةَ الْأَلَمِ (٣)
وعنده أن طبع النفوس هو ما يقودها إلى المخاطر كما يقول من الطويل :

وَكَلُّ يَرَى طُرُقَ الشَّجَاعَةِ وَالنَّدَى وَلَكِنَّ طَبْعَ النَّفْسِ لِلنَّفْسِ قَائِدُ
فطريق المجد وتحقيق الآمال والمآرب له معبر واحد عند المتنبي وهو معبر التعب والأشواك والمرارة في معاناة الحياة حيث يقول من الطويل :

ذَرِيْبِي أَنْلُ مَا لَا يُنَالُ مِنَ الْعُلَى فَصَعْبُ الْعُلَى فِي الصَّعْبِ وَالسَّهْلُ فِي السَّهْلِ
تُرِيدِينَ لِقْيَانَ الْمَعَالِي رَخِيصَةً وَلَا بُدَّ دُونَ الشَّهْ—دٍ مِنْ إِبْرِ النَّحْلِ (٤)

وإذا ما تعمقنا إلى داخل المتنبي وسبرنا غور نفسه رأينا أن هذا الطموح كان فردياً يخصه ولكنه عممه في قصائده حتى لتحس أنه يحدثك عن كل طموح وأمل لكل إنسان في حياته وقد وجدت أن الفشل الذي لاقاه في فترات من حياته كان حافزاً نفسياً قوياً له إلى البحث عن نجاح آخر فقد أمضى حياته متنقلاً بين الممدوحين مع ما لاقاه من فتور أحياناً وفشل عند بعضهم واستجابات رخيصة لا تفي بعظيم طموحه كل ذلك انعكس على أحواله النفسية وجسده شعراً عكس لنا الطبع الإنساني والخلق الاجتماعي وأشعل الثورة في نفس المتنبي ما رأى بعينه وعاش بنفسه ممن تستم ذروة السلطة وهم كما يرى دونه مما دعاه إلى الزاوية بالعقل الإنساني والطبائع التي رآها مختلة وموازينها متقلبة وحركتها مضطربة مما دعاه إلى أن يثبت أقدامه للخروج من هذا الوحل

١ الديوان ج ٤ ، ص : ١٦١ .

٢ الديوان ج ٢ ، ص : ١٢٢ .

٣ الديوان ج ٤ : ، ص : ٢٩٥ .

٤ الديوان ج ٤ ، ص : ٤ .

الذي كَبَلَ حركته وهنا لم يكن له طريق إلا الخروج على قوانين المجتمع حيث كان باستمرار يدعو إلى منطق المغامرة وأسلوب الكفاح مما جعل حياته بين مدّ وجزر وأمل وفشل وبقي نفسه الشعري الذي تغلب عليه عامل الطموح والأمل يحاول أبداً أن يفسح لنفسه تحقيق مآربها وآمالها العظيمة إلى آخر لحظة من حياته .

ولا شك أن المتنبّي أخفق في الوصول إلى تحقيق حلمه لتحقيق الإمارة والسيادة والرئاسة وخاصة بعد عودته من عند كافور ، فرجع يعزّي نفسه ويختلق التعليقات النفسية لهذا الفشل كما يقول من البسيط :

مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى الْمَرْءُ يُدْرِكُهُ تَجْرِي الرِّيَّاحُ بِمَا لَا تَشْتَهِي السُّفُنُ^(١)

وزادت شكايته من الدهر والأيام وسوء الطالع كما يقول من الطويل :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَقُولُ قَصِيدَةً فَلَا أَشْتَكِي فِيهَا وَلَا أُتَعَبُ^(٢)

ومرد هذه الشكوى إلى حالته النفسية بعد يأسه من إجابة طلبه من قبل كافور فأوضح عن ذلك رغم أن القصيدة أنشأها لمدح كافور بعد أن أعطاه ست مائة دينار ذهباً .

وقد حاول المتنبّي وخاصة في هذه الحقبة في مصر أن يعزّي نفسه نتيجة عدم تحقيق المطالب كما يقول من البسيط :

لَا تَلْقَ دَهْرَكَ إِلَّا غَيْرَ مُكْتَرِثٍ مَا دَامَ يَصْحَبُ فِيهِ رُوحَكَ الْبَدَنُ

فَمَا يُدِيمُ سُرُورٌ مَا سُرُرْتَ بِهِ وَلَا يَرُدُّ عَلَيَّكَ الْفَائِتَ الْحَزَنُ^(٣)

وقد كرر ما يمكن أن أطلق عليه تعزية النفس وخاصة في فترة وجوده ببلاط كافور من مثل أبياته التالية : من الخفيف :

صَحِبَ النَّاسُ قَبْلَنَا ذَا الزَّمَانَا وَعَنَاهُمْ مِنْ شَأْنِهِ مَا عَنَانَا
وَتَوَلَّوْا بَعْضَ كَلِّهِمْ مِنْ هُ وَإِنْ سَرَّ بَعْضَهُمْ أَحْيَانَا
رُبَّمَا تُحْسِنُ الصَّنِيْعَ لِيَالِي هِ وَلَكِنْ تُكَدِّرُ الْإِحْسَانَا
كُلَّمَا أَتَيْتَ الزَّمَانَ قَنَاءً رَكَّبَ الْمَرْءُ فِي الْقَنَاءِ سِنَانَا

١ الديوان ج ٤ ص ٣٦٦

٢ الديوان ج ١ ص ٣٠٤

٣ الديوان ج ٤ ص ٣٦٤

وواضح جلي إسقاطات المتنبي النفسية نتيجة فشله في تحقيق مآربه وتطمينه لنفسه بأن ذلك يحصل مع البشر من بدء الإنسانية ويمر على الجميع وليس عليه وحده ولا أدل على ذلك من هذا البيت الذي أورده تالياً للأبيات الماضية :

كَلَّ مَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الصَّعْبِ فِي الْأَنْفِ — فُسْ سَهْلٌ فِيهَا إِذَا هُوَ كَانَا^(١)

والمعنى أن الفشل صعب قبل وقوعه ولكنه إذا وقع هان وكذا كل الخطوب التي تعترض النفس . ولكن أبا الطيب رغم كل ذلك كان في كل مرة ينهض من جديد يستحث عزيمته ويعاود السير في طريق المعالي ولتحقيق آماله وقد حاول أن يتصير رغم وعورة ذلك الطريق من الوافر :

عَجِبْتُ لِمَنْ لَهُ قَدٌّ وَحَ—دُّ
وَمَنْ يَجِدُ الطَّرِيقَ إِلَى الْمَعَالِي
فَإِنْ أَمْرَضُ فَمَا مَرِضَ اصْطِبَارِي
وَإِنْ أَسْ—لَمَ فَمَا أَبْقَى وَلَكِنْ
وَيَنْبُو نَبْوَةَ الْقَضِيمِ الْكَهَامِ
فَلَا يَذَرُ الْمَطِيَّ بِلَا سَنَامِ
وَإِنْ أَحْمَمَ فَمَا حُمَّ اعْتِرَامِي
سَلِمْتُ مِنَ الْحِمَامِ إِلَى الْحِمَامِ^(٢)

وعلى الرغم من أنه كان يرى أن الجسم لا يهم تبعه وهو سيتعب حتماً ما دامت المهمة في طلب المعالي عالية وأنه لن يرضى بالمنزلة الدون .
وقال من الخفيف :

وَإِذَا كَانَتْ النَّفْسُ كِبَارًا — تَعَبَتْ فِي مُرَادِهَا الْأَجْسَامُ^(٣)

إلا أنه عاد إلى نظرة واقعية تأثرت فيها نفسه بما حصل له من الاحباطات في تحقيق الأماني فبدأ يطلق التعميمات التي أجد له فيها متنفساً ومجالاً يرمي فيه أتعب نفسه وهو إن عمم الكلام ولكني أجد ذلك خطاباً لنفس المتنبي كما يقول من الكامل :

تَصْنُفُوا الْحَيَاةَ لِجَاهِلٍ أَوْ غَافِلٍ — عَمَّا مَضَى فِيهَا وَمَا يُتَوَقَّعُ
وَلَمَنْ يُغَالِطُ فِي الْحَقَائِقِ نَفْسَهُ — وَيَسُوْمُهَا طَلَبَ الْمَحَالِ فَتَطْمَعُ^(٤)

والمتتبع المتمعن في شعره يجد أن الطموح والافتخار يكاد يندم في قصائده الأخيرة كمدحته لابن العميد ولأبي الفوارس ، وكذا مديح عضد الدولة ، بل يجد التعقل والحكمة فقد وجدت أنه أمام ابن العميد رضي بالمنزل الطيب وسر بذلك وفضل جميع الناس به كما يقول من الطويل :

^١ الديوان ج ٤ ص ٣٧٢ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٢ الديوان ج ٤ ص ٢٧٩

^٣ الديوان ج ٢ ص ٦٤

^٤ الديوان ج ٣ ص ١٣

أنا من جميع الناس أطيب منزلاً وأسرى راحلةً وأربح متجراً^(١)

وبعد هذه القراءة الذي تعرفنا من خلاله على المميزات العامة للشعر الذي تحدث فيه المتنبي عن آماله وآلامه أستطيع أن أصنّف هذا الشعر إلى ثلاثة أقسام بحسب ما تميز به كل قسم من مميزات وسأضرب لكل قسم أمثلة وشواهد توضح ذلك :

١. حديثه عن آماله وآلامه في فترة صباه .
 ٢. حديثه عن آماله وآلامه في فترة اتصاله بسيف الدولة وبدايات بقاءه مع كافور .
 ٣. حديثه عن آماله وآلامه في آخر بقاءه عند كافور إلى وفاته .
- وسأفضل الحديث عن كل مرحلة معتمداً على الشواهد من شعره .

القسم الأول : حديثه عن آماله وآلامه في صباه

قال المتنبي هذه القصيدة في صباه من الخفيف :

أين فضلي إذا قنعتُ من الدهف —
ضاقَ صدري وطالَ في طلبِ الرزِّ
أبداً أقطعُ الب — لادَ ونجمي
ولعليّ مؤملاً بعضَ ما أب —
عش عزيزاً أو متاً وأنتَ لكريم
لا كما قد حيتَ غيرَ حمي —
فاطلبِ العزَّ في لظى ودع الذِّ
يقتلُ العاجزُ الجبانُ وقد يع —
لا بقومي شرفتُ بل شرفوا بي
وبهم فخرُ كلِّ من نطق الض —
إن أكنُ معجَباً فعجبُ عجيب
ر — بعيشٍ معجلِ التنكي —
ق قيامي وقلَّ عنه قُع —
في نُحوسٍ وهَمَّتي في سَع —
لُغ باللطْفِ من عزيزِ حميدِ
بينَ طعنِ القنا وخفقِ النُّودِ
وإذا متَّ متَّ — غيرَ فقيدِ
لَّ ولو كانَ في جنانِ الخلودِ
— جزُ عن قطعِ بخنقِ المولودِ
وبنفسِي فخرتُ لا بجُودِي
دَ وعوْذُ الجاني وعوْثُ الطريدِ
لم يجدْ فوقَ نفسِهِ من مَزِيدِ^(٢)

لقد لاحظت في هذه الأبيات لغة طموحة واندفاعاً قوياً للمستقبل فالمتنبي ينفي أن يكون له فضل إذا قنع بعيش عجل له نكده وأبطأ عنه خيرُه ولذا قرر أن يمتطي سهوة السفر والكفاح

^١ الديوان ج ٢ ص ٢٧٩
^٢ الديوان ، ج ٢ / ٤٤ وشرحه بحاشية الصفحات ٤٤ — ٤٧

لطلب الرزق ويخبر عن همته وطموحه الكبير وإن قل نصيبه من الرزق وينطق بهذه اللغة القوية الخالدة فيقول عش ممتنعاً من الأعداء أو مت موت الكرام في الحرب كما يقول :

عِشْ عَزِيزاً أَوْ مُتْ وَأَنْتَ كَرِيمٌ بَيْنَ طَعْنِ الْقَنَا وَخَفَقِ الْبُنُودِ^(١)

ثم يخبر بأن الإنسان يجب أن يخلد له ذكراً بعد موته ولا يكون ذلك إلا بالإقدام والشجاعة ثم يعود لتلك اللغة المجلجلة :

فَاظْلُبِ الْعِزَّ فِي لَطَى وَدَعِ الذِّ لَّ وَلَوْ كَانَ فِي جَنَانِ الْخُلُودِ^(٢)

وكم حفظ هذا البيت وأصبح حكمة تردد لكل أبي يرفض الذل والمهانة وهو من أجمل مبالغات المتنبي التي حفظها الدهر وسأعرض هنا مثلاً آخر لحديثه عن آماله في صباه حيث يقول من البسيط :

لَيْسَ التَّعَلُّ بِالْأَمِّ بِإِلٍ مِنْ أَرَبِي وَلَا أَظُنُّ بَنَاتِ الدَّهْرِ تَتْرُكُنِي
وَلَمْ اللَّيَالِي الَّتِي أَخْنَتُ عَلَى جِدِّي أَرَى أَنْسَاءً وَمَحْصُولِي عَلَى غَنَمٍ
سَيَصْحَبُ النَّصْلُ مِنِّي مِثْلَ مَضْرِبِهِ لَقَدْ تَصَبَّرْتُ حَتَّى لَاتِ مُصْطَبِرٍ
لَأَتْرُكَنَّ وُجُوهُ الْخَيْلِ سَاهِمَةً وَالطَّعْنَ يُحْرِقُهَا وَالزَّجْرُ يُقْلِقُهَا
قَدْ كَلَّمْتَهَا الْعَوَالِي فَهِيَ لِكُلِّ حَالَةٍ

وَلَا الْقِنَاعَةُ بِالْإِقْلَالِ مِنْ شِيَمِي حَتَّى تَسُدَّ عَلَيْهَا طُرُقَهَا هِمَمِي
بِرِقَّةِ الْحَالِ وَأَعْدِرْنِي وَلَا تَلْمِ وَذَكَرَ جُودٍ وَمَحْصُولِي عَلَى الْكَلِمِ
وَيَنْجَلِي خَبْرِي عَنْ صِمَّةِ الصَّمَمِ فَالآنَ أَفْحَمُ حَتَّى لَاتِ مُقْتَحَمِ
وَالْحَرْبُ أَقْوَمُ مِنْ سَاقِ عَلَى قَدَمِ حَتَّى كَأَنَّهَا ضَرْبًا مِنَ اللَّمَمِ
كَأَنَّهَا الصَّابُ مَذْرُورٌ عَلَى اللَّجْمِ^(٣)

ولا شك أن لغة هذه الأبيات كلغة سابقتها فهي ضاربة في قوة طلب الآمال فالمتنبي لا يضيع وقته في الرجاء ولا يقنع باليسير ، فهو يسافر في طلب المال والعلا حتى ولو دفع حياته ثمناً لذلك وهذه الآمال لا حدود لها عند المتنبي فقد قال من الطويل :

تَغْرَبَ لَا مُسْتَعْظِماً غَيْرَ نَفْسِهِ وَلَا قَابِلاً إِلَّا لِخَالِقِهِ حُكْمًا
وَلَا سَالِكاً إِلَّا فُؤَادَ عَجَاجَةٍ وَمَا تَبْتَغِي؟ مَا أَبْتَغِي جَلَّ أَنْ يُسْمَى^(٤)

١ الديوان ج ٢ ص ٤٥

٢ الديوان ج ٢ ص ٤٦

٣ الديوان ج ٤ ص ١٥٥

٤ الديوان ج ٤ ص ٢٣٣

ولنأخذ هذا المثال أيضاً على حديثه عن الآمال في صباه وهو قوله من الطويل :

تُحَقِّرُ عِنْدِي هِمَّتِي كُلَّ مَطْلَبٍ وَيَقْصُرُ فِي عَيْنِي الْمَدَى الْمُتَطَاوِلُ
وما زلتُ طَوْدًا لا تَزُولُ مَنَاكِي إلى أَنْ بَدَتْ لِلضَّيْمِ فِي زَلَازِلُ
فَقَلَّقْتُ بِالْهَمِّ الَّذِي قَلَّقَ الْحَشَا قَلَاقِلَ عَيْسٍ كُلَّهُ — نَّ قَلَاقِلُ
إِذَا اللَّيْلُ وَارَانَا أَرْتْنَا خِفَافَهَا بَقَدَحِ الْحَصَى مَا لَا تُرِينَا الْمَشَاعِلُ
كَأَنِّي مِنَ الْوَجْنَاءِ فِي ظَهْرِ مَوْجَةٍ رَمَتْ بِي بِحَارًا مَا لَهْنُ سَوَاحِلُ
يُخَيِّلُ لِي أَنَّ الْبِلَادَ مَسَّ — أَمْعِي وَأَتَّى فِيهَا مَا تَقُولُ الْعَـوَازِلُ
وَمَنْ يَبِغِ مَا أَبْغِي مِنَ الْمَجْدِ وَالْعَلَى تَسَاوِ الْمَحَايِي عِنْدَهُ وَالْمَقَاتِلُ^(١)

فهمة المتنبى الكبيرة وآماله البعيدة تربه الغايات البعيدة قريبة والأمور الجسام حقيرة وهو كالجبل العظيم لا يقبل الظلم أبداً فداخله ملتهب حتى صوره بهذه الألفاظ التي امتلأت بحروف القلقلة يعطي لهذه الصورة حركة تكاد تبصرها حين تقرأ البيت:

فَقَلَّقْتُ بِالْهَمِّ الَّذِي قَلَّقَ الْحَشَا قَلَاقِلَ عَيْسٍ كُلَّهُنَّ قَلَاقِلُ

فهو لا يكف عن سرى الليل بل ويغذ السير فيه حتى أن الأحجار المنفية من أقدام ناقته ضؤها غلب ضوء المشاعل ، فهو لا يستقر له قرار في بلد ، بل يديم السفر والترحال ولكل هذا سبب عظيم واحد وهو قوله :

وَمَنْ يَبِغِ مَا أَبْغِي مِنَ الْمَجْدِ وَالْعَلَى تَسَاوِ الْمَحَايِي عِنْدَهُ وَالْمَقَاتِلُ

فالهلاك مرتبط بطلب المعالي والمتنبى وطن نفسه لذلك .

القسم الثاني : حديثه عن آماله وآلامه في فترة ما بعد الصبا "

من خروجه من الكوفة قرابة سنة ٣٢٥ إلى سنة ٣٤٧ "

سأضرب لهذه الحقبة عدة أمثلة نستوضح من خلالها سماقتها يقول في قصيدة يمدح فيها على بن إبراهيم التنوخي من الوافر :

أَفَـكَّرُ فِي مُعَاقَرَةِ الْمَنَايَا وَقَوْدِ الْخَيْلِ مُشْرِفَةَ الْهَوَادِي
زَعِيمٌ لَلْقَنَا الْخَطِيَّ عَـزْمِي بَسْفَكِ دَمِ الْحَوَاضِرِ وَالْبَوَادِي
إِلَى كَمْ ذَا التَّخْلِيفِ وَالتَّوَانِي وَكَمْ هَذَا التَّمَادِي فِي التَّمَادِي
وَشُغْلِ النَّفْسِ عَنِ طَلْبِ الْمَعَالِي بَيْعِ الشُّعْرِ فِي سَوْقِ الْكَسَادِي

^١ الديوان ج ٣ ص ٢٩٣ - ٢٩٤ وشرحها بحاشية الصفحات ٢٩٣ - ٢٩٥ .

وما ماضي الشباب مُسْتَرَدٌّ

ولا يومٌ يمرُّ مُسْتَعَادٍ (١)

وتميزت هذه الفترة بقوة طلب الآمال ولكنها قوة مختلطة بالعقل والرؤية إلى حد ما منتفياً عنها اندفاع الشباب الأهوج فنراه هنا سيلتزم ملازمة الحروب ليحقق مآربه وسيقطع رأس من يقف في وجهه سواء كان من أهل الحضر أو البادية ، فعزمه كفيل له بذلك ولذا لا داعي لتأخير هذا الأمر فهو يبحث عن المعالي ولذا لن يشغل نفسه بقول الشعر فيمن لا يستحق ذلك فما يمر من الأيام لا يعود والشباب إذا تقضى فات بلا رجعة .

ولنأخذ مثلاً آخر لهذه الحقة وهو قوله يمدح كافور ويصور آماله العظيمة من الطويل :

أودُّ مِنَ الْأَيِّمِ مِمَّا لَا تَوَدُّهُ
يُبَاعِ عِدْنَ حَبِيبًا يَجْتَمِعْنَ وَوَصَلُهُ
أَبَى خُلُقِ الدُّنْيَا حَبِيبًا تُدِيمُهُ
وَفِي النَّاسِ مَنْ يَرْضَى بِمِيسُورِ عَيْشِهِ
وَلَكِنَّ قَلْبًا بَيْنَ حَبِيبِي مِمَّا لَهُ
يَرَى جِسْمَهُ يُكْسَى شُفُوفًا تَرُبُّهُ
يُكَلِّفُنِي التَّهَجُّيرَ فِي كُلِّ مَهْمَةٍ
عَلَيْقِي مَرَاعِيهِ وَزَادِي رَبْدُهُ (٢)

والتأمل لهذه الأبيات يلمس شدة الطلب المترحة بالعقل والنظر الصحيح فهو يطلب الإنصاف من الأيام ويستغرب هذا الطلب من الأيام وهي سبب الفراق ويخبر عن غرابة ذلك فالأيام تبعد الحبيب الموصل فكيف سترد الحبيب المقاطع؟! فالأيام لا تبقي عليك ما في يدك وأما ما مضى فهو أبعد من الرجوع إليك !

القسم الثالث : حديثه عن آماله من آخر عهده بكافور إلى وفاته "

المستقرئ لأشعاره في هذه الفترة يجد أن الطموح خفت بشكل كبير وأصبح المتنبئ يرضى بالقليل ويتبرم من الدهر كثيراً فقد قال عند ابن العميد من الكامل :

أَعْطَى الزَّمَانُ فَمَا قَبِلْتُ عَطَاءَهُ
وَأَرَادَ لِي فَأَرَدْتُ أَنْ أَتَخَيَّرَا (٣)

١ الديوان ج ٢ / ٧٦ - ٧٧ وشرحها بحاشية صفحتي ٧٦ و ٧٧

٢ الديوان ج ٢ / ١١٩ وشرحها بحاشية صفحتي ١١٩ - ١٢٠ .

٣ الديوان ج ٢ ص ٢٦٩

وهو لم يساو نفسه بالممدوح كعادته ولم يتحدث عن نفسه وطلبه للمعالي وآماله إلا بهذا البيت بعد تأول منا حيث يمكن تفسيره بأنه ترفع عن قبول عطايا الزمن لبعده همته ولكنها همة محدودة هذه المرة حيث عاد وأخبر بأنه رضي بالمنزل الطيب عند ابن العميد وسر بذلك بل وفضل به جميع الناس ولم يعد يتحدث عن طلب الملك كعادته عند كافور مثلاً حيث قال في آخر قصيدته العميدية :

أنا من جميع الناس أطيب مَترلاً وأسرُّ راحلةً وأربحُ متَجراً^(١)

وكذا فعل عند عضد الدولة حيث لم يعل صوتاً بآماله التي كان يملأ الدنيا بها دويّاً ولم أجد في العضديات سوى الكثير من الشكاوى والتبرم من الزمن وغيظ وحقن على الأيام وسأتعرض لبعض الأمثلة في السطور التالية ثم ، سأضرب أمثلة لحديثه ومعاناته في معاملة من لا يوافقون طبعه :

يقول المتنبي لأبي عبيد الله الخصيبي القاضي من البسيط التام :

أفاضلُ الناسِ أغراضٌ لدى الزَّمنِ يَنخلُو منَ الهَمِّ أخـَـ لاهم من الفِطَنِ
وإنَّما نَحْنُ في جيلٍ سـَـ واسبيةٍ شرٌّ على الحرِّ من سُقمٍ على بدنِ
حويُّ بكلِّ مكانٍ مِنْهُمُ خـَـ لَقٌ تُخطي إذا جئتَ في استِفهامِها بَمَنِ^(٢)

ويتضح من لغة المتنبي معاناته الشديدة من كيد ومكر مخالفيه ومقدار ما كانوا عليه من الخسة واللؤم وهو يريد أن يقول : على قدر الهمم تكون الهموم وذلك لأن العاقل يفكر في عواقب الأمور ويهتم لها والمتنبي مهتم ومغتم ممن حوله حتى أنكر الاستفهام عنهم بمن التي هي للعاقل .

ويواصل المتنبي قائلاً:

لا أَقتري بِلداً إلا على غَرَرٍ ولا أُمَرُّ بِخـَـ لَقٍ غيرِ مُضْطَغنِ
ولا أعاشرُ من أَملا كِهمِ مَلِكاً إلا أَحَقَّ بِضَرْبِ الرِّاسِ من وَثَنِ
إِنِّي لأَعذِرُهُم مِمَّا أَعَنَّهُمُ حتى أَعـَـ نَفُ نَفْسِي فيهِمُ وأني
فَقَرُّ الجَهولِ بلا قَلْبٍ إلى أدبٍ فَقرُّ الجِمارِ بلا رَأْسٍ إلى رَسَنِ
ومُدَقِّعِينَ بِسَبْرٍ صَحْبَتُهُمُ عارِينَ من حُلَلِ كاسينَ من دَرَنِ^(٣)

^١ الديوان ج ٢ ص ٢٧٩

^٢ الديوان ج ٤ ص ٣٤١

^٣ الديوان ج ٤ ص ٣٤١

وحالة المتنبي النفسية الصعبة جعلته يتصور كل الناس يحملون له الحقد والضغينة وجعلته يتوقع الخطر في أي لحظة من هؤلاء المتربصين وحتى الملوك استحقوا القتل لأنهم صور لا معنى وراءها ثم التفت المتنبي التفاتة نفسية رائعة فقال إني أجعل لهم عذراً فيما ألومهم به من الغفلة واللوم حتى أعود إلى نفسي في لومهم والعذر أنهم جهال والجاهل لا يلام على ترك المكارم وقد ضرب لهؤلاء الجاهل مثلاً رائعاً مبدئياً تعجبه بأن كيف يحتاجون للأدب وهم لا عقول لهم كالحمار كيف ما لم يكن له رأس يحتاج إلى الرسن ، وواضح من لغة الشاعر شدة الغيظ من هؤلاء الأعداء وعمق ما لقي من تربصهم له ومحاولة صدده عن المعالي وسد طرقها عنه .

وهناك مثال آخر على معاناة شاعرنا الكبير ممن لا يوافقون طبعه حيث يقول مادحاً علي بن محمد بن سيار التميمي مستذكراً ما لقي من الحساد كابن كروس وغيره ممن آذوه وهو بطيرية وانطاكية حيث يذكر الليل من الوافر :

أُعَدُّ بِهِ عَلَى الدَّهْرِ الذُّنُوبَا	أُقَلِّبُ فِيهِ أَجْفَانِي كَأَنِّي
يَظَلُّ بِلَحْظِ حُسَّادِي مَشُوبَا	وَمَا لَيْلٌ بِأَطْوَلَ مِنْ نَهَارٍ
أَرَى لَهُمْ مَعِيَ فِيهَا نَصِيبَا	وَمَا مَوْتُ بِأَبْعَضَ مِنْ حَيَاةٍ
لَوْ انْتَسَبْتُ لَكُنْتُ لَهَا نَقِيبَا (١)	عَرَفْتُ نَوَائِبَ الحَدَثَانِ حَتَّى

وهل أكبر من هذه المعاناة التي جعلت المتنبي تستوي عنده حياته مع حساده بموته وهنا مثال آخر من رثائته لجدته وقد شدد فيها الدم على من لا يوافقون طبعه فقال من الطويل :

أَذُمَّ إِلَى هَذَا الزَّمَانِ أَهْيَلَهُ	فَأَعْلَمُهُمْ فَدَمٌ وَأَحْزَمُهُمْ وَغَدُ
وَأَكْرَمُهُمْ كَلْبٌ وَأَبْصَرُهُمْ عَمٍ	وَأَسْهَدُهُمْ فَهْدٌ وَأَشْجَعُهُمْ قِرْدُ (٢)

فأهل زمانه وحساده يتصفون في رأيه بقلّة الفهم والحمق والخسة وعمى القلب وعدم التيقظ ولقد عانى المتنبي في معاملة من لا يوافقون طبعه كبير المعاناة ولا أدل على ذلك من بيته الذائع الذي ذكره في مدحته لمحمد بن سيار التميمي حيث قال من الطويل :

وَمَنْ نَكَدِ الدُّنْيَا عَلَى الحُرِّ أَنْ يَرَى	عَدُوًّا لَهُ مَا مِنْ صِدَاقَتِهِ بُدُّ (٣)
---	--

وقد وجد في نسخة الواحدي دون غيرها هذين البيتين بعد البيت السابق من الطويل :

١ الديوان ج ١ ص ٢٦٧
٢ الديوان ج ٢ ص ٩٣
٣ الديوان ج ٢ ص ٩٣

فيا نكد الدنيا متى أنت مقصر عن الحر حتى لا يكون له ضدُّ
يروح ويغدو كارها لوصاله وتضطره الأيام والزمن النكد^(١)
فالكريم عنده لا يجد مندوحه من إظهار الصداقة لعدوه وهذا من نكد الدنيا مع علمه أنه عدوله
ليأمن شره ويدفعه عنه .

وعند الخطيب التبريزي^(٢) أن المراد بهذا السلطان الذي لا بد من صداقته ، وكلام المتنبّي هذا منتزع
مما أصابه من الرزايا وما أدركه من الإخفاق في المطلب وما وجدته من الحسرة والمرارة وألم
الحرمان ولكن همته وآماله كانت بعيدة المدى حيث وجدته يقول من الطويل :
تُحَقِّرُ عِنْدِي هِمَّتِي كُلَّ مَطْلَبٍ وَيَقْصُرُ فِي عَيْنِي الْمَدَى الْمُتَطَاوِلُ^(٣)
وقد كان لزاماً على من هذه همته وطموحه أن يعدّ نفسه لمعالي الأمور وأن يكدّ ويكدح ويصبر
ويصابر ويعمل ويثابر وهذا ما فعله المتنبّي حتى انطفأت شمعة حياته .

الفصل الثالث

الكمالات النفسية التي عني
المتنبي بإبرازها
الشجاعة — الكرم — الوفاء

الفصل الثالث : الكمالات النفسية التي عني المتنبي بإبرازها
الشجاعة — الكرم — الوفاء

الشجاعة :

من أبرز ما تغنى به المتنبي من الصفات النبيلة وشعره يوضح لنا ذلك بجلاء فقد تحدث فيه عن قيم فارس صنيديد مستعد متأهب دوماً لحوض غمار المعارك وقد تحدث عن ذلك منذ صغره إلى آخر حياته الحافلة بالكفاح .

فمن شعر صباه قوله من الطويل :

إلى أيّ حينٍ أنتَ في زيِّ مُحْرَمٍ وَحَتَّى مَتَى فِي شِقْوَةٍ ————— وَإِلَى كَمٍ
وَإِلَّا تَمُتْ تَحْتَ السَّيْفِ مَكْرَمًا تَمُتْ وَتُقْ ————— أَسِي الذَّلِّ غَيْرَ مُكْرَمٍ
فَتَبْ وَاتِّقَاً بِاللَّهِ وَثَبَةً مَا جِـدِ يَرَى الْمَوْتَ فِي الْمِهْجَا جَنَى النِّحْلِ فِي الْقَمِ (١)

فهذا منهج الإقدام اختطه لنفسه من البداية فسبيله أبداً حوض المعارك وهو مستلذ بذلك بل يراه أحلى من الشهد فهل من شجاعة أكبر من ذلك ؟

وفي قصيدة أخرى من صباه وهي القصيدة التي يرى الواحدي أنه سمى المتنبي بسبب البيت الذي ورد فيها يشبه المتنبي نفسه فيه بالسيد المسيح ونبي الله صالح عليه السلام وقد ورد فيها العديد من الأبيات يمتدح فيها شجاعته منها قوله من الخفيف :

مَفْرَشِي صَهْوَةَ الْحِصَانِ وَلِكِـ مِنْ قَمِيصِي مَسْرُودَةٌ مِنْ حَدِيدِ
لَأُمَّةٍ فِدَايَةٌ أَضَاةٌ دِلَاصٌ أَحْكَمَتْ نَسَجَهَا يَدَا دَاوُدِ (٢)

فموضع فراشه ظهر حصانه على الدوام وثيابه الدروع ، ووصف الدرع بعدة صفات فهي لأمة أي ملتزمة الصنع وفاضة أي تعم جسم صاحبها والأضياء : الغدير شبهت الدرع به لبريقها وصفائها ودلاص أي براقه لينة ملساء فهو على تأهب دائم وتيقظ مستمر لحرب أعدائه .
ويبرز لنا في أبيات هذه القصيدة ذلك البيت المجلجل الذي حفظته القلوب وردد على كل لسان وهو قوله :

عِشْ عَزِيزًا أَوْ مِتْ وَأَنْتَ كَرِيمٌ بَيْنَ طَعْنِ الْقَنَا وَخَفَقِ الْبُنُودِ (٣)

فإما أن تعيش عزيزاً ممتعاً من أعدائك أو تموت موت الكرام في الحرب فلا أدل على شجاعة الرجل من أن يموت في أرض المعركة وهذا خير له من العيش في الذل .

١ الديوان ج ٤ ص ١٥٠ وشرحه بحاشية الصفحة .
٢ الديوان ج ٢ ص ٤٤ وشرحه بحاشية الصفحة .
٣ الديوان ج ٢ ص ٤٥ وشرحه بحاشية الصفحة .

ولقد ترعرع المتنبى بهذه النفس الشجاعة التي لا تهاب فوجدته على مستوى رفيع من الشجاعة حينما عدله معاذ اللاذقي على تموره فرد بهذه الأبيات التي لا يقولها إلا رجل مغوار حيث قال من الوافر :

أَبَا عَبْدٍ — إِلَهٍ مُعَاذُ: إِنِّي
ذَكَرْتُ جَسِيمَ مَا طَلَبِي وَإِنَّا
أُمْتَلِي تَأْخُذُ النَّكَبَاتُ مِنْهُ
وَمَا بَلَغَتْ مَشِيئَتَهُ — اللَّيَالِي
إِذَا امْتَلَأَتْ عُيُونُ الْخَيْلِ مِنِّي
خَفِيُّ عَنكَ فِي الْهَيْجَا مَقَامِي
نُخَاطِرُ فِيهِ بِالْمُهَجِ الْجِسَامِ
وَيَجْزَعُ مِنْ مُلَاقَاةِ الْحِمَامِ
وَلَا سَارَتْ وَفِي يَدِهَا زِمَامِي
فَوَيْلٌ فِي التِّيَقُّظِ وَالْمَنَامِ (١)

وهي بلا شك أبيات غاية في القوة يخبر فيها عن مقدار ما في نفسه من الشجاعة وما طبع عليه من الجرأة والبأس ، فهو يخاطر بروحه العظيمة لأمر عظيم ، غير آبه بالنكبات فهو أمامها إما صابر أو حازم متحدياً كل أحد حتى الزمان نفسه لو برز إليه لجدَّ هامته عن جسده وقد ختم هذه الأبيات بيت غاية في روعة التعبير عن مراده فكل من يقف في طريقه محاولاً صدّه عن مراده له الهلاك فلن يهنأ بالأمن في يقظته ولن يذوق اللذة والراحة في منامه وماذا ننتظر ممن هذا قوله وهو على مشارف العشرين من عمره إلا أن يكون سيداً مقداماً له صولات وجولات ونزالات ينتصر فيها على أعدائه .

وهذا مثال آخر على ما في نفس أبي المحسّد من الشجاعة وهو من قصيدة بلغت الغاية في القوة وقد قالها مادحاً علي بن احمد بن عامر الأنطاكي حيث قال من الطويل :

أَطَاعِنُ خَيْلًا مِنْ فَوَارِسِهَا الدَّهْرُ
وَأَشْجَعُ مِنِّي كُلَّ يَوْمٍ سَلَامَتِي
تَمَرَّسْتُ بِالْآفَاتِ حَتَّى تَرَكْتُهَا
وَأَقْدَمْتُ إِقْدَامَ الْآتِي كَأَنَّ لِي
ذَرِ النَّفْسِ تَأْخُذُ وَسَعَهَا قَبْلَ بَيْنِهَا
وَلَا تَحْسَبَنَّ الْمَجْدَ زَقًا وَفَيْئَةً
وَتَضْرِبُ أَعْنَاقَ الْمُلُوكِ وَأَنْ تُرَى
وَتَرْكُكَ فِي الدُّنْيَا دَوِيًّا كَأَنَّما
وَحِيدًا وَمَا قَوْلِي كَذَا وَمَعِيَ الصَّبْرُ
وَمَا ثَبَّتَ إِلَّا وَفِي نَفْسِهِ — أَمْرُ
تَقُولُ أَمَاتَ الْمَوْتَ أَمْ ذُعِرَ الذُّعْرُ
سَوَى مُهَجَّتِي أَوْ كَانَ لِي عِنْدَهَا وَثْرُ
فَمُفْتَرِقُ ج — ارانِ دَارُهُمَا الْعُمْرُ
فَمَا الْمَجْدُ إِلَّا السَّيْفُ وَالْفَتَكَةُ الْبِكْرُ
لَكَ الْهَبَوَاتُ السُّودُ وَالْعَسْكَرُ الْمَجْرُ
تَدَاوَلَ سَمٌ — عَ الْمَرْءِ أَنْمَلُهُ الْعَشْرُ (٢)

١ الديوان ج ٤ ص ١٦٢ وشرحها بحاشية صفحتي ١٦٢ — ١٦٣
٢ الديوان ج ٢ ص ٢٥٢ وشرحها بحواشي الصفحات ٢٥٢ — ٢٥٤

والمتنبي يخبر عن مقاتلته لأحداث الدهر الجسام وحيداً ثم يعود على نفسه ويقول لست وحيداً ومعني صبر عظيم أقوى من هذه الأهوال والأحداث ويخبر عن عدم إصابة الأحداث له بسوء مجاز رائع حيث يقول إن سلامتي وبقائها معي في هذه المطاعنة أشجع مني ويواصل المتنبي حديثه عن سلامته التي جسمها في صورة آدمي يستغرب ما يحصل من مخاطراته بنفسه في الحروب حتى أن سلامته تسأل مستغربة هل مات الموت؟ أم خافت المخاوف فلا تصيبك؟ وما قولها إلا لما رأت كثرة إقدامه دون أن يلحقه أذى، ثم يعاود التأكيد على أن المجد الحقيقي والشرف الرفيع ليس في شرب الخمر وسماع المغنيات ولكنه في البطش بالأعداء بطشاً لم يسمع بمثله وأن تثير الغبار بجوافر خيلك في المعارك وقد ختم هذه الأبيات بهذا الصوت الذي بلغ الدنيا بأسرها وهو قوله:

وتركك في الدنيا دويّاً كأنما تداول سمع المرء أنمّله العشر

وهذا الصوت العظيم لاشك هو صوت المساعي الجسام وصياح الأفاعيل العظام! ومثل هذه الأبيات السابقة في تمدحه برباطة الجأش وعدم المبالاة بالأخطار — هذه الأبيات في مدحته لأبي أيوب أحمد بن عمران وفيها قوله من الكامل:

وترى المروّة والفتوة والأبو في كلّ مليحة ضـرّاتِها
هـنّ الثلّات المانعاني لذّي في خلوتي لا الخوف من تبعاتِها
ومطالب فيها الهلاك أتيها ثبت الجنان كآني لم آتها
ومقانب بمقانب غادرتهَا أقوات وحش كُن من أقواتِها^(١)

فهو يتمدح بكرمه وسخائه ومروءته وبغزة نفسه فهذه الصفات الجليلة تحول بينه وبين الخلوة بالحسان فكأنما هي ضرائر لهنّ وأوضح ذلك في البيت الثاني بأنّه لا يخاف عواقب الأمور في خلوته بالحسان ولكنّ كرمه وغزة نفسه ومروءته هي تمنعه حتى لو لم يكن للشارع عقاب لهذه الأمور وهذا ينبى عما في طبعه الكريم من الخلال الحميدة وهو هنا لا يفوته التنوية برباطة جأشه في مواطن الهلاك وهو دليل قوي على شجاعته ولقد كان من عادته أن يلقي المقنب وهو الطائفة من الخيل تجتمع للإغارة على مثلها ولكنه لا يغادرها حتى يتركها طعام للوحوش والطيور التي كانت تصطادها قبل لقاءه وتقتات بها فتحولت بعد اللقاء إلى طعام لها! .
والمتنبي لا يهاب أبداً فقد قال عند أبي الفضل الأنطاسي من الطويل:

لا تَجَسُرُ الفُصْحَاءُ تُنْشِدُ هَهُنَا بَيْتاً وَلَكِنِّي الهِزْبُ البِـسَاسِ
ما نالَ أَهْلُ الجَاهِلِيَّةِ كُلَّهُمْ شِعْرِي وَلَا سَمِعْتُ بِسَحْرِي بَابِلُ^(١)

وهو لا يرى من يماثله في الشجاعة بين الخلائق فقال من الطويل :

أَمْطَ عَنْكَ تَشْبِيهِي بِمَا وَكَأَنَّهُ فَمَا أَحَدٌ فَـوَقِي وَلَا أَحَدٌ مِثْلِي
وَذَرْنِي وَإِيَّاهُ وَطِرْفِي وَذَابِلِي نَكُنْ وَاحِداً يَلْقَى الْوَرَى وَانظُرَنَّ فَعْلِي^(٢)

فهو يمنع أن يستخدم معه التشبيه لأنه لا شبيه له ولا أحد أفضل منه وهو وفرسه ورمحه تكون في رأي العين شيئاً واحداً لكنّه له فعل عظيم في رقاب محاربيه فإنّ من يراه سيسره ذلك المنظر الذي تساقط فيه رقاب الأعداء والخصوم .

ولنا في قصيدته التالية وهي من قصائد صباه شاهد قوي على ما في نفسه من الشجاعة وقد أطلق فيها الوعيد والتهديد لكل من يقف في طريقه حيث يقول فيها من البسيط :

سَيَصْحَبُ النَّصْلُ مِنِّي مِثْلَ مَضْرِبِهِ وَيَنْجَلِي خَبْرِي عَنْ صِمَّةِ الصَّمَمِ
لَقَدْ تَصَبَّرْتُ حَتَّى لَا تَ مُصْـطَبَّرِ فَالآنَ أَقْحَمُ حَتَّى لَا تَ مُقْتَحَمِ
لَأَتْرُكَنَّ وُجُوهُ الخَيْلِ سَاهِمَةً وَالْحَرْبُ أَقْوَمُ مِنْ سَاقٍ عَلَى قَدَمِ
وَالطَّعْنُ يُحْرِقُهَا وَالزَّجْرُ يُفْلِقُهَا حَتَّى كَأَنَّ بِهَا ضَرْباً مِنَ اللَّهْمِ
قَدْ كَلَّمْتَهَا الْعَوَالِي فَهِيَ لِكَالِحَةٍ كَأَنَّمَا الصَّبَابُ مَذْرُورٌ عَلَى اللُّجَمِ
بِكُلِّ مُنْصَرَلَةٍ مَا زَالَ مُنْتَظَرِي حَتَّى أَدَلْتُ لَهُ مِنْ دَوْلَةِ الخَدَمِ
شَيْخٌ يَرَى الصَّلَوَاتِ الخَمْسَ نَافِلَةً وَيَسْتَحِلُّ دَمَ الحُجَّاجِ فِي الحَرَمِ
وَكُلَّمَا نُطِحَتْ تَحْتَ العِجَاجِ بِهِ أَسْدُ الكِتَابِ رَامَتُهُ وَلَمْ يَرِمِ
تُنْسِي البِلَادَ بُرُوقَ الجِـوِّ بَارِقِي وَتَكْتَفِي بِالدِّمِّ الجَارِي عَنِ الدِّيمِ
رِدِّي حِيَاضَ الرِّدَى يَا نَفْسِ وَأَتْرُكِي حِيَاضَ خَوْفِ الرِّدَى لِلشَّاءِ وَالنَّعَمِ
إِنَّ لَمْ أَذْرِكْ عَلَى الأَرْمَاحِ سَائِلَةً فَلَا دُعِيْتُ ابْنَ أُمِّ المَجْدِ وَاللُّكْرَمِ
أَيْمَلِكُ المُلْكَ وَالأَسْيَافُ ظَامِئَةً وَالطَّيْرُ جَائِعَةٌ لِحَمٍّ عَلَى وَضَمِ
مَنْ لَوْ رَأَى مَاءً مَاتَ مِنْ ظَمًا وَكَوْ عَرَضْتُ لَهُ فِي النَّوْمِ لَمْ يَنِمِ
مِيعَادُ كُلِّ رَقِيقِ الشَّفْرَتَيْنِ غَدًا وَمَنْ عَصَى مِنْ مَلُوكِ العُرْبِ وَالعِجَمِ

^١ الديوان ج ٣ ص ٣٧٦

^٢ الديوان ج ٣ ص ٢٨١ وشرحها بحاشية الصفحة .

فَإِنْ أَجَابُوا فَمَا قَصْدِي بِهَا لَهُمْ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَمَا أَرْضَى لَهُ — ا بِهِمْ^(١)

وهذا صوت عالي يصيح المتنبي به معلنا عن شجاعته وتحديه فهو حاد كحدة سيفه لاشيء يرده عن تحقيق مبتغاه ومراده وقد نفذ صبره فلا سبيل إلا إقحام نفسه في المهالك والحروب حتى تتغير معها ألوان وجوه خيله وهي توصف بالجنون من كثرة اضطرابها ولي هنا وقفتان مع بيتين من هذه القصيدة الأولى مع قوله:

شَيْخٌ يَرَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ نَافِلَةً وَيَسْتَحِلُّ دَمَ الْحُجَّاجِ فِي الْحَرَمِ

شيخ يرى الصلوات الخمس نافلة ويستحل دم الحجاج في الحرم^(٢)

وهذا البيت إن أخذنا بظاهره فهو أقرب إلى الهجاء من المدح ولكني أرى أن تفسير كلمة شيخ الأقرب للمعنى هو أن الشيخ من أسماء السيف وهو ينسجم مع هذا البيت ومع معنى البيت التالي له وهو قوله :

وَكُلَّمَا نُطِحَتْ تَحْتَ الْعَجَاجِ بِهِ أُسْدُ الْكُتَّابِ رَامَتْهُ وَلَمْ يَرِمِ^(٣)

والعرب تتمدح بقدم السيوف ولذا سمي بالشيخ وقيل سمي به لبياضه تشبيهاً بالشيب وقد فسر صاحب المشكل الشيخ بالمجرب وقال أي لا يعني بمفروضات الدين مبالغة في المضاء حتى لا يرده التخرج الذي يوجه الدين فضلاً عما سواه .
وأما الوقفة الثانية فمع قوله :

تُنْسِي الْبِلَادَ بُرُوقَ الْجَوِّ بَارِقِي وَتُكْتَفِي بِالدِّمِّ الْجَارِي عَنِ الدِّيمِ^(٤)

وقد علق العكبري على البيت بقوله " وهذا كلام مشبع بالحماسة حتى لو قاله أحد بني بويه أو بني أرتق أو بني أيوب لنسب إلى ذلك وهم ملوك الأرض وحماها وأرباب المغازي وولاتها^(٥) .
أقول بأن المتنبي قد أراد المبالغة ليدل على كثرة ما يريق من الدماء فما يسقى الأرض من الدم الذي يسفكه ينوب عن ماء السماء ولا أرى أن الأمر يستحق الوصف بالحماسة كما يقول العكبري الذي كانت له أفضال كثيرة في شرحه للديوان .

وهذا قول من أقواله مرتبط بوصول فقد قاله من قصيدة يمدح بها سيف الدولة بعد وقعة حصلت قرب بحيرة الحدث حيث نكب معظم الجيش ولم يثبت إلا المتنبي ونفر قليل مع سيف الدولة حيث يقول من البسيط :

^١ الديوان ج ٤ ص ١٥٧ وشرحها بحواشي الصفحات ١٥٧ - ١٦٢ .

^٢ الديوان ج ٤ ص ١٥٩ ينظر شرح الديوان حاشية ص ١٥٩

^٣ الديوان ج ٤ ص ١٥٩ ينظر شرح الديوان حاشية ص ١٥٩

^٤ الديوان ج ٤ ص ١٦٠ ينظر شرح الديوان حاشية ص ١٦٠ .

أَطْرَحُ الْمَجْدَ عَنْ كَتْفِي وَأَطْلُبُهُ وَأَتْرُكُ الْعَيْثَ فِي غِمْدِي وَأَنْتَجِعُ
وَالْمَشْرِفِيَّةُ لَا زَالَتْ مُشْرِفَةً دَوَاءُ كُلِّ كَرِيمٍ أَوْ هِيَ الْوَجَعُ
وَفَارِسُ الْخَيْلِ مَنْ خَفَّتْ فَوْقَهَا فِي الدَّرْبِ وَالدَّمِّ فِي أَعْطَافِهِ دُفْعُ
فَأَوْحَدْتُهُ وَمَا فِي قَلْبِهِ قَلَقٌ وَأَغْضَبْتُهُ وَمَا فِي لَفْظِهِ قَدْعُ^(١)

فالمجد وسعة الرزق عند المتنبى يطلبان بالسيف وهو يتساءل هل أطلبهما من غير طريقيهما ؟ وإذا فعل فإنه يكون كمن طرح عن كتفه ما يطلبه وترك في غمدة ما ينتجعه .

والبيتان الأخيران يعدان من أجود الأبيات في حميمية العلاقة بين الفارس وفرسه ، فخيله وإن تركته وحيداً لا يكون في لفظه فحش ، فهو لا يقلق لشجاعته وهو حليم عليها .

وهذا مثال آخر من قصيدة يصف فيها مسيره في البوادي حيث يقول من الوافر :

أَوَانًا فِي بُيُوتِ الْبَدْوِ رَحْلِي وَأَوَانَةً عَلَى قَتَدِ الْبَعْرِ
أُعْرِضُ لِلرَّمَاكِ الصُّمِّ نَحْرِي وَأَنْصِبُ حُرّاً وَجْهِي لِلْهَجِيرِ
وَأَسْرِي فِي ظَلَامِ اللَّيْلِ وَحُدِي كَأَنِّي مِنْ مَنْهٍ فِي قَمَرٍ مُنِيرِ^(٢)

فهو يصف لنا طول ارتحاله وقلة مقامه ولذا استخدم مع طول الارتحال الأونة وهي في اللغة جمع الأوان وقال في النزول أواناً فهو صاحب سفر مستمر يعرض من شجاعته نفسه دوماً للأخطار ولا يرده عن مراده شدة الحر ولا ظلمة الليل وفيه دليل على معرفته بالطرق بالإضافة إلى شجاعته فهو يهتدي إلى ما يريد في كل وقت ولا يهاب شيئاً يصده عن مراده .

وقبل أن أترك زمام الحديث عن شجاعته سأورد بعض الأدلة على تأكيدها من حوادث حياته وسأرد على بعض الشكوك حولها على النحو التالي :

الأدلة على شجاعة المتنبى :

(١) نزلاته الطويلة مع سيف الدولة في حروب الروم

صحب المتنبى سيف الدولة ثمان سنين وأصبحت قصائده في وصف حروبه مع الروم سجلاً ماثلاً وحافلاً بكل تفاصيل هذه المعارك فقد وصفها وصف الموقف المعاش عن قرب وقد قالت العرب في أمثالها ليس الخبر كالمعاينة وقد كانت معاينة المتنبى عن قرب وأنا أعتقد أن سبب ذلك يعود إلى أن المتنبى قد وجد في سيف الدولة الحمدايي ضالته المنشودة ومثله الذي يسعى إليه

^١ الديوان ج ٢ ص ٣٣٢ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٢ الديوان ج ٢ ص ٢٤٦ وشرحه بحاشية الصفحة .

وحزم بأن طموحه سيتحقق معه بالإضافة إلى ما وجدته عند الأمير العربي من الحرية والإكرام ووجد سداً لكل فراغاته النفسية ، فسيف الدولة رجل عربي الأصل يعادي العجم ويحارب الروم ويدافع عن الإسلام ويحمي ثغوره وهو من جهة أخرى رجل أديب عذب اللسان متفهم للشعر كريم العطاء وما مشاركة المتنبي في كل هذه المعارك إلا دليل واضح على قوة قلبه وأنه رجل غير هيّاب للحروب ، بل نزاع لكل شرف وقد عرفنا أن المتنبي لا يرى الشرف إلا في ظلال السيوف وساحات الوغى .

(٢) حادثة مقتله :

وسأروي هنا مقطعين من كتاب الصبح المنبي للبديعي في حادثة مقتله الأول :
" يقول أبو نصر محمد الجبلي : " وافاني المتنبي ومعه بغال موقرة بكل شيء من الذهب والطيب والتحملات النفسية والكتب الثمينة والآلات لأنه كان إذا سافر لم يخلف في منزله درهماً ... فلما أمسينا قلت له يا أبا الطيب على أي شيء أنت مجمع ؟ قال : على أن اتخذ الليل مركباً فإن السير فيه يخف عليّ قلت : هذا هو الصواب رجاء أن يخفيه الليل ولا يصبح إلا وقد قطع بلداً بعيداً وقلت له : والرأي أن يكون معك من رجاله هذه البلدة الذين يعرفون هذه المواضع المخيفة جماعة يمشون بين يديك إلى بغداد فقطب وجهه وقال : لم قلت هذا القول ؟ فقلت : لتأنس بهم ، فقال أما والجزار في عنقي فما بي حاجة إلى مؤنس غيره قلت : الأمر كما تقول والرأي في الذي أشرت به عليك فقال تلويحك بيني على تعريض وتعريضك بيني عن تصريح ، فعرفني الأمر وبين لي الخطب فقلت : إن هذا الجاهل فاتكا كان عندي منذ ثلاثة أيام وهو غير راض عنك لأنك هجوت ابن أخته طبة وقد تكلم بأشياء توجب الاحتراز والתיقظ ومعه أيضاً نحو العشرين من بني عمه قولهم مثل قوله فقال غلام أبي الطيب وكان عاقلاً : الصواب ما رآه أبو نصر خذ معك عشرين رجلاً يسرون بين يديك إلى بغداد فأغتاظ أبو الطيب من غلامه غيظاً شديداً وشتمه شتماً قبيحاً وقال والله لا أرضى أن يتحدث الناس بأني سرت في خفارة أحد غير سيفي .

قال أبو نصر : يا هذا أنا أوجه قوماً من قبلي في حاجة يسرون في مسيرك وهم في خفارتك فقال : والله لا فعلت شيئاً من هذا ثم قال : يا أبا نصر : أبخرء الطير تخشيني ؟ ومن عبيد العصا تخاف عليّ ؟ والله لو أن مخصرتي هذه ملقاة على شاطئ الفرات وبنو أسد معطشون بخمس وقد

نظروا إلى الماء كبطون الحياة ما جسر لهم خف ولا ظلف أن يرده . معاذ الله أن أشغل فكري بهم لحظة عين ... (١) "

وقد أوردت هذه القصة لما تدل عليه من شجاعته وعدم تهيبه مع علمه بما أمامه من الخطر المحدق ولكنه أقدم ولم يحجم .

وأما المقطع الثاني من قصة قتله فعلى النحو التالي :

" قيل أن سبب قتله أنه لما ورد عن عضد الدولة ومدحه وصله بثلاثة آلاف دينار وثلاثة أفراس مرحلة محلاة ثم دس له من يسأله : أين هذا العطاء من عطاء سيف الدولة ؟ فقال : إن سيف الدولة كان يعطي طبعاً وعضد الدولة تطبعاً ، فغضب عضد الدولة ، فلما انصرف جهز إليه قوماً من بني طبة فقتلوه بعد أن قاتل قتالاً شديداً ، ثم انهزم فقال له غلامه أين قولك من البسيط :

الْحَيْلُ وَاللَّيْلُ وَالْبَيْدَاءُ تَعْرِفُنِي
وَالسَّيْفُ وَالرَّمْحُ وَالْقُرْطَاسُ وَالْقَلَمُ

فقال قتلني قتلك الله ثم قاتل حتى قتل (٢)

وهنا دلائل عدة على شجاعته أولها قوله " قاتل قتالاً شديداً ولا يفعل هذا إلا الشجعان ، فالجبناء حتما سينهزمون سريعاً والدليل الثاني بقاءه تحت معنى بيته الشعري مع علمه بتحقيق حتفه وهذه قمة الشجاعة وقوة القلب على مواجهة الموت المحقق ، والثالث أنه عبّر عن رأيه ولم يهب أحداً مع علمه أن هذا القول قد يصل لعضد الدولة وأن العقاب المرقد يحل به .

(٣) مفارقة الملوك وهجائه لهم دون خوف من ملاحقتهم له وقتله

وقد فعل المتنبي ذلك مع كافور وقريباً منه مع سيف الدولة وكان المتنبي قد فارق عدداً من أمراء الشام كالتنوخيين وبدر بن عمار وابن طنج وأبي العشائر بن حمدان وإن لم يهج هؤلاء ولكنه لم يطل الإقامة في ظلال ممالكهم ويرضيهم بما يريدون من المدائح الكثيرة وهو كذلك فعل مع ابن العميد ومثله مع عضد الدولة حتى أنه كما ذكرنا في قصة سلفت تصرّحه بعدم رضاه عن عطاء عضد الدولة وأنه يرى أنه من التطيع لا من الطبع ورفضه للإقامة في بلاده وتعذره بأعداء لم تقنع عضد الدولة حتى أن بعض الرواة كما ذكرنا جعل لعضد الدولة يداً في مقتل المتنبي وهذه المفارقات التي لم يرضها هؤلاء الملوك والأمراء ولا شك تدل فيما تدل عليه على جنان ثابت غير هيّاب لما سيتخذون من قرارات صارمة وقد كان من بينها وأنا لا أستبعد مقتل شاعرنا الكبير على يد عضد الدولة .

١ الصبح المنبئ للبيدي ، تحقيق مصطفى السقا ومحمد شتا ، طبعة دار المعارف ، ص ١٧٤
٢ الصبح المنبئ للبيدي ، ط دار المعارف ، ص ١٧٥ .

(٤) ثبات المتنبي في معركة الفنا :

ثبات المتنبي وستة نفر مع سيف الدولة في معركة الفنا بعد انحسار الجيش عنهم وهي التي قال فيها قصيدته من البسيط :

غَيْرِي بِأَكْثَرِ هَذَا النَّاسِ يَنْخَدِعُ
إِنْ قَاتَلُوا جَبْنُوا أَوْ حَدَّثُوا شَجَعُوا^(١)

وقد ذكرت شروح الديوان شيئاً من تفاصيل هذه المعركة وهذا الثبات يدل على شجاعة أبي المحسّد وما من شك في ذلك .

(٥) شهادات المعاصرين له:

فهذا ابن فورجة يقول عنه :

" كان المتنبي داهية مر النفس ، شجاعاً ، حافظاً للأدب ، عارفاً بأخلاق الملوك "^(٢)
ولا أظنهم يقولون هذا عنه إلا بما خبروا منه وسمعوا ما تنوقل من أخبار شجاعته .

وسأورد الرد على بعض الشكوك حول شجاعته :

(١) الرد على قصة الرقي :

ورد في كتاب الصبح المنبي^(٣) هذا الخبر " حكى الرقي عن سيف الدولة قال : كان المتنبي يسوق فرسه فأعتلقت بعمامته طاقة من الشجر المعروف بأم غيلان فكان كلما جرى الفرس انتشرت العمامة وتحيل المتنبي أن الروم قد ظفرت به فكان يصيح الأمان ياعلج قال سيف الدولة فهتفت به فقلت : أيما علج ؟ هذه شجرة عقلت بعمامتك فود أن الأرض غيبته . فقال له ابن خالويه أيها الأمير أليس أن ثبت معك حتى بقيت في ستة أنفار تكفيه هذه الفضيلة ؟
وآخر هذه القصة يرد على أولها فثبات المتنبي مع سيف الدولة مع خمسة رجال آخرين وفرار بقية الجيش دليل أكيد على شجاعته ويبدو أن القصة تشير إلى معركة الفنا هذا أولاً وثانياً أن راو القصة " الرقي " هذا كما ذكر محققا الكتاب هو من شعراء بلاط سيف الدولة المنافسين للمتنبي فلا نستبعد أن يورد مثل هذا الخبر غمزاً في المتنبي وثالثاً إن كانت هذه القصة في معركة الفنا فلا ننفي أن يهاب الشجاع تكالب أعداءه بعد أن انحسر عنه أعوانه فلا تستلزم كلمة شجاع أنه لا يهاب الموت على الإطلاق وأن يرمي بنفسه في يد أعداءه فالخذر واجب وعدم إلقاء النفس في التهلكة مأمور به في ديننا .

^١ الديوان ج ٢ ص ٣٣٠

^٢ الصبح المنبي ، ط دار المعارف ، ص ٩٥ .

^٣ المرجع السابق ص ٧٨

(٢) قصة ابن خالوية والمفتاح :

ورد في الصبح المنبي " قال عبد المحسن علي بن كوجك : عن أباه حدثه قال : كنت بحضرة سيف الدولة وأبو الطيب اللغوي وأبو الطيب المتنبى وأبو عبد الله بن خالويه النحوي وقد جرت مسألة في اللغة تكلم فيها ابن خالوية مع أبي الطيب اللغوي والمتنبى ساكت فقال له سيف الدولة : ألا تتكلم يا أبا الطيب فتكلم فيها بما قوى حجة أبي الطيب اللغوي وضعف قول ابن خالوية ، فأخرج من كفه مفتاحاً حديداً ليحكم به المتنبى فقال له المتنبى : أسكت ويحك فإنك أعجمي وأصلك خوزي فما لك وللعربية ؟ فضرب وجه المتنبى بذلك المفتاح فأسال دمه على وجهه وثيابه فغضب المتنبى من ذلك إذا لم ينتصر له سيف الدولة لا قولاً ولا فعلاً " وأقول تعليقاً على هذه القصة أولاً أننا لا نعرف لابن خالوية أنه من أهل الحرب والشجاعة والضرب حتى نحكم بتفوقه على المتنبى .

وثانياً أن القصة وقعت في مجلس سيف الدولة وليس المكان والموقف هنا موقف نزال وعراك ويبدو أن المتنبى فضل عدم الاكتراث بفعل ابن خالوية وثالثاً وهو الأهم في نظري أن المتنبى أراد التدلّة على سيف الدولة ليختبر مكانته عنده ومما يقوي هذا الرأي أن الراوي قال بعد ذكر القصة مباشرة " فكان ذلك أحد أسباب فراقه سيف الدولة " ومن هنا نستشف قوة هذا الاستنتاج وإلا فلن يعد المتنبى صاحب التعالي على الملوك حيلة في رد فعل ابن خالويه في هذا الموقف .

(٣) الرد على قوله في كافور من البسيط :

ألا فتى يُوردُ الهنديَّ هامتهُ كيما تزولَ شكوكُ الناسِ والتُّهمُ^(٢)

وقولهم لماذا قال " ألا فتى " ولم يكن هو هذا الفتى وهذا ليس مناف للشجاعة بل يأتي في باب التحريض لأهل مصر على كافور فهو يريد أن يجرّض أهل مصر كلهم على كافور ثم إن الموقف ليس موقف نزال فردي حتى يتبين من الأشجع فهذا ملك بحرس وجيش وهذا فرد بنفسه .

(٤) الرد على من فسر قوله من البسيط :

^١ الصبح المنبي ، ط دار المعارف ، ص ٨٧ .
^٢ الديوان ج ٤ ص ٢٨١

لَوْلَا الْمَشَقَّةُ سَادَ النَّاسُ كُلَّهُمْ؛ الْجُودُ يُفْقِرُ وَالْإِقْدَامُ قَتَالٌ (١)

بأنه جبان يخاف لقاء الأعداء وأن ذلك ينافي الشجاعة

وأقول هذا تفسير من بتر البيت عن سياقة وشرحه منفرداً وأنا أعود بأهل هذا الشرح إلى البيتين السابقين للبيت حيث يقول من البسيط :

كَأَنَّ نَفْسَكَ لَا تَرْضَاكَ صَاحِبَهَا إِلَّا وَأَنْتَ عَلَى الْمِفْضَالِ مِفْضَالٌ
وَلَا تَعْلَمُكَ صَوَّانًا مُهْجَتِهَا إِلَّا وَأَنْتَ لَهَا فِي الرَّوْعِ بَدَالٌ
لَوْلَا الْمَشَقَّةُ سَادَ النَّاسُ كُلَّهُمْ؛ أَلْجُودٌ يُفْقِرُ وَالْإِقْدَامُ قَتَالٌ (٢)

فهو يقول بأن نفس أبي شجاع لا تعدّه قائماً بحق صيانتها حتى يبذلها في الروع ويقتحم بها المهالك ويتعرض بها لمواجهة الخطر ثم قال في البيت التالي بأن من أقدم على الحرب فهو معرض للقتل ومن جاد فهو معرض للفقر وبأن السيادة الحقيقية لا تتحقق دون الجود والشجاعة والبيت دون شك مفرغ عن البيتين السابقين له لا يفهم وحده وبذا يتضح أنه دعوة للشجاعة لا دليل على الجبن والخور كما قال الزاعمون .

(٢) الحديث عن وفاء المتنبى

يقول في قصيدة يمدح بها فاتكاً متحدثاً عن وفائه العظيم من البسيط :

وَإِنْ تَكُنْ مُحْكَمَاتُ الشُّكْلِ تَمْنَعُنِي ظُهُورَ جَرِيٍّ فَلَئِنْ تَصْنَهَالُ
وَمَا شَكَرْتُ لِأَنَّ الْمَالَ فَرَّحَنِي سَيَّانٍ عِنْدِي إِكْتَارٌ وَإِقْدَالُ
لَكِنْ رَأَيْتُ قَبِيحاً أَنْ يُجَادَ لَنَا وَأَنْتَا بِقَضَاءِ الْحَقِّ بَخَّالُ
فَكُنْتُ مَنِبِتَ رَوْضِ الْحَزَنِ بَاكِرُهُ غَيْثٌ بَغَيْرِ سِبَاخِ الْأَرْضِ هَطَالُ
غَيْثٌ يُبَيِّنُ لِلنُّظَّارِ مَوْقِعَهُ أَنْ الْعُيُوثَ بِمَا تَأْتِيهِ جَهَّالُ (٣)

فيقول عن نفسه إنه وإن كانت حاله ضيقة عن مكافأة الممدوح ما لا جازاه قولاً وقد جعل النضال مثلاً لثنائه على الممدوح وقد عبر عن وفائه الكبير قائلاً بأن سبب شعره الجميل هو أنه وفي لا لأن الجوائز فرحته بالفقر والغنى عنده سواسية ويذكر في البيت التالي أن سبب شكره أيضاً لأنه يرى أنه من القبح أن يجاد له بالبر والعطاء فيسكت عن الشكر لهذه النعماء ويضرب لنفسه مثلاً رائعاً بالأرض المنبتة يعني أن مطر بره لم يصادف أرضاً سبخة بل وقع على من يعرف حقه

١ الديوان ج ٣ ص ٤٠٦ وشرحه بحاشية الصفحة .

٢ الديوان ج ٣ ص ٤٠٦ وشرحه بحاشية الصفحة .

٣ الديوان ج ٣ ص ٣٩٦ وشرحه بحاشية صفحتي ٣٩٦-٣٩٧ .

ويذيع شكره وأكد ذلك في البيت التالي بأن ممدوحه عرف أين يرسل بره فهو ليس كغيره من الجهال الذين لا يعرفون المواطن الصحيحة لإحسانهم .

وعبر عن وفائه في هذه الأبيات بعد فراره من مصر ووصوله إلى الكوفة من المتقارب :

فَلَمَّا أَنْخَنَّا رَكَزْنَا الرَّمَّاءَ
وَبَتْنَا نُقْبِلُ أَسْيَافَنَا
حَ بَيْنَ مَكَارِمِنَا وَالْعُلَى
وَنَمْسُحُهَا مِنْ دِمَاءِ الْعِدَى
لِتَعْلَمَ مِصْرُ وَمَنْ بِالْعِرَاقِ
وَأَنِّي وَفَيْتُ وَأَنِّي أَيْتُ
وَأَنِّي عَتَوْتُ عَلَى مَنْ عَتَا (١)

فعبّر هنا عما في نفسه وكان يتحدى هؤلاء الذين استكروها طموحه وجابهوا شوقه للمعالي ونزوعه للمجد متفاخراً بشجاعته ووفائه وعتوه على أعدائه .

وقد كان المنتبي نزاعاً إلى فضيلة الوفاء حتى أنني وجدته يطلب من قلبه الوفاء في أحد أبياته حيث يقول من البسيط :

حَبِّبْتُكَ قَلْبِي قَبْلَ حُبِّكَ مِنْ نَأَى
وَقَدْ كَانَ غَدَاراً فَكُنْ أَنْتَ وَافِياً (٢)

وهذه الرواية للواحدي وعليها أرى الدعوة للوفاء جليلة واضحة فهو يطالبه بأن يكون وفاقاً .

ومن عظيم وفاءه حملة هم الشكر على المعروف كما قال لعضد الدولة من الوافر :

أُرُوحُ وَقَدْ خَتَمْتَ عَلَى فُؤَادِي
بِحُبِّكَ أَنْ يَجِلَّ بِهِ سِوَاكَ
وَقَدْ حَمَلْتَنِي شُكْرًا طَوِيلًا
ثَقِيلًا لَا أُطِيقُ بِهِ حَرَكَاً (٣)

فهو من وفاءه يحمل هم رد الجميل لأهله حتى لا يستطيع معه الحركة والتنقل .

ولا أدل على عظيم وفاء المنتبي لمن يصاحبه وحفظه خالص الود لمن يخالطه من أنه لو رحل إلى الصبا مع أثرته وأسف النفوس على انصرام مدته لفارق شبيهه موجع القلب باكياً مع أن الشيب مؤذن بذهاب القوة وقرب الرحيل عن هذه الدنيا المحب البقاء فيها إلى النفس الإنسانية حيث يقول من الطويل :

خُلِقْتُ أُلُوفًا لَوْ رَجَعْتُ إِلَى الصَّبِيِّ
لَفَارَقْتُ شَيْبِي مُوجِعَ الْقَلْبِ بَاكِياً

وإني لأعدّ من الوفاء قصائده في رثاء صديقه فاتك الأسدي وكذلك في رثاء جدته حيث أن قصائد الرثاء لا تُعطى عليها الجوائز ولكنها تنظم وفاء لمن ماتوا وقيلت فيهم .

١ الديوان ج ١ ص ١٦٥ وشرحها بحاشية الصفحة .

٢ الديوان ج ٤ ص ٤١٨ وشرحه بحاشية الصفحة .

٣ الديوان ج ٣ ص ١٢٦ وشرحه بحاشية الصفحة .

الفصل الرابع

الجوانب النفسية الرائعة التي
أبرزها في مديحه لسيف
الدولة

الفصل الرابع :الجوانب النفسية الرائعة التي أبرزها في مديحه لسيف الدولة
سأبدأ هذا الفصل محاولاً تلمس الأسباب التي جعلت المتنبي معجباً بما إعجاب بسيف
الدولة حتى يمدحه بهذا الكم الهائل من المدائح وليس هذا فحسب بل إني وجدت المتنبي يكاد
يقصر مدحه على سيف الدولة في هذه الفترة التي قضاها معه من سنة ثلاثمائة وسبع وثلاثين إلى
سنة ثلاثمائة وست وأربعين من الهجرة وهي على النحو التالي :

المتنبي وجد طموحه عند سيف الدولة

نعم لقد وجد المتنبي عند سيف الدولة كل ما يصبو إليه مما سأوضحه في السطور التالية
فقد وجد في سيف الدولة مثله الأعلى الذي كان يبحث عنه ورأى فيه طموحه الذي يلهث

وراءه كما وجد معه حرитеه وأستطيع أن أختصر القول في أن المتنبي قد التقى بذاته لأول مرة مع سيف الدولة وقد تعرض قبل ذلك للغربة بكل ألوانها الحسية والمعنوية فقد قال من الكامل وهي من أوائل قصائده في سيف الدولة :

كُنْ حَيْثُ شَعْتَ فَمَا تَحُولُ تَنُوفَةٌ دُونَ اللَّقَاءِ وَلَا يَشْرِطُّ مَزَارُ
وَبِدُونِ مَا أَنَا مِنْ وَدَادِكَ مُضْمِرٌ يُنْضَى الْمَطِيُّ وَيَقْرُبُ الْمُسْتَارُ
إِنَّ الَّذِي خَلَّفْتُ خَلْفِي ضَائِعٌ مَا لِي عَلَى قَلْقِي إِلَيْهِ خِيَارُ
وَإِذَا صُحِبْتَ فَكُلِّ مَاءٍ مَشْرَبٌ لَوْلَا الْعِيَالُ وَكُلِّ أَرْضٍ دَارُ^(١)

فهو إذن لن يمنعه عنه بعد المسافات ولا هزال الراحلة من طول السير بل إن مودة سيف الدولة وحبه قرّب له كل ذلك ورغم ضياع من خلف وراءه وترك برحيله عنهم إلا أنه تحيّر البقاء مع سيف الدولة رغم الاشتياق والقلق على عياله، ولا شك أنه لن يفعل ذلك إلا لما وجد في سيف الدولة من المثل الأعلى المنشود ولأنه شعر بالامتزاج الكامل بين ما تطمح إليه نفسه وبين إمكانية تجسيد ذلك واقعاً مع سيف الدولة ويتفرع عنه الأسباب التالية .

أولاً : منزع العروبة وكرهية العجم

أقصد بالعروبة هنا الإحساس الذي حمّله المتنبي بين جوانحه بالشخصية العربية كما عرفت في الجاهلية وما تلاها متمثلة في معاني البطولة والمروءة والفداء وكل ما يتصل بالمثل الأعلى للفتى العربي كما تجسده القيم العربية الأصيلة وهي التي تعرضت لهزات قوية بسبب ما تعرضت له بغداد والكوفة وبقية حواضر الشام من سيطرة الترك والديلم ولذا لمّا وجد هذه القيم متمثلة في شخصية سيف الدولة هام بها أيما هيام وقطع مديحه عليها وقصر الحديث عن نفسه في المدائح إليها وامتزجت دواخل نفسه بها دليلاً على الإعجاب ورافقها حلاً وترتحالاً حرباً وهدنة .

ثانياً : توافر قيم الفروسية والشجاعة في سيف الدولة

لقد كانت أولى الصفات التي امتدحها المتنبي في سيف الدولة هي صفات الفروسية حيث وصفه بالشجاعة والإقدام وذلك من خلال المعارك التي خاضها المتنبي مع سيف الدولة وسنجد ذلك من أول وهلة في أولى قصائده من الطويل والتي مطلعها:

وَفَاؤُكُمْ كَالرَّبْعِ أَشْجَاهُ طَاسِمُهُ بَأَنْ تُسْعِدَا وَالدَّمْعُ أَشْفَاهُ سَاجِمُهُ

^١ الديوان ج ٢ ص ١٩٢ وشرحها بحاشية الصفحة .

ووجدته في هذه القصيدة يصوره صورة الفارس العربي المنتصر على أعدائه الروم ويفخّم هيبتة عند أعدائه حيث يقول:

لَهُ عَسْكَرًا خَيْلٍ وَطَيْرٍ إِذَا رَمَى بِهَا عَسْكَرًا لَمْ يَبْقَ إِلَّا جَمَاجِمُهُ
أَجَلَّتْهَا مِنْ كُلِّ طَاغٍ ثِيَابُهُ وَمَوَاطِئُهَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ مَلَاعِمُهُ
فَقَدْ مَلَّ ضَوْءُ الصَّبْحِ مِمَّا تُغَيِّرُهُ وَمَلَّ سَوَادُ اللَّيْلِ مِمَّا تُزَاحِمُهُ
وَمَلَّ الْقَنَا مِمَّا تَدُقُّ صُدُورُهُ وَمَلَّ حَدِيدُ الْهِنْدِ مِمَّا تُلَاطِمُهُ^(١)

والمعنى : يسلب ثياب كل طاغٍ من ملوك الروم فيتخذ منها أجله لحيله وهي ما يجعل على ظهر الدابة وهو يوطئ حوافرها وجه كل باغٍ من أعدائه وهذا لا يتم إلا بعد الانتصار وتمام الظهور عليهم .

ويقول له في موضع آخر من مدائحه من الوافر:

وَنَدْعُوكَ الْحُسَامَ وَهَلْ حُسَامٌ يَعِيشُ بِهِ مِنَ الْمَوْتِ الْقَتِيلُ
وَمَا لِلسَّيْفِ إِلَّا الْقَطْعُ فِعْلٌ وَأَنْتَ الْقَاطِعُ الْبَرُّ الْوَصُولُ
وَأَنْتَ الْفَارِسُ الْقَوَالُ صَبْرًا وَقَدْ فَنَى التَّكَلُّمُ وَالصَّهِيلُ
يَحِيدُ الرَّمْحُ عَنْكَ وَفِيهِ قَصْدٌ وَيَقْصُرُ أَنْ يَنَالَ وَفِيهِ طُولُ
فَلَوْ قَدَرَ السَّنَانُ عَلَى لِسَانٍ لَقَالَ لَكَ السَّنَانُ كَمَا أَقُولُ^(٢)

وكل الأبيات تركيز لصفات الفروسية والشجاعة فهو حسام قاطع وفارس نبيل حتى بلغ الأمر أن الرماح ستمتدحه لما ترى من شجاعته وهو يمدحه بهذه الصفات في معظم أماديجه ولناخذ هذا المثال أيضا من الكامل :

الْجَيْشُ جَيْشُكَ غَيْرَ أَنَّكَ جَيْشُهُ فِي قَلْبِهِ وَيَمِينِهِ وَشِمَالِهِ
تَرْدُ الطَّعَانِ الْمُرِّ عَنْ فُرْسَانِهِ وَتُنَازِلُ الْأَبْطَالِ عَنْ أَبْطَالِهِ
كُلُّ يُرِيدُ رِجَالَهُ لِحَيَاتِهِ يَا مَنْ يُرِيدُ حَيَاتَهُ لِرِجَالِهِ
دُونَ الْحَلَاوَةِ فِي الزَّمَانِ مَرَارَةٌ لَا تُخْتَطَى إِلَّا عَلَى أَهْوَالِهِ
فَلِذَاكَ جَاوَزَهَا عَلَيَّ وَحَدَّهُ وَسَعَى بِمُنْصَلِهِ إِلَى أَمَالِهِ^(٣)

ثالثاً : حرب سيف الدولة للروم

^١ الديوان ج ٤ ص ٥٥ وشرحها بحاشية الصفحة .

^٢ الديوان ج ٢ ص ١٣٩ وشرحها بحاشية الصفحة .

^٣ شرح الديوان ، ٣ / ١٩٠

لما كانت الروم تمثل قوة عظمى وخطراً داهماً على المسلمين كانت حماية الثغور ومباغنة الأعداء بالهجوم تمثل هاجساً كبيراً لدى المسلمين ولذا كانت الحرب ضد الروم تمثل قمة الشجاعة والبروز ولذا وجدت المتنبي يذهب إلى أرض المعارك بنفسه ويخاطر بها ووجدته يصف معارك الروم وصف مشاهدة دقيقة ووجدته يمجّد نصر المسلمين على الروم أيما تمجيد ويُسمع الدنيا دويّ هذه المعارك والأمثلة كثيرة متعددة من شعره على ذلك حيث يقول من الوافر :

الجيشُ جيشُكَ غيرَ أُنْكَ جيشُهُ
 في قلبِهِ ويَمِينِهِ وشِمَاهِ
 تَرُدُّ الطَّعَانَ المُرَّ عَن فُرْسَانِهِ
 وتُنْزِلُ الأبطالَ عَن أبطالِهِ
 كُلُّ يُرِيدُ رِجَالَهُ لِحَيَاتِهِ
 يا مَنْ يُرِيدُ حَيَاتَهُ لِرِجَالِهِ
 دونَ الحَلاوَةِ في الزَّمانِ مَرارَةً
 لا تُخْتَطِي إلاَّ عَلى أهْوالِهِ
 فَلِذَلِكَ جاوزَها عَلَيَّ وَحَدَّهُ
 وَسَعَى بِمُنْصِلِهِ إلى آمَالِهِ (١)

وقال في موضع آخر من الطويل :

وَقَدِ عَلِمَ الرُّومُ الشَّقِيَّونَ أَنَّنَا
 إِذَا ما تَرَكَنا أَرْضَهُمْ خَلَفنا عُدُنَا
 وَأَنَا إِذا ما المَوْتُ صرَّحَ في الوَعَى
 لِبِنا إلى حاجاتِنا الضَّرْبَ والطَّعْنا
 قَصَدنا لَهُ قَصَدَ الحَبِيبِ لِقاؤُهُ
 إِلينا وَقُلْنَا لِلسَّيِّوفِ هَلْمَنا (٢)

ويقول أيضا من الطويل :

وَأُنْكَ رُعتَ الدَّهْرَ فيها وَرِيبُهُ
 فَإِنْ شَكَّ فليُحَدِّثْ بِساحتِها خَطْبُها
 فيوماً بِجَيْلٍ تَطْرُدُ الرُّومَ عَنْهُمْ
 وَيوماً بِجُودِ تَطْرُدُ الفُقْرَ وَالْجَدْبُها
 سَراياكَ تَتْرَى والدُّمُستَقُ هارِبُ
 وَأَصْحابُهُ قَتَلَى وَأَمْوالُهُ نُهَي
 أَتى مَرَعِشا يَسْتَقْرِبُ البُعدَ مُقبِلاً
 وَأَدبَرَ إِذْ أَقْبَلْتَ يَسْتَبْعِدُ القُرْبُها (٣)

إلى أن يقول :

وَلَكِنَّهُ وَلَّى وَللَطَّعِنِ سَـوْرَةٌ
 إِذا ذَكَرْتُها نَفْسُـهُ لَمَسَ الجَنبُها
 وَخَلَّى العَدارَى والبَطاريقَ والقَرَى
 وَشُعْتَ النَّصارَى والقَرايينَ وَالصُّلبُها

^١ شرح الديوان ، ٣٦١/١ ،

^٢ شرح الديوان ، ٣٠٠/٤ ،

^٣ شرح الديوان ، ١٨٨/١ ،

ويعد وصف المتنبي لحروب سيف الدولة للروم من أبرز ما فعل معه وهذا يدل على تولعه بحروب الأعداء الروم وأنه يجعل ذلك من أسمى مراتب الشجاعة ومن أعلى المطالب والأمانى التي تسعى لتحقيقها .

رابعاً : توفر الترف والعطاء في بلاط سيف الدولة

كان سيف الدولة معجبا بأبي الطيب من أول أمره وكان يغدق عليه العطاء سواء لقوله القصائد أو لمناسبات أخرى ولا أدلّ على ذلك من الحقد الكبير الذي حمله عليه جلساء سيف الدولة وشعراء البلاط الحمداني بما فيهم ابن عم سيف الدولة أبو فراس وسأذكر هذا الخبر عن صاحب الصبح المنبي " قال ابن الدهان في المآخذ الكندية من المعاني الطائية: إن أبا فراس قال لسيف الدولة : إن هذا المتشدد كثير الادلال عليك وأنت تعطيه كل سنة ثلاثة آلاف دينار عن ثلاث قصائد ويمكن أن تفرق مائتي دينار على عشرين شاعرا يأتون بما هو خير من شعره ..^(١) " ونستدل من هذا الخبر على أن سيف الدولة ولا شك كان يغدق العطاء لأبي محسّد والأخبار كثيرة على عطاياه للمتنبى من الخيول والعبيد والسيوف والضياع وغيرها وسنأخذ عدة من أبياته للدلالة على جزالة العطاء الذي ناله في البلاط الحمداني حيث يقول في قصيدة هجاء لكافور من الطويل :

أقيم على عبد خصي منافق	لئيم رديء الفعل للجود مدعى
وأترك سيف الدولة الملك الرضا	كريم الحياء أروعا وابن أروع
فتى بحره عذب ومقصده غنى	ومرتع مرعى جوده خير مرتع
تظل إذا ما جئته الدهر آمنا	بخير مكان بل بأشرف موضع

وقد أبان المتنبي عن أهم أسباب ارتباطه بسيف الدولة في قصيدته من المتقارب التي مطلعها:

فَهَمَّتُ الْكِتَابَ أَبْرَ الْكُتُبِ فَسَمِعًا لِأَمْرِ أَمِيرِ الْعَرَبِ^(٢)

حيث قال فيها:

وَمَا قِسْتُ كُلَّ مُلُوكِ الْبِلَادِ فَدَعْتُ ذِكْرَ بَعْضِ بَمَنٍ فِي حَلْبِ
وَلَوْ كُنْتُ سَمِيئُهُمْ بِاسْمِهِ لَكَانَ الْحَدِيدَ وَكَانُوا الْخَشْبَ

^١ الصبح المنبي تحقيق مصطفى السقا ومحمد شتا ، طبعة دار المعارف ص ٨٧

^٢ الديوان ج ١ ص ٢٢٥

أبي الرَّأْيِ يُشَبِّهُ أُمَّ فِي السَّخَا ءِ أُمَّ فِي الشَّجَاعَةِ أُمَّ فِي الْأَدَبِ^(١)
حيث عدّ حسن رأيه وكرمه وكثرة عطاءه وشجاعته وكمال فهمه للأدب والشعر من أهم
أسباب ارتباطه به .

خامساً : حب سيف الدولة للأدب وفهمه للشعر

سأستشهد هنا برأي خبير ودارس لشعر المتنبي وحياته ومن أكثر من دقق النظر في أدبه
وهو الشيخ محمود محمد شاكر رحمه الله في كتابه المتنبي حيث قال: " ولم يكن سيف الدولة يجهد
ما سيكون من هذا الرجل أول ما لقيه بل يقينا أنه كان قد انكشفت له نفسية أبي الطيب فأخذها
من حيث ينبغي أن تؤخذ ، وعرف أن هذا الذي مدحه بأنطاكية سيكون مخلد ذكره وحافظ
أخباره وصفاته في شعره وليس مثل سيف الدولة يغفل عن ذلك أو يتجاوز به بصره ، فقد كان
سيف الدولة أديبا شاعرا ، نافذا في إدراك أسرار البيان ... " ^(٢)

ولا أدل على ذلك من توافد كم كبير من الشعراء والأدباء والنقاد على بلاط سيف
الدولة حيث كان يحصل في بلاطه الكثير من المباحكات الأدبية وكان سيف الدولة يضرم سعيرها
ويشعلها بنفسه كما حصل في قصة أبي الطيب مع ابن خالويه التي أضرمها سيف الدولة .. " ^(٣)
وسأذكر هنا هذه القصة التي أوردها صاحب الصبح المتنبي حيث قال: " استنشد سيف
الدولة أبا الطيب يوما قصيدته التي مدحه بها وقد سار لبناء الحدث وذكر إيقاعه بالدمستق
وكشفه له وقتله خلقا من أصحابه وأسره صهره وابن بنته وإقامته على الحدث إلى أن بناها ...
ولما بلغ المتنبي إلى قوله من الطويل :

وَقَفْتَ وَمَا فِي الْمَوْتِ شَكٌّ لَوْ أَقِفِ
كَأَنَّكَ فِي جَفَنِ الرَّدَى وَهُوَ نَائِمٌ^(٣)
تَمَرُّ بِكَ الْأَبْطَالُ كَلَمَى هَزِيمَةً
وَوَجْهُكَ وَضَّاحٌ وَتَعْرُكٌ بِاسِمٍ^(٤)

قال سيف الدولة قد انتقدتكما عليك كما انتقد على امرئ القيس قوله :

كأني لم أركب جوادا للذة ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال
ولم أسبأ الزق الردى ولم أقل لخليلي كرى كرة بعد إجفال
لم يلتأم شطراهما كما لم يلتئم شطرا بيتي امرئ القيس وكان ينبغي له أن يقول:
كأني لم أركب جوادا ولم أقل لخليلي كرى كرة بعد إجفال

^١ الديوان ج ٤ ص ٢٢٧

^٢ المتنبي لمحمود شاكر طبعة دار المدني ، ص ٣٢٤

^٣ الديوان ج ٤ ص ١٠١

^٤ الديوان ج ٤ ص ١٠٢

ولم أتبطن كاعبا ذا خلخال

ولم أسبأ الزق الروي للذة

وكذلك كان ينبغي أن تقول:

كَأَنَّكَ فِي جَفَنِ الرَّدَى وَهُوَ نَائِمٌ
وَوَجْهُكَ وَضَاحٌ وَتَغْرُكُ بِاسْمِ

وَقَفَّتَ وَمَا فِي الْمَوْتِ شَكٌّ لَوَاقِفٍ
تَمُرُّ بِكَ الْأَبْطَالُ كَلَمَى هَزِيمَةً

فقال المتنبي: إن صح أن الذي استدرك على امرئ القيس هذا هو أعلم بالشعر منه فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأت أنا ومولانا يعلم أن الثوب لا يعلمه البزاز كما يعلمه الحائك لأن البزاز يعلم جملته والحائك يعلم تفاصيله، وإنما قرن امرؤ القيس لذة النساء بلذة الركوب للصيد والشجاعة في منازلة الأعداء بالسماحة في شراء الخمر للأضياف للتضاييف بين كل من الفريقين وكذلك لما ذكرت الموت في صدر البيت الأول أتبعته بذكر الردى في آخره ليكون أحسن تلاؤما ولما كان وجه الجريح المنهزم عبوسا وعينه باكية قلت: ووجهك وضاح وتغرك باسم لأجمع بين الأضداد في المعنى، فأعجب سيف الدولة كلامه^(١) "

وفي الخبر السالف دلالة جلية على فهم سيف الدولة العميق للشعر ودراية عريضة بنقد الشعر ومعرفة عميقة للأشعار وحفظ واسع لأشعار العرب ومقولاتهم النقدية وهذا ما جعل المتنبي يبلغ بدرجات إجادته الشعرية أقصاها فهو يعرف أنه سيعرض بضاعته على خبير بما عالم بأسرارها . وسأحاول أن أتعرض لجوانب نفسية رائعة أبرزها المتنبي في مدائحه لسيف الدولة حيث صور

إعجابه به بطرق شتى على النحو التالي:

أولاً: ارتمائه بكل ما يملك إلى سيف الدولة

لقد كان من المتعارف عليه أن يذهب الشعراء المداحون إلى بلاط الخلفاء والوزراء والأمراء ليلقوا قصائدهم المادحة ثم يعودوا أدراجهم إلى محالهم ولكن المتنبي غير هذا المفهوم حيث فارق الأهل والديار وترك العيال والأصحاب وانقطع إلى سيف الدولة وعاش في كنفه وصحبه في حله وترحاله وخاصة في رحلاته الحربية ضد الروم والشواهد على ذلك من شعره كثيرة متعددة حيث يقول من الكامل:

دُونَ اللَّقَاءِ وَلَا يَشِطُّ مَزَارُ
يُنْضَى الْمَطِيُّ وَيَقْرُبُ الْمُسْتَارُ
مَا لِي عَلَى قَلْقِي إِلَيْهِ خِيَارُ

كُنْ حَيْثُ شِئْتَ فَمَا تَحُولُ تَنُوفَةً
وَبِدُونِ مَا أَنَا مِنْ وَدَادِكَ مُضْمِرٌ
إِنَّ الَّذِي خَلَقْتُ خَلَقِي ضَائِعٌ

^١ الصبح المنبئي للبديعي تحقيق مصطفى السقا ومحمد شتا ، طبعة دار المعارف ، ص ٨٥

وَإِذَا صُحِبْتَ فَكُلِّ مَاءٍ مَشْرَبٌ
لَوْلَا الْعِيَالُ وَكُلُّ أَرْضٍ دَارٌ^(١)

وقد شرحت الأبيات وبيّنت أنّ المتنبي لم يجعل حائل بينه وبين صحبة سيف الدولة لا البعد ولا الراحلة وحتى عياله لم يمنعه بعدهم عنه من مصاحبة سيف الدولة .

ثانياً: توحد المتنبي مع ممدوحه سيف الدولة وإعجابه العظيم به

لقد وجدت المتنبي في مدائحه لسيف الدولة يؤخر نفسه عن ممدوحه بل رأيت أنه يوقف قصائد بأكملها على مدح ممدوحه فتبدأ القصيدة وتنتهي به وفي اعتقادي أنه لم يفعل ذلك إلا عندما شعر بالتوحد الكامل والامتزاج الروحي بينه وبين سيف الدولة وذلك لما رأى فيه من الصفات التي ذكرتها أنفا والتي من أجلها استحق سيف الدولة عنده هذا التقريظ الباهر حتى جلجلت الدنيا بأسرها مع المتنبي باسم سيف الدولة وحفظه التاريخ مع القلائل الذين خلدهم شعر العظماء كالمتنبي وسأضرب بعض الأمثلة على ذلك حيث يقول مادحا سيف الدولة وقد عزم على الرحيل عن إنطاكية من الخفيف :

لَيْتَ أَنَا إِذَا ارْتَحَلْتَ لَكَ الْخَيْـ	لُ وَأَنَا إِذَا نَزَلْتَ الْخِيَامُ
كُلَّ يَوْمٍ لَكَ احْتِمَالٌ جَدِيدٌ	وَمَسِيرٌ لِلْمَجْدِ فِيهِ مَقَامٌ
وَإِذَا كَانَتِ التَّفُوسُ كِبَاراً	تَعَبَتْ فِي مُرَادِهَا الْأَجْسَامُ
وَكَذَا تَطَّلُعُ الْبُودُورُ عَلَيْنَا	وَكَذَا تَقَلُّقُ الْبُحُورِ الْعِظَامُ
وَلَنَا عَادَةٌ الْجَمِيلِ مِنَ الصَّبِّـ	رِ لَوْ أَنَا سِوَى نَوَاكٍ نُسَامُ
كُلُّ عَيْشٍ مَا لَمْ تُطْبَهُ جِهَامُ	كُلُّ شَمْسٍ مَا لَمْ تَكُنْهَا ظِلَامُ ^(٢)

فهو يتمنى صحبته في كل وقت ليقية من الأذى ويتحمل عنه الردى وهو مستعد بالصبر على كل شيء سوى الصبر على فراق سيف الدولة ولكنه لا طاقة له ببعد سيف الدولة فبعده عنه ينغص عيشه وأيامه تُظلم بفراقه فهو لا يرضى إلا بالتوحد مع سيف الدولة.

وقد كان كذلك من أول أمره مع سيف الدولة فقد قال هذا البيت المجلجل في أول قصيدة مدحه بها سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة عند نزوله إنطاكية في القصيدة من الطويل والتي مطلعها :

وَفَاؤُكُمْ كَمَا كَالرَّبْعِ أَشْجَاهُ طَاسِمَهُ بَأَنْ تُسْعِدَا وَالدَّمْعُ أَشْفَاهُ سَاجِمُهُ^(٣)

^١ الديوان ج ٢ ص ١٩٢

^٢ الديوان ج ٤ ص ٦٥ وشرحها بحاشية الصفحة .

^٣ الديوان ج ٤ ص ٤٣

وبين أن ما جعله يمدح سيف الدولة هو غيرة داخلية وأمر نفسي حيث رأى الشعراء يهدون
ويطمطمون بكلام لا يصل لمرتبة سيف الدولة حيث يقول :

غَضِبْتُ لَهُ لَمَّا رَأَيْتُ صِفَاتِهِ بلا واصِفٍ والشُّعْرُ تَهْذِي طَمَاطِمُهُ^(١)

حيث أن الشعراء قصرُوا في مدحه فأراد أن ينصفه بما يستحق من المدح ويضعه في المكان المناسب
لعلو أفعاله وصفاته .

ولقد كان المتنبي شاعرا غاية في الذكاء فاستفاد من الطاقات المعنوية الموجودة في اسم
سيف الدولة ولقبه لينفث إعجابه من خلالها وسأضرب لذلك أمثلة متنوعة من أشعاره توضح
هذه الفكرة وتجليها على النحو التالي :

شفي سيف الدولة من المرض فقال قصيدة يهنئه بالشفاء فيها ووصفه فيها بأنه سيف
خاص وليس ككل السيوف وإن تشابه معها في الاسم فهو متميز عنها في صفاته حتما حيث
يقول من البسيط :

يُسَمَى الحُسَامَ وَلَيْسَتْ مِنْ مُشَابَهَةٍ وَكَيْفَ يَشْتَبُهَ المَخْدُومُ وَالْحَدَمُ
تَفَرَّدَ العُـرْبُ فِي الدُّنْيَا بِمَحْتَدِهِ وَشَارَكَ العُـرْبَ فِي إِحْسَانِهِ العَجَمُ
وَأَخْلَصَ اللهُ لِلإِسْلَامِ نُصْرَتَهُ وَإِنْ تَقَلَّبَ فِي آلائِهِ الأَمَمُ^(٢)

وسيف الدولة سيف نزارى اعروبي خالص كما يقول من الطويل :

تُهَابُ سِيُوفِ الهِنْدِ وَهِيَ حَدَائِدُ فَكَيْفَ إِذَا كَانَتْ نِزَارِيَّةً عُرْبًا^(٣)
وهو سيف منتقى ليناسب هذه الدولة التي هي خير الدول كما يقول من البسيط :

إِنَّ الهِمَامَ الَّذِي فَخَرُ الأَنَامِ بِهِ خَيْرُ السِّيُوفِ بِكَفِّي خَيْرَةَ الدَّوَلِ^(٤)

وهذا السيف لا يفل له حد أبدا كما يقول من البسيط :

كُلُّ السِّيُوفِ إِذَا طَالَ الضَّرَابُ بِهَا يَمَسُّهَا غَيْرَ سَيْفِ الدَّوَلَةِ السَّامِ^(٥)

وهذا السيف من بين بقية السيوف هو سيف الله كما يقول من المتقارب :

أَيَا سَيْفِ رَبِّكَ لَا خَلْقَهُ وَيَا ذَا المَكَارِمِ لَا ذَا الشُّطْبِ^(٦)

^١ الديوان ج ٤ ص ٥٨ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٢ الديوان ج ٤ ص ٩٢

^٣ الديوان ج ١ ص ١٨٦

^٤ الديوان ج ٣ ص ٢٠٥

^٥ الديوان ج ٤ ص ١٣٠

^٦ الديوان ج ١ ص ٢٢٨

والمولى القدير سبحانه ثبت بهذا السيف - دون غيره - أمره كما يقول من الطويل :

فَأَنْتَ حُسَامُ الْمَلِكِ وَاللَّهُ ضَارِبٌ وَأَنْتَ لِيَوَاءِ الدِّينِ وَاللَّهُ عَاقِدٌ^(١)

وهذا السيف يفل بحده رقاب الأعداء كما يقول من الوافر :

وَكُنْتَ السَّيْفَ قَائِمُهُ إِلَيْهِمْ وَفِي الأَعْدَاءِ حَدُّكَ وَالْغِرَارُ
فَأَمْسَتْ بِالْبَدِيَّةِ شَفْرَتَاهُ وَأَمْسَى خَلْفَ قَائِمِهِ الْحِيَارُ^(٢)

فقد كان سيفاً لهم مقبضه في أيديهم وحده في أعدائهم فلما عصوه صارت شفرتاه حيث هم أي بالبدية وهو اسم مكانهم وجاوز الحيار وهو موقع بينه وبين البدية مسير ليلة حتى صار خلفهم وأهلكهم بسيفه الذي كان يزود به عنهم .

وهذا السيف ليس للقطع فقط بل له مميزات خاصة كما يقول من الوافر :

وَنَدْعُوكَ الْحُسَامَ وَهَلْ حُسَامٌ يَعِيشُ بِهِ مِنَ المَوْتِ القَتِيلُ
وما للسيف إلا القطع فعل^(٣) وَأَنْتَ القاطِعُ البُرِّ الوَصُولُ^(٤)

ثالثاً : انتشار لغة الحب ومخاطبة سيف الدولة بمخاطبة المحبوب

لقد لاحظ هذه الظاهرة وعللها في شعر المتنبي كثير من الدارسين ، كان أولهم الثعالبي في تيممته حيث أفرد لها فصلاً خاصاً ويرى أنها مذهب خاص تفرّد به المتنبي^(٤) وقد حاول الدكتور مندور في كتابه في الميزان الجديد أن يجد توضيحاً أكثر لهذه الظاهرة حيث يقول : " ولقد أحب _المتنبي_ سيف الدولة حبا حقيقيا إذ رأى فيه رجلا شهما كريما وزاده حبا كونه عربيا في زمن غلب فيه الأعاجم وسيطروا على العرب في كل مكان إلا في حلب حيث كان يرابض الحمداي يحمي الثغور ضد الروم ثم يخضع القبائل النائرة ويتابع النصر بالعبو عنهم ليضمهم إلى جانبه في دفاعه المجيد ضد أمراء بيزنطة أعداء العرب جميعا " ، وأقول بأن هذا الحب العظيم جاء لأن القضية كانت عند المتنبي قضية قيم توافرت جميعها - كما ذكرت آنفا- في شخصية وأفعال سيف الدولة فكان هذا الحب نتاجا طبيعيا لذلك^(٥) .

ولقد صرح به المتنبي في معظم أماديجه حيث يقول من الطويل :

^١ الديوان ج ١ ص ٤٠٠

^٢ الديوان ج ٢ ص ٢٠٥

^٣ الديوان ج ٣ ص ١٣٩

^٤ يتيمة الدهر للثعالبي ج ١ ص ٢٣٧ ط دار الكتب العلمية بيروت

^٥ في الميزان الجديد لمحمد مندور طبعة مكتبة نهضة مصر الطبعة الثالثة ص ١١٠

أُحِبُّكَ يَا شَمْسَ الزَّمَانِ وَبَدْرَهُ
وَذَاكَ لِأَنَّ الْفَضْلَ عِنْدَكَ بَاهِرٌ
وَإِنْ كَثِيرَ الْحُبِّ بِالْعَقْلِ صَالِحٌ
وَإِنْ لَامَنِي فِيكَ السُّهَى وَالْفِرَاقُ
وَلَيْسَ لِأَنَّ الْعَيْشَ عِنْدَكَ بَارِدٌ
وَإِنْ كَثِيرَ الْحُبِّ بِالْجَهْلِ فَاسِدٌ^(١)

وهذا الحب العظيم قد ترك آثاره على المتنبي كما يقول من البسيط:

وَإِحْرَارَ قَلْبَاهُ مِمَّنْ قَلْبُهُ شَبِمْ
وَمَنْ بِجِسْمِي وَحَالِي عِنْدَهُ سَقَمٌ
مَا لِي أُكْتَمُ حُبًّا قَدْ بَرَى جَسَدِي
وَتَدَّعِي حُبَّ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الْأُمَمِ^(٢)

وقد وجدت المتنبي يستخدم في مدائحه لسيف الدولة مفردات قاموس الغزل كالحب والوجد واللقاء والوداد والجوى والعشق فقد قال لسيف الدولة من البسيط:

يَا مَنْ يَعْزُّ عَلَيْنَا أَنْ نُفَارِقَهُمْ
وَجِدَانُنَا كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَكُمْ عَدَمٌ^(٣)

وقال له أيضا من المتقارب:

وإِنِّي لِأَعْشَقُ مِنْ أَجْلِكُمْ
نُحُولِي وَكُلَّ امْرِيءٍ نَاحِلٍ^(٤)

وقال له أيضا من الطويل:

فَدَيْنَاكَ أَهْدَى النَّاسِ سَهْمًا إِلَى قَلْبِي
وَأَقْتَلَهُمْ لِلدَّارِعِينَ بِلا حَرْبٍ^(٥)

وقال له من الطويل:

وَنُصْنِفِي الَّذِي يُكْنَى أَبَا الْحَسَنِ الْهُوَى
وَتُرْضِي الَّذِي يُسَمَّى الْإِلَهَ وَلَا يُكْنَى^(٦)

وكل هذه مفردات خاصة بالغزل وغيرها كثير في أماديح المتنبي لسيف الدولة.

رابعاً : توسيع دائرة المدح

لم يكتف المتنبي بحدود الوصف الجزئي في مدائحه بل أكثر من توسيع دائرة مدحه لتخرج من حدود الفردية إلى تعميم الصورة لتصبح صالحة لكل زمان فقد تجاوز حدود الزمان والمكان وقد وجدت أنه يستغل ظروف ووقت سيف الدولة ليكتف القصيدة بآرائه الفكرية وومضاته النفسية وقد فعل ذلك في معظم مدائحه لسيف الدولة وسأضرب الأمثلة على ذلك:

^١ الديوان ج ١ ص ٤٠٣-٤٠٤

^٢ الديوان ج ٤ ص ٨٠

^٣ الديوان ج ٤ ص ٨٧

^٤ الديوان ج ٣ ص ١٥٣

^٥ الديوان ج ١ ص ١٧٢

^٦ الديوان ج ٤ ص ٢٩٩

أراد أن يمدحه بعد أن أوقع بالروم في إحدى غزواته فافتتح قصيدته وختمها بأبيات هي من أوسع ما يمكن حيث امتلأت بنظراته عن الصراع فقال من الخفيف :

ذِي الْمَعَالِي فَلْيَعْلُونُ مَنْ تَعَالَى هَكَذَا هَكَذَا وَإِلَّا فَلَا لَا
شَرَفٌ يَنْطِجُ النَّجُومَ بَرَوَقِيٍّ هِ وَعِزٌّ يُقَلِّبُ الْأَجْبَالَ (١)

وهو افتتاح قوي مجلجل ولقد وسّع فيه المتنبي ما شاء من التوسع وختمه بهذه النظرات عن الصراع فهو لا يفوت فرصة ليذكر فيها آراءه عن الصراع والحياة والموت وشكائاته من الدهر ومن المتربصين فقال :

إِنَّمَا أَنْفُسُ الْأَنْبِيَاءِ سِبَاعٌ يَتَفَارَسْنَ جَهْرَةً وَأَغْتِيالًا
مَنْ أَطَاقَ التَّمَّاسَ شَيْءٌ غَلَابًا وَأَغْتِصَابًا لَمْ يَلْتَمِسْهُ سُؤَالًا
كُلُّ غَادٍ لِحَاجَةٍ يَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ الْعَضْنَفَرُ الرَّبُّبَالَا (٢)

ومدحه بعد إحدى غزواته فعمم القول حتى غدت أبياته التي افتتح بها القصيدة أمثالا شواردا ومقولات ردها كل من تلاه من المادحين قائلا من الكامل :

الرَّأْيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشَّجْعَانِ هُوَ أَوْلُّ وَهْيَ الْمَحَلُّ الثَّانِي
فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا لِنَفْسٍ حُرَّةٍ بَلَغَتْ مِنَ الْعَلِيَاءِ كُلِّ مَكَانٍ
وَلَكَّرَبْمَا طَعَنَ الْفَتَى أَفْرَانَهُ بِالرَّأْيِ قَبْلَ تَطَاعَنِ الْأَقْرَانِ
لَوْ لَا الْعُقُولُ لَكَانَ أَدْنَى ضَيْعَمٍ أَدْنَى إِلَى شَرَفٍ مِنَ الْإِنْسَانِ (٣)

فهل يمكن لأحد أن يعمم إلى أبعد من هذا الحد الذي صارت معه هذه الأبيات لكل حالة إنسانية مشابهة مثلا ومضربا ورُدّدت على كل لسان ، وهذا القول يشمل معظم أماديجه ولا أدلّ على ذلك من ذلك الاستهلال الذي أصغت له أذن الدهر وحفظه كل من عرف الشعر بعد المتنبي لما مدح سيف الدولة بعد بنائه ثغر الحدث حيث قال من الطويل :

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ
وَتَعْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صَغَارُهَا وَتَصْغُرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ الْعَظَائِمُ (٤)

خامساً : إعجاب المتنبي بأقارب سيف الدولة كافة .

١ الديوان ج ٣ ص ٢٥٤

٢ الديوان ج ٣ ص ٢٦٦

٣ الديوان ج ٤ ص ٣٠٧-٣٠٨

٤ الديوان ج ٤ ص ٩٤

لقد امتد إعجاب المتنبي بسيف الدولة إلى كل أقرابه وقومه فصور إعجابه بهم في صور متعددة

وسأورد هنا شواهد متعددة على هذا الإعجاب المتناهي فقد قال عن قومه من الطويل :

هُمُ الْمُحْسِنُونَ الْكَرَّ فِي حَوْمَةِ الْوَعَى
وَلَوْلَا احْتِقَارُ الْأُسْدِ شَبَّهْتُهُمْ بِهَا
وَأَحْسَنُ مِنْهُ كَرُّهُمْ فِي الْمَكَارِمِ
وَلَكِنَّهَا مَعْدُودَةٌ فِي الْبَهَائِمِ (١)

وقال عنهم أيضا:

إِنَّكَ مِنْ مَعْشَرٍ إِذَا وَهَبُوا
مَا دُونَ أَعْمَارِهِمْ فَقَدْ بَخِلُوا

وقال أيضا من الرجز :

إِنْ كُنْتَ عَنْ خَيْرِ الْأَنْامِ سَائِلًا
مَنْ أَنْتَ مِنْهُمْ يَا هُمَامَ وَائِلًا
فَخَيْرُهُمْ أَكْثَرُهُمْ فَضَائِلًا
وَالْعَاذِلِينَ فِي النَّدَى الْعَوَاذِلًا
أَلْطَاعِينَ فِي الْوَعَى أَوَائِلًا
قَدْ فَضَلُوا لِفَضْلِكَ الْقَبَائِلًا (٢)

وقال في عبد الله بن علي سيف الدولة راثيا له من الطويل :

أَلَسْتَ مِنَ الْقَوْمِ الْأَلَى مِنْ رِمَاحِهِمْ
بِمَوْلُوذِهِمْ صَمْتُ اللَّسَانِ كغَيْرِهِ
نُسَلِّيهِمْ عَلَيَاؤُهُمْ عَنْ مُصَابِهِمْ
وَأَقْلُبُ بَبْلَاءَ بِالرِّزَايَا مِنَ الْقَنَا
نَدَاهُمْ وَمِنْ قِتْلَاهُمْ مُهَجَةُ الْبِخْلِ
وَلَكِنَّ فِي أَعْطَافِهِ مَنْطِقَ الْفَضْلِ
وَيَشْعَلُهُمْ كَسْبُ الثَّنَاءِ عَنِ الشَّغْلِ
وَأَقْدَمُ بَيْنَ الْجَحْفَلِينَ مِنَ النَّبْلِ (٣)

وقال مادحا لقومه من الطويل :

تُهَابُ سُيُوفِ الْهِنْدِ وَهِيَ حَدَائِدُ
فَكَيْفَ إِذَا كَانَتْ نِزَارِيَّةً عُرْبًا (٤) ؟

وقال معبرا عن شديد الإعجاب في رثائته لوالدة سيف الدولة شعرا خلده في المراثي لما كان فيه

من عظيم الإعجاب من الوافر :

وَهَذَا أَوَّلُ النَّاعِينَ طُرًّا
كَأَنَّ الْمَوْتَ لَمْ يَفْجَعْ بِنَفْسٍ
صَلَاةُ اللَّهِ خَالِقِنَا حَنْوَطٌ
عَلَى الْمَدْفُونِ قَبْلَ التُّرْبِ صَوْنًا
لَأَوَّلِ مَيِّتَةٍ فِي ذَا الْجَلَالِ
وَلَمْ يَخْطُرْ لِمَخْلُوقٍ بِبِالٍ
عَلَى الْوَجْهِ الْمُكَفَّنِ بِالْجَمَالِ
وَقَبْلَ اللَّحْدِ فِي كَرَمِ الْخِلَالِ

١ الديوان ج ٤ ص ٢٤٢

٢ الديوان ج ٣

٣ الديوان ج ٣ ص ١٧٢-١٧٣

٤ الديوان ج ١ ص ١٨٦

فإنّ له بيطن الأرضِ شخصاً
أطابَ النفسَ أنك مُتّ موتاً
وزُلتِ ولم تَرَي يوماً كريهاً
جديداً ذكُرنَاهُ وهوَ ببالِ
تمنّته البواقِي والخـوَالِي
تُسرّ النفسُ فيه بالزوالِ^(١)

إلى أن بلغ قوله:

ولو كان النّساءُ كمنّ فقَدنا
وما التّأنيثُ لاسمِ الشّمسِ عيبُ
وأفجعُ منّ فقَدنا منّ وجدنا
لفضّلتِ النّساءُ على الرّجالِ
ولا التّذكيرُ فخرٌ للهلالِ^(٢)
قُبيلَ الفقدِ مَفقُودِ المِثالِ

وكانت هذه القصيدة من المراثي التي حفظها الدهر ورددتها التاريخ ووعاها كل أهل الأدب الذين جاءوا بعد المتنبي إلى يومنا هذا ، وأمّا حديث المتنبي عن أخت سيف الدولة فسيأتي بيانه في فصل تصويره لعاطفة الحب ونظرته إلى المرأة بإذن الله.

الفصل الخامس

الجوانب النفسية الوضيعة التي
أبرزها في هجاء لكافور وغيره

الفصل الخامس :

الجوانب النفسية الوضيعة التي أبرزها في هجاء لكافور وغيره

هجا المتنبي في أشعاره كافور وابن كيغلع وابن كرّوس وسوار ووردان وضبة وكان لهجاءه لهم أسباب مختلفة سأعرض لها مبتدأً بهجائه لكافور لأنه أبرز المهجوين وأكثر من قيلت فيه أبيات الهجاء كما يقول د. النعمان القاضي في بحثه كافوريات أبي الطيب ((بينما يبلغ عدد أبيات أهاجيه في كافور مائة وأربعة وسبعين وأما ما مدح به غير كافور فيبلغ خمسة وخمسين بيت وما هجا به غير كافور فيبلغ ثمانية عشر بيتاً...^(١)))

وسأحاول أن أتوصل لأسباب هجاء لكافور على النحو التالي:

^١ كافوريات أبي الطيب للدكتور النعمان القاضي ، طبعة مركز كتب الشرق الأوسط ، ص ٢٢٩

أولاً: عطايا كافور دون آمال المتنبى

يقول في أحد أبيات هجائياته لكافور من الطويل :

تَظُنُّ ابْتِسَامَاتِي رَجَاءً وَغِبْطَةً وَمَا أَنَا إِلَّا ضَاحِكٌ مِنْ رَجَائِيَا^(١)

فهو يقول له أنتظن أن ما أظهره من الفرح والتهلل رجاء فيك لا بل هو ضحك من الرجاء الذي عدل بي إليك والرأي المخطئ الذي قصر أمالي عليك.

وفي قصيدة أخرى يقول هاجيا لكافور من المديد :

فَلَا تَرَجِّحِ الْخَيْرَ عِنْدَ امْرِئٍ مَرَّتْ يَدُ التَّخَاسِ فِي رَأْسِهِ^(٢)

و كأنه يستصغر كل ما أعطاه إياه من المال والدور والهدايا .

وعاد ليقول له مرة أخرى من البسيط :

مِنَ آيَةِ الطُّرُقِ يَأْتِي مِثْلَكَ الْكَرَمُ أَيْنَ الْمَحَاجِمُ يَا كَافُورُ وَالْجَلْمُ^(٣)

ورد ذلك مرارا فقال من الوافر :

أَمَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا كَرِيمٌ تَزُولُ بِهِ عَنِ الْقَلْبِ الْهُمُومُ^(٤)

ومن الثابت كثرة عطايا كافور للمتنبى ولكن الأثبت عندي أن نفس المتنبى طمعت في أكثر من ذلك كأن يوليه كافور ولاية فقد قال له من الطويل :

وَهَبْتَ عَلَى مِقْدَارِ كَفِّي زَمَانَنَا وَنَفْسِي عَلَى مِقْدَارِ كَفِّكَ تَطْلُبُ
إِذَا لَمْ تَنْطُبْ بِي ضَيْعَةً أَوْ وِلَايَةً فَجُودُكَ يَكْسُونِي وَشُغْلُكَ يَسْلُبُ^(٥)

وهنا أوضح له ما في نفسه من إرادة الولاية ولكن كافور كان ذكيا فلما رأى عظم نفسه وعلو همته لم يجبه خوفا مما يمكن أن يؤول إليه الأمر بعد ذلك وقد كان المتنبى قد ألمح إلى ذلك بقوله من الطويل :

وَعَبْرٌ كَثِيرٌ أَنْ يَزُورَكَ رَاجِلٌ فَيَرْجِعَ مَلِكًا لِلْعِرَاقِينَ وَالْيَا^(٦)

وليس بعيد عن الصواب ما فعله الأستاذ كافور فالمتنبى كان ملحا على طلب الخلافة ونوه بها في قوله من الخفيف :

^١ الديوان ج ٤ ص ٤٣٣ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٢ الديوان ج ٢ ص ٣١٣

^٣ الديوان ج ٤ ص ٢٨٠

^٤ الديوان ج ٤ ص ٢٨٢

^٥ الديوان ج ١ ص ٣٠٦

^٦ الديوان ج ٤ ص ٢٧

فَارْمِ بِي مَا أَرَدْتَ مِنِّي فَإِنِّي
أَسَدُ الْقَلْبِ آدَمِيُّ الرُّوَاءِ
وَفُؤَادِي مِنَ الْمُلُوكِ وَإِنْ كَا
نَ لِسَانِي يُرَى مِنَ الشُّعْرَاءِ^(١)

فلما لم يسعفه التنويه والتلميح عاد وصرح فقال من البسيط :

إِلَى الَّذِي تَهَبُّ الدَّوَلَاتُ رَاحَتُهُ
وَلَا يَمُنُّ عَلَى آثَارِ مَوْهُوبٍ^(٢)

ثانياً : وعد كافور ثم مطله حيث أياسه بعد انتظار

يقول المتنبي لكافور من المديد :

مَا مَنَ يَرَى أَنَّكَ فِي وَعْدِهِ
كَمَنْ يَرَى أَنَّكَ فِي حَبْسِهِ
لَا يُنْجِزُ الْمِعَادَ فِي يَوْمِهِ
وَلَا يَعِي مَا قَالَ فِي أَمْسِهِ^(٣)

وقال له أيضاً من الطويل

أَمِينًا وَإِخْلَافًا وَعَدْرًا وَحِسَّةً
وَجُبْنًا، أَشْخَصًا لُحْتَ لِي أُمِّ مَخَازِيَا^(٤)

وواضح جلي وصفه له بالإخلاف والكذب والخسة والغدر والدناءة والجبن والأوضح أيضاً أن نفس المتنبي التي أملت تفرغت هنا من رجاءها فصبت ذلك حمماً على كافور ومعلوم أن المتنبي تحول إلى هذا القول بعد مرحلة طويلة من الصبر والإلحاح في الطلب فقد قال لكافور مرة من الطويل :

وَأَمْضَى سِلَاحَ قَلْدِ الْمَرْءِ نَفْسَهُ
رَجَاءُ أَبِي الْمِسْكَ الْكَرِيمِ وَقَصْدُهُ^(٥)

وكان قد كرر الطلب بقوله من الطويل :

وَمَا رَعْبَتِي فِي عَسَجِدِ اسْتَفِيدُهُ
وَلَكِنَّهَا فِي مَفْخَرِ اسْتَجِدُهُ^(٦)

وهل لنا أن نفسر هذا المفخر والعز الذي يخضب السيوف بالدم غير أنه في قيادة جيوش الحكم والملك حيث قال من الطويل :

أَبَا الْمِسْكَ أَرْجُو مِنْكَ نَصْرًا عَلَى الْعِدَى
وَأَمَلُ عِزًّا يَخْضِبُ الْبَيْضَ بِالْدَمِّ^(٧)

وكان أفصح في هذه القصيدة بانتظاره تحقق هذا الحلم حيث قال من الطويل :

وَلَوْ كُنْتُ أَدْرِي كَمْ حَيَاتِي قَسَمْتُهَا
وَصَبَّرْتُ ثُلثِيهَا انْتِظَارَكَ فَاعْلَمُ^(٨)

^١ الديوانج ١ ص ١٥٩

^٢ الديوان ج ١ ص ٢٩٦

^٣ الديوان ج ٢ ص ٣١٢

^٤ الديوان ج ٤ ص ٤٣٢ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٥ الديوان ج ٢ ص ١٢٣

^٦ الديوان ج ٢ ص ١٣٠

^٧ الديوان ج ٤ ص ٢٦٨

فماذا يكون هذا المنتظر الذي استعد أن يقضي ثلثي حياته في انتظاره إلا الملك .

ثالثاً : الفجوة النفسية التي حصلت للمتني بعد فراقه سيف الدولة :

وأعتقد أن أكبر ما أصاب المتني في بلاط كافور هو بسبب أن المتني بعد فراق سيف الدولة أصابه ألم نفسي عظيم فمضى نفسه أن يعوّض هذا الإخفاق النفسي وال فشل بما سيحود به عليه كافور من الولاية والشواهد جلية على ذلك وأبرزها قوله في مفتح قصيدته أمام كافور سنة سبع وأربعين حين قال من الطويل :

فِرَاقٌ وَمَنْ فَارَقْتُ غَيْرَ مُدَمِّمٍ وَأُمٌّ وَمَنْ يَمَّمْتُ خَيْرُ مِيَمٍ
وَمَا مَتَرُ اللَّذَاتِ عِنْدِي بِمَنْزِلٍ إِذَا لَمْ أُبَجَلْ عِنْدَهُ وَأُكْرَمِ (٢)

ويفهم من البيتين أن المتني يريد من كافور أن يعوضه عما حصل له في بلاط سيف الدولة من النكبات في أيامه الأخيرة وقد كشف عن ذلك بجلاء في قوله من الطويل :

رَحَلْتُ فَكَمْ بَاكِ بِأَجْفَانِ شَادِنٍ عَلَيَّ وَكَمْ بَاكِ بِأَجْفَانِ ضِيَعَمِ (٣)

ولما يأس المتني كلياً من إجابة هذه المطالب زاد الإخفاق السابق بأكبر منه فكانت الصدمة النفسية أكبر من الأولى ولذا حاول أن يرمي حمماً على كافور في أهاجيه وأعتقد أن هذه الحرارة والالتهاب هما سبب ذبوع الأهاجي أكثر من مدائحه في كافور التي لا أرى فيها الصدق الشعوري ، بل كانت في معظمها مجالاً لفلسفة الحكيم عند المتني وعرض فيها شكواه من الزمن والأعداء والمتربصين وتحدث عن نفسه فيها كثيراً .

رابعاً : شماتة حساد المتني به لعدم نيله الملك من عطاء كافور :

حيث كان المتني دائم التبرم من أعدائه وحساده ينظر إليهم بعد كل حادثة تحدث له ونكبة تحل به وكأنه في أشعاره ينطق على لسانهم وقد قال عند كافور من الطويل :

وَمَا شِئْتُ إِلَّا أَنْ أَدُلَّ عَوَازِلِي عَلَيَّ أَنْ رَأَيْتُ فِي هَوَاكَ صَوَابُ
وَأُعْلِمَ قَوْمًا خَالَفُونِي فَشَرُّقُوا وَغَرَّبْتُ أَنِّي قَدْ ظَفِرْتُ وَخَابُوا (٤)

خامساً : ما قرّ في نفس المتني من حسد كافور له :

١ الديوان ج ٤ ص ٢٧٢
٢ الديوان ج ٤ ص ٢٦٣
٣ الديوان ج ٤ ص ٢٦٤
٤ الديوان ج ١ ص ٣٢٥-٣٢٦

كان المتنبي يعرف ما يدور في خلد كافور عنه ولكنه ظل يحاول لعل وعسى فقد قال له ذات مرة في أحد أبياته من الطويل :

وَمِثْلِكَ مَنْ كَانَ الْوَسِيطَ فُؤَادُهُ فَكَلَّمَهُ عَنِّي وَلَمْ أَتَكَلَّمْ^(١)

وهو يعلم ما يضمّر له كافور ولذا قال له من الطويل :

وَإِنْ بَدَلَ الْإِنْسَانَ لِي جُودَ عَابِسٍ جَزَيْتُ بُجُودَ التَّارِكِ الْمُتَبَسِّمِ^(٢)

مشيراً إلى أنه إن بذل له الجود باستثقال جزى بإعراض الزاهد في العطاء .

ولما لم يجد بداً صرّح بهذا الحسد في أحد أبياته قائلاً من الطويل :

وَأَظْلَمُ أَهْلِ الظُّلْمِ مَنْ بَاتَ حَاسِداً لَمَنْ بَاتَ فِي نَعْمَائِهِ يَتَقَلَّبُ^(٣)

سادساً : منع كافور المتنبي من الرحيل عن مصر :

لما يئس المتنبي من تحقيق أمل الولاية عند كافور بدأ عزمه على الرحيل ولكن كافور كان يحول بينه وبين تحقق هذا الأمل فزاد بغضه له فكانت من أسباب هجاءه له فقد صرّح له بذلك قائلاً من المديد :

فَلَيْتَهُ خَلَّى لَنَا طَرْفَنَا أَعَانَهُ اللَّهُ وَإِيَانَا^(٤)

فهو أراد أن ينصرف عنه ليريح نفسه ولكن كافور منعه من ذلك فكان ذلك من أسباب هجاءه له .

لقد أبانت لي دراستي لقصائد المتنبي الهجائية عن تصويره جوانب نفسية وضيعة حيث تنحو هذه القصائد مناحي متعددة على النحو التالي :

أولاً : الهجاء الفاحش المقذع :

لئن رفعت قصائد المتنبي المادحة مكانة كافور عالية فإن أهاجيه نزلت به إلى أسوأ مكانة وقد حفظها الناس ووعوها أكثر من سابققتها حتى ذهبت بعض أبيات هذه الأهاجي أمثالاً شرداً كقوله من البسيط :

لَا تَشْتَرِ الْعَبْدَ إِلَّا وَالْعَصَا مَعَهُ إِنَّ الْعَبِيدَ لَأَنْجَاسٌ مَنَّا كِيدُ^(٥)

وسأتعرض لبعض الصور الوضيعة فيما أطلقت عليه الهجاء الفاحش المقذع على النحو التالي :

١ الديوان ج ٤ ص ٢٧٢

٢ الديوان ج ١ ص ٢٦٦ وشرحه بحاشية الصفحة .

٣ الديوان ج ١ ص ٣٠٩

٤ الديوان ج ٤ ص ٣٨١

٥ الديوان ج ٢ ص ١٤٤

يقول المتنبي في قصيدته ذائعة الصيت التي قالها يوم عرفة قبل مسيره من مصر بيوم واحد من البسيط :

ما يَقْبِضُ الْمَوْتَ نَفْسًا مِنْ نَفْسِهِمْ إِلَّا وَفِي يَدِهِ مِنْ نَتْنِهَا عُوْدُ
أَكْلَمَهَا اغْتَالَ عَبْدُ السَّوِّءِ سَيِّدَهُ أَوْ خَانَهُ فَلَهُ فِي مِصْرَ تَمْهِيدُ
صَارَ الْخَصِيَّ إِمَامَ الْآبِقِينَ بِهَا فَالْحُرُّ مُسْتَعْبِدٌ وَالْعَبْدُ مَعْبُودُ
نَامَتْ نَوَاطِيرُ مِصْرٍ عَنْ تَعَالِيهَا فَقَدْ بَشِمْنَ وَمَا تَفْنَى الْعِنَاقِيدُ
الْعَبْدُ لَيْسَ لِحُرِّ صَالِحٍ بِأَخٍ لَوْ أَنَّهُ فِي ثِيَابِ الْحُرِّ مَوْلُودُ
لَا تَشْتَرِ الْعَبْدَ إِلَّا وَالْعَصَا مَعَهُ إِنَّ الْعَبِيدَ لِأَنْجَاسٍ مَنَّا كِيدُ
مَا كُنْتُ أَحْسَبُنِي أَحْيَا إِلَى زَمَنِ يُسِيءُ بِي فِيهِ عَبْدٌ وَهُوَ مَحْمُودُ (١)

يالها من صورة غاية في القبح فملك الموت في يده عود حتى لا يصل نتن أرواحهم إليه وهذا فعل الإنسان بالجيف ثم عاد ووصم كافور ومن معه من الخصيان بأنه ضراط فسَاء لا يوكى على ما في بطنه من الريح ، ثم نزل عليه بالطامة الكبرى فقال : كافور لا ذكر له ولا لحيه فكيف يعد من الرجال وفي نفس الوقت لا يمكن عده من النسوة وهو لا فرج له ، ثم إن في مصر أمر غريب أكلمنا أهلك عبد سوء سيده مُهد أمره وملكه أهلها على أنفسهم فكافور إمام المهاريين من ساداتهم يجمعهم ويحسن إليهم لأنهم مثله في الخيانة والتمرد وهذا يحصل في مصر لأن الأشراف ناموا عن أداء رسالتهم فعات الأراذل فساداً وأكلوا حقوق الناس وهم مباينون للأحرار في طباعهم ولا يصلحون لمؤاخاتهم ولم يكن المتنبي يعتقد أن تستمر به الحياة إلى زمن يسيء له فيه شر الخليقة ومع ذلك هو مضطر إلى مدحه .

ثم عاد بعد عدة أبيات يقول من البسيط :

إن امرأً أمة حبلى تدبره لمستضام سخين العين مفتود (٢)

يعرض المتنبي بابن الحاكم الذي ترك الأمر لكافور الذي جعله أمة لفقدانه كما يقول آله الرجال وهو يتعجب ويرثي لحال من آل تدبيره إلى من هذه صفته فهو مظلوم مفتود سخين العين يرثي لحاله .

ثم في آخر هذه القصيدة نزل المتنبي بوابل من الشتائم قائلاً من البسيط :

مَنْ عَلَّمَ الْأَسْوَدَ الْمَخْصِيَّ مَكْرَمَةً أَقَوْمُهُ الْبِيْضُ أَمْ آبَاؤُهُ الصَّيْدُ

١ الديوان ج ٢ وشرحها بحواشي الصفحات ١٤٤ - ١٤٥ .

٢ الديوان ج ٢ ص ١٤٧ وشرحه بحاشية الصفحة .

أُمُّ أُذُنُهُ فِي يَدِ النَّخَّاسِ دَامِيَةً أُمُّ قَدْرُهُ وَهُوَ بِالْفَلَسِ—يْنَ مَرْدُودٌ
أُولَى اللَّثَامِ كُوَيْفِيْرٌ بِمَعِ—ذِرَّةٍ ذ فِي كُلِّ لُؤْمٍ، وَبَعْضُ الْعُدْرِ تَفْنِيدُ
وَذَاكَ أَنَّ الْفُحُولَ الْبَيْضَ عَاجِزَةً عَنِ الْجَمِيلِ فَكَيْفَ الْخِصْيَةُ السُّودُ؟^(١)

وهل يوجد إقذاع أبعد غوراً من هذا فهو يستغرب كيف ستأتي المكارم إلى العبد وليس له بالكرام ولا الملوك أي صلة ولا نسب وهو لم يتعد كونه مملوك اشترى بثمن بخس لم يزد على الفلسين وصغر اسمه للتحقير ويرى ذلك عذر له لخسته ولؤمه فإذا كان الكرام عاجزون عن الجميل فكيف بالثام .

وقد فعل المتنبي بوردان ابن ربيعه الطائي أسوأ مما فعل مع كافور فوجدت له في هجاءه قصيدتين كل واحدة أقذع من أختها يقول في الأولى من الوافر :

لَيْنُ تَكُ طَيِّءٌ كُنَّا نَتَّ لِنَامًا فَأَلَامُهُ— رَيْبَعَةٌ أَوْ بَنُوهُ
وَإِنْ تَكُ طَيِّءٌ كَانَتْ كِرَامًا وَرَدَانٌ لِيغِ— يَرِهِمْ أَبُوهُ
مَرَرْنَا مِنْهُ فِي حِسْمِي بَعْبُدُ يَمِجُّ اللَّؤْمُ مَنْخِ—رُهُ وَفُوهُ
فَإِنْ شَقِيَتْ بِأَيْدِيهِمْ جِيَادِي لَقَدْ شَقِيَتْ بِمَنْصُلِي الْوُجُوهُ^(٢)

فالمتنبي يقول إن كانت الخسة في طيء فأبو وردان وبنو أبيه الأم طيء وإن لم تكن وكانت طيء كراماً فلا شك أنه مدعي غير نسبه فهو عبد يمتلي لؤماً حتى أن أنفاسه يخرج منها اللؤم ولا أدل على ذلك من إغرائه عبيد المتنبي بزوجه بفعل الفجور حتى أنفقوا أموال المتنبي على ذلك الفعل المشين مع زوجة وردان وتروى هنا قصة العبد من عبده حينما هربا بسيف أعجب وردان فلحقهما وقتل به أحدهما وهرب الآخر وأما القصيدة الأخرى فعلى النحو التالي من الطويل :

(لَحَ— اللهُ وَرَدَانَا وَأَمَّا آتَتْ بِهِ لَهُ كَسَبٌ خِنْزِيرٍ وَخُرْطُومٌ تَعَلَّبِ
فَمَا لَكُ—انَ فِيهِ الْعُدْرُ إِلَّا دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ—هُ فِيهِ مِنَ الْأُمِّ وَالْأَبِ
إِذَا كَسَبَ الْإِنْسَانُ مِنْ هُنَّ عَرْسِهِ فَيَا لُؤْمَ إِنْسِ—انِ وَيَا لُؤْمَ مَكْسَبِ
(أَهْدَا اللَّذِيًّا بِنْتُ—تُ وَرَدَانَ بِنْتُهُ هُمَا الطَّالِبَانِ الرَّزْقَ مِنْ شَرِّ مَطْلَبِ)

لقد كنت أنفي الغدر عن توس طيء فلا تغذلاني رب صدق مكذب^(٣)

^١ الديوان ج ٢ ص ١٤٧-١٤٨ وشرحها بحاشية الصفحتين ١٤٧-١٤٨ .

^٢ الديوان ج ٤ ص ٤٠٣-٤٠٤ وشرحها بحواشي الصفحات ٤٠٣-٤٠٤ .

^٣ الديوان ج ١ ص ٣٤٢ وشرحها بحاشية الصفحة .

بدأ المتنبي هجاءه المقذع بالدعاء بالقبح واللعن على وردان وأمّه فقد جعله كالخنزير لأنّ الخنزير يأكل العذرة وهي دويبة كريهة الرائحة تألف الأماكن القذرة ثم وصف وجهه بخرطوم الثعلب لأنه ناتئ الوجه والغدر في وردان وراثي عن أمه وأبيه فقد كانا غادرين وقيل المراد أن أمه غدرت فيه بأبيه فجاءت به لغير رشده وهل أقبح من أن يكون الإنسان ديوثاً يكتسب من فرج زوجته؟ ثم يقول متفكها أهذه الحشرة الخسيصة تنسب إلى هذا الرجل ولذا جاءت خسيصة حقيرة مثله لأتّهما يطلبان الرزق من الحقارة هي في أماكن العذرة وهو من فرج زوجته وهو ينفى الغدر عن طي ويثبت بهذا أن وردان ليس منهم .

ولقد بلغ الفحش بالمتنبي منتهاه في هجاءه لإسحاق بن إبراهيم ابن كيغلع الأعور وسأعرض لبعض أبيات هذه القصيدة حيث قال من الكامل :

يحمي ابن كيغلع الطريق وعرسه ما بين رجليها الطريق الأعظم
أقم المسالح فوق شفر سكيـنة إنّ المني بحلقتيها خضرم
وارفق بنفسك إنّ خلقك ناقص واستر أباك فإنّ أصلك مظلم

(١)

هنا يروى أن ابن كيغلع منع المتنبي من السفر بعد أن طلب منه أن يمدحه فأعتذر بأنه أقسم يمينا لا يمدح مدة فأراد ابن كيغلع أن تنقضي المدة وإتّما كان المتنبي يراوغ فقط لأنّ بينهما عداوة قديمة وواضح من الأبيات إقذاعها وسفالتها وعاد بعد عدة أبيات قائلاً له :

يمشي بأربعة على أعقابـه تحت العلوج ومن وراء يلجم
وَجْفُونُهُ مَا تَسْتَقِرُّ كَأَنَّهَا مَطْرُوفَةٌ أَوْ فُتٌّ فِيهَا حِصْرٌ
وَإِذَا أَشَارَ مُحَدَّثًا فَكَأَنَّهُ قَرْدٌ يُقَهِّفُهُ أَوْ عَجُوزٌ تَلْطِمُ
يَقْلَى مُفَارَقَةَ الْأَكْفِ قَدَالُهُ حَتَّى يَكَادَ عَلَى يَدٍ يَتَعَمَّمُ^(٢)

فوجدت أن المتنبي يهجو عن قلب حقود لا يسامح وإن وجدنا له بعض العذر في هجاء ابن كيغلع ووردان فإنّ كافور لا يستحق هذا فهو استقبله استقبالا حسنا وأعطاه وإن كان العطاء أقل مما أمل المتنبي وإن كان المسلم يجب أن يربأ عن مثل هذا القول الفاحش وخاصة لإخوانه المسلمين مهما كان بينه وبينهم من العداوة ولا يفوتني القول أن مثل هذه القصائد كالنقط السوداء في صفحة ديوان المتنبي الناصعة البياض فياليته سكت عن مثلها .

ثانياً : الهجاء الخالي من الفحش :

^١ الديوان ج ٤ ص ٢٥٣
^٢ الديوان ج ٤ ص ٢٥٤-٢٥٧

قال المتنبي لكافور في إحدى قصائده بعد أن رأى تشققاً في رجله من الطويل :

وَتَعْجَبِي رَجْـلَاكَ فِي النَّعْلِ، إِنِّي
وَأَنَّكَ لَا تَدْرِي أَلْوَنُكَ أَسْوَدٌ
وَيَذْكُرُنِي تَحْيِيظُ كَعَبِكَ شَقَّهُ
وَلَوْلَا فَضُولُ النَّاسِ جُنْتُكَ مَادِحاً
فَأَصْبَحْتَ مَسْرُوراً بِمَا أَنَا مُنْشِدٌ
فَإِنْ كُنْتَ لَا خَيْراً أَفَدْتُ فَإِنِّي
وَمِثْلُكَ يُؤْتَى مِنْ بِلَادٍ بَعِيدَةٍ
رَأَيْتُكَ ذَا نَعْلٍ إِذَا كُنْتَ حَافِياً
مِنَ الْجَهْلِ أَمْ قَدْ صَارَ أبيضَ صَافِياً
وَمَشِيكَ فِي ثَوْبٍ مِنَ الزَّيْتِ عَارِياً
بِمَا كُنْتُ فِي سَرِّي بِهِ لَكَ هَاجِياً
وَإِنْ كَانَ بِالْإِنْشَادِ هَجُوكَ غَالِياً
أَفَدْتُ بِلِحْظِي مِشْفَرِيكَ الْمَلاهِياً
لِيُضْحِكَ رَبَّاتِ الْحِدَادِ الْبَوَاكِياً^(١)

ويتضح في هذه القصيدة أن المتنبي يتلهى بعد أن دب اليأس إلى نفسه ولقد قال له في نفس القصيدة من الطويل :

أريك الرضا لو أخفت النفس خافياً وما أنا عن نفسي ولا عنك راضياً^(٢)
وبإمكاننا النظر إلى هذه الصور : رجلٌ غليظة حافية مشققة القدمين كأنها غمست بالزيت الأسود — شفة غليظة كأنها مشفر بعير تضحك من رآها هكذا الأمر عند المتنبي على الأقل .
وسأعرض عدة صور من هجائياته :

قال قاصداً كافور من المتقارب :

بِمَا نَبْطِي مِنْ أَهْلِ السَّوَادِ
وَأَسْوَدٌ مِشْفَرُهُ نِصْفُهُ
يُدْرَسُ أَنْسَابَ أَهْلِ الْفِلا
يُقَالُ لَهُ أَنْتَ بَدْرُ الدَّجَى
بَيْنَ الْقَرِيضِ وَبَيْنَ الرَّقَى^(٣)
وَشِعْرٌ مَدَحَتْ بِهِ الْكَرْكَدَنَّ

والنبطي المراد وزير كافور أبو الفضل ابن خزابه والأسود كافور فهذا يدرس أنساب العرب وهو ليس بما عارفاً وليس عربياً وذا أسود يقال له أنت القمر وشبهه بحيوان وحيد القرن وأخبر أن أماديجه فيه بين الشعر وبين الرقية اتقاء له واحتياطاً لما يريد من الطلب .

وقال يهجو السامري من الوافر :

أَسْـأَمْرِي ضُحْكَةٌ كُلُّ رَأَى
صَعْرَتْ عَنِ الْمَدِيحِ فَقَلْتُ أَهْجَى
فَطِئْتُ وَكُنْتُ أَغْبَى الْأَغْبِيَاءِ
أَنَّكَ مَا صَعْرَتْ عَنِ الْهَجَاءِ

١ الديوان ج ٤ ص ٤٣٣
٢ الديوان ج ٤ ص ٤٣٢
٣ الديوان ج ١ ص ١٦٧

وَمَا فَكَّرْتُ قَبْلَكَ فِي مُحَالٍ وَلَا جَرَّبْتُ سَيْفِي فِي هَبَاءٍ^(١)
يقول حين عرفت أنك أحقر من أن تمدح تعرضت للهجاء كأنك لا تدري أنك كذلك أحقر من
أن تمجى فكيف ذلك والمنتبي ما فكر في الباطل ولا يليق به أن يجرب سيفه في قطع الهباء ! ،
وهذه الأبيات قمة في التعريض والاستهزاء .

ولنتأمل هذا البيت الذي هجا به كافور من قصيدة رنانة لفاتك من الكامل :
أَيْدٍ مُقَطَّعَةٌ حَوَالِي رَأْسِهِ وَقَفًا يَصِيحُ بِهَا: أَلَا مَنْ يَصْفَعُ^(٢)
إنه يعطي دلالة على الحس الفكاهي العالي عند المنتبي ولا شك فقفا كافور تعودت الصفع حتى
أصبحت تصيح بحثاً عن الصفع !

ثالثاً : الحكمة في قصائد الهجاء

لقد ذكرت من قبل أن المنتبي كان دوماً يبحث في قصائده عن مكان يذكر فيه آراءه
وفلسفاته ولما كانت قصائد الهجاء من أصدق الشعر وجدت أن أبا الطيب بث من خلالها حكماً
رائعة بعضها أصبحت أمثالاً شرداً يتداولها الناس وأعني بالحكمة هنا تلك النظرات الصائبة التي
أطلقها المنتبي للكون والحياة والناس والدين والأخلاق فتلقفها الناس بعده بالقبول وسأعدد بعض
الشواهد من هجائيات المنتبي على النحو التالي :

ورد في هجائية المنتبي لكافور التي مطلعها من الوافر :

أَمَّا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا كَرِيمٌ تَزُولُ بِهِ عَنِ القَلْبِ الِهُمُومُ^(٣)

حيث ختمها بأربعة أبيات رائعة من الحكمة قائلاً من الوافر :

أَخَذْتُ بِمَدْحِهِ فَرَأَيْتُ لَهَوًا مَقَالِي لِلأَحْيَمِيقِ يَا حَلِيمُ
وَلَمَّا أَنْ هَجَوْتُ رَأَيْتُ عِيًّا مَقَالِي لِابْنِ آوَى يَا لَيْيْمُ
فَهَلْ مِنْ عَاذِرٍ فِي ذَا وَفِي ذَا فَمَدْفُوعٌ إِلَى السَّقَمِ السَّقِيمُ
إِذَا أَتَتِ الإِسَاءَةُ مِنْ وَضِيْعٍ وَلَمْ أَلْمِ المُسِيءَ فَمَنْ أَلُومُ^(٤)

يقول أكرهت على مدحه فرأيتني لاهياً أن أصف الأحمق بالحلم ولما هجوته كانت نسبيتي إياه إلى
اللؤم عيا لأنه لا يحتاج إلى بيان ولكن هل من يقوم بعذري في مدحه وهجائه ، فقد كنت مضطراً

^١ الديوان ج ١ ص ١٦٩

^٢ الديوان ج ٣ ص ١٩

^٣ الديوان ج ٤ ص ٢٨٢

^٤ الديوان ج ٤ ص ٢٨٣ وشرحها بحاشية الصفحة .

لهما كالسقم يطراً على السقيم دون اختياره ، ثم ختم بالبيت الأخير قائلاً إذا أساء الوضع إلى المرء ولم يوجه اللوم إليه فمن يلوم إذا ؟

وفي هجائته حين خروجه من مصر وهي من أقوى هجائاته لكافور وردت عدة أبيات من الحكم أبرزها قوله من البسيط :

لا تَشْتَرِ الْعَبْدَ إِلَّا وَالْعَصَا مَعَهُ
وَقَوْلُهُ مِنَ الْبَسِيطِ :
إِنَّ الْعَبِيدَ لِأَنْجَاسٍ مَنَاكِيدُ

وَعِنْدَهَا لَذَّ طَعْمِ الْمَوْتِ شَارِبُهُ
وَفِي هِجَائِيَةِ ابْنِ كَيْغَلِغِ الْأَعْوَرِ وَجَدْتَ أَيْبَاتًا رَائِعَةً فِي الْحِكْمَةِ حَيْثُ يَقُولُ فِيهَا مِنَ الْكَامِلِ :
إِنَّ الْمَنِيَّةَ عِنْدَ الذَّلِّ قَنَدِيدُ^(١)

وَلَقَدْ رَأَيْتُ الْحَادِثَاتِ فَلَا أَرَى
وَالْهَمُّ يَخْتَرِمُ الْجَسِيمَ نَحْ—اَفَةً
ذُو الْعَقْلِ يَشْقَى فِي النَّعِيمِ بِعَقْلِهِ
وَالنَّاسُ قَدْ نَبَدُوا الْحِفَاطَ فَمُطَلَقُ
لَا يَخْ—دَعَنَّكَ مِنْ عَدُوِّ دَمْعُهُ
لَا يَسْلَمُ الشَّرْفُ الرَّفِيعُ مِنَ الْأَذَى
يُؤْذِي الْقَلِيلُ مِنَ اللَّتَامِ بِطَبْعِهِ
وَالظَّلْمُ مِنْ شَيْمِ النَّفْسِ فَإِنْ تَجَدَّ
يَقْقَأُ يُمَيْتٌ وَلَا سَوَادًا يَعْصِمُ
وَيُشِيبُ نَاصِيَةَ الصَّبِيِّ وَيُهْرِمُ
وَأَخُو الْجَهَالَةِ فِي الشَّقَاوَةِ يَنْعَمُ
يَنْسَى الَّذِي يُؤَلَى وَعَافٍ يَنْدَمُ
وَأَرْحَمُ شَبَابِكَ مِنْ عَدُوِّ تَرْحَمُ
حَتَّى يُرَاقَ عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمُ
مَنْ لَا يَقِلُّ كَمَا يَقِلُّ وَيَلُومُ
ذَا عِفَّةٍ فَلَعِ—لَّةٍ لَا يَظْلِمُ

وكل هذه الأبيات حكم رائعة تفيض بالتأمل ودقة النظر ونحتاج لصفحات لشرحها ولوضوحها نتركها كما قال شاعرنا الكبير وأرى أن هذه الحكم ضمنت الكثير من السمات السلبية التي يرى أبو الطيب اتصاف المهجو بها ولا شك أن أعجمية ابن كيغलग أذكت حدة هذا الهجاء ، فالمتنبى يستنهض الهمم العربية ليرد للعربي مكانته التي يرى أنها فقدت حيث استولى الأعاجم على الملك والوزارة والمال وكل شيء في ديار العرب والمسلمين .

ولا أدل على نفاسة هذه الحكم من قول ابن جني وهو من أكبر شراح ديوان المتنبى في البيت من الكامل :

لَا يَسْلَمُ الشَّرْفُ الرَّفِيعُ مِنَ الْأَذَى
حَتَّى يُرَاقَ عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمُ
" أشهد بالله لو لم يقل إلا هذا لكان أشعر الشعراء المجيدين وكان له أن يتقدم عليهم^(٢)"

^١ الديوان ج ٢ ص ١٣٩
^٢ شرح البرقوقى ، ج ٤ ، ص ٢٥٢

الفصل السادس

تصويره لتقلب الطباع واختلاف العواطف

الفصل السادس : تصويره لتقلب الطباع واختلاف العواطف

لقد حاولت أن التقط من أشعار المتنبي أبياته التي صور فيها تقلب الطباع واختلاف العواطف فكانت منها باقية من الحكم سأعرضها في هذا الفصل معلقاً عليها على النحو التالي :
أول ما لفت انتباهي عنده فكرة رأيت أنها تؤلف مذهبا من آراءه وهو معنى القول المشهور " الطبع يغلب التطبع " فلم أجد أن المتنبي يناقضها تبعا للظروف المختلفة التي اكتنفته فقد عبر عنها بطرق شتى فمرة يقول من المنسرح بأن سير المرء على سجيته هو سبيل النجاح وفي تكلف الإنسان زلل :

أَبْلَغُ مَا يُطَلَّبُ النَّجَاحُ بِهِ الـ طَّبَعُ وَعِنْدَ التَّعَمُّقِ الزَّلَلُ^(١)

وقد قال أيضا من الطويل :

وَكَلُّ يَرَى طُرُقَ الشَّجَاعَةِ وَالنَّدَى وَلَكِنَّ طَبَعَ النَّفْسِ لِلنَّفْسِ قَائِدُ^(٢)

ويقول من الطويل : إن سلوك المرء قد يخالف طبعه ولكن ذلك لا يكون فطرة بل تكلفا يعرفه من يعرف أخلاق ذلك الرجل :

وَلِلنَّفْسِ أَخْلَاقٌ تَدُلُّ عَلَى الْفَتَى أَكَانَ سَخَاءً مَا أَتَى أُمَّ تَسَاخِيَا^(١)

^١ الديواني ج٤ ص
^٢ الديوان ج١/ ٣٩٩

وعند المتنبي أن أمر التكلف يفتضح سريعاً من الطويل :

أبى خُلُقُ الدُّنْيَا حَبِيْباً تُدِيْمُهُ
فَمَا طَلَبِي مِنْهَا حَبِيْباً تَرُدُّهُ
وَأَسْرَعُ مَفْعُولٍ فَعَلْتِ تَعْيُراً
تَكَلَّفُ شَيْءٍ فِي طِبَاعِكَ ضِدَّهُ^(٢)

والرأي الطبع عند المتنبي خير من الرأي المعلم المستفاد كما يقول من الخفيف :

فَقَدَى رَأْيِكَ الَّذِي لَمْ تُفَدَّهُ
كُلُّ رَأْيٍ مُعَلِّمٍ مُسْتَفَادٍ
وَإِذَا الْحَلْمُ لَمْ يَكُنْ عَنْ طِبَاعٍ
لَمْ يَكُنْ عَنْ تَقَادُمِ الْمِيْلَادِ^(٣)

أي بالغريزة يتعلق الحلم لا بتقادم السن .

ووجدت المتنبي دائماً يمقت التطبع كما يقول من البسيط :

لَأَنَّ حِلْمَكَ حِلْمٌ لَا تَكَلَّفُهُ
لَيْسَ التَّكْحَلُ فِي الْعَيْنَيْنِ كَالْكَحَلِ^(٤)

وحتى في الصداقة والحب الطبع لا يغيره شيء بل هو ثابت على الدوام كما يقول من المتقارب :

يُرَادُ مِنَ الْقَلْبِ نَسْيَانُكُمْ
وَتَأْبَى الطَّبَاعُ عَلَى النَّاقِلِ^(٥)

وكل شيء يتغير إلا الحسد فهو لا يزول من القلوب والحسد ثابت في قلب الحاسد لا يمكن

للإنسان إزالته أو تغييره كما يقول من الطويل :

أُعَادَى عَلَى مَا يُوجِبُ الْحُبَّ لِلْفَتَى
سِوَى وَجَعِ الْحَسِّ—َادِ دَاوِ فَإِنَّهُ
وَلَا تَطْمَعَنَّ مِنْ حَاسِدٍ فِي مَوَدَّةٍ
وَإِنْ كُنْتَ تُبْدِيهَا لَهُ وَتُنِيلُ^(٦)
وَأَهْدَأُ وَالْأَفْكَارُ فِي تَجْوُلِ
إِذَا حَلَّ فِي قَلْبٍ فَلَيْسَ يُحْوَلُ

والمتنبي صاحب تجارب عرف من خلالها الناس وهو يرى أنهم مخادعون كما يقول من الوافر :

إِذَا مَا النَّاسُ جَرَّبَهُمْ لَبِيبٌ
فَلَمْ أَرَ وَدَّهِمْ إِلَّا خِدَاعاً
فَإِنِّي قَدْ أَكَلْتُهُمْ وَذَاقَا
وَلَمْ أَرَ دِينَهُمْ إِلَّا نِفَاقاً^(٧)

وهو يرى أن التشكي لا ينفع بل على المرء الحذر كما يقول من البسيط :

وَلَا تَشَكَّ إِلَى خَلْقٍ فُتِّشَ مِنْهُ
شَكْوَى الْجَرِيحِ إِلَى الْغُرْبَانِ وَالرَّحِمِ

^١ الديوان ج ٤ / ٤٢٠

^٢ الديوان ج ٢ ص ١١٩

^٣ الديوان ج ٢ ص ١٣٣

^٤ الديوان ج ٣ ص ٢١١

^٥ الديوان ج ٣ ص ٢٥٣

^٦ الديوان ج ٣ ص ٢٣٠

^٧ الديوان ج ٢ ص ٤٧

وَكُنْ عَلَى حَذَرٍ لِلنَّاسِ تَسْتُرُهُ
وَلَا يَغُرُّكَ مِنْهُمْ تَعَرُّ مُبْتَسِمٍ
غَاضَ الْوَفَاءُ فَمَا تَلْقَاهُ فِي عِدَّةِ
وَأَعْوَزَ الصِّدْقُ فِي الْإِخْبَارِ وَالْقَسَمِ (١)

وهو يكرر تحذيره بعدم الانخداع ووجوب أخذ الحذر وهذا من تجاربه كما يقول من البسيط :
غَيْرِي بِأَكْثَرِ هَذَا النَّاسِ يَنْخَدِعُ
أَهْلُ الْحَفِيظَةِ إِلَّا أَنْ تُجَرِّبَهُمْ
وَمَا الْحَيَاةُ وَنَفْسِي بَعْدَمَا عَلِمْتُ
وَفِي التَّجَارِبِ بَعْدَ الْعَيِّ مَا يَزَعُ
أَنَّ الْحَيَاةَ كَمَا لَا تَشْتَهِي طَبْعُ (٢)
وعلی الإنسان أن يجازي بمثل ما يعطى له ويواصل حذره ممن حوله ولا يصحب إلا الكرام كما يقول من الوافر :

وَلَمَّا صَارَ وَدَّ النَّاسِ حِبًّا
جَزَيْتُ عَلَى ابْتِسَامِ بِابْتِسَامِ
وَصِرْتُ أَشْكُ فَيَمَنْ أَصْطَفِيهِ
(لَعَلَّمِي أَنَّهُ بَعْضُ الْأَنَامِ
يُحِبُّ الْعَاقِلُونَ عَلَى التَّصَافِي
وَإِذَا مَا لَمْ أَجِدْهُ مِنَ الْكِرَامِ
أَرَى الْأَجْدَادَ تَغْلِبُهَا كَثِيرًا
عَلَى الْأَوْلَادِ أَخْلَاقُ اللَّثَامِ (٣)

وعلى المرء حيال هؤلاء أن يعفو فإن وقع على الكرام فقد ملكهم بعفوه وإن وقع على اللثام فسيتمردون عليه كما يقول من الطويل :

وَمَا قَتَلَ الْأَحْرَارَ كَالْعَفْوِ عَنْهُمْ
وَمَنْ لَكَ بِالْحُرِّ الَّذِي يَحْفَظُ الْيَدَا
إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْكُرَيْمَ مَلَكَتْهُ
وَإِنْ أَنْتَ الْكُرَيْمَةَ اللَّيْمَ تَمَرَّدَا
وَوَضَعَ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالْعَلَى
مُضْرٌّ كَوْضِعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى (٤)

وأما الإنسان عديم الوفاء ففارقه إلى غيره كما يقول من الخفيف :

إِذَا صَدِيقٌ نَكَرَتْ جَانِبُهُ
لَمْ تُعِينِي فِي فِرَاقِهِ الْحَيْلُ (٥)
فِي سَعَةِ الْخَافِقِينَ مُضْطَرَبٌ
وَفِي بِلَادٍ مِنْ أُخْتِهَا بَدَلُ

وهذا حال الدنيا أبدا فالطباع فيها متقلبة أبداً كما يقول من الطويل :

وَمَنْ صَحِبَ الدُّنْيَا طَوِيلًا تَقَلَّبَتْ
عَلَى عَيْنِهِ حَتَّى يَرَى صِدْقَهَا كِذْبًا (١)

١ الديوان ج ٤ ص ٢٩٥

٢ الديوان ج ٢ ص ٣٣٠

٣ الديوان ج ٤ ص ٢٧٤

٤ الديوان ج ٢ ص ١١

٥ الديوان ج ٤ ص ٣٢٧

والمرء عند المتنبي يسوء ظنه بالناس إذا كان فعله سيئاً والمتنبي يصادق نفس الإنسان لا جسمه ويتعامل بالحلم مع أصدقائه ليعودوا إلى جادة الصواب ولا يقبل إلا ما يكون عن نفس طيبة كما يقول من الطويل :

وَصَدَقَ مَا يَعْتَادُهُ مِنْ تَوَهُّمٍ
وَأَصْبَحَ فِي لَيْلٍ مِنَ الشُّكِّ مُظْلِمٍ
وَأَعْرِفُهَا فِي فِعْلِهِ وَالتَّكَلُّمِ
مَتَى أَجْزِهِ حِلْمًا عَلَى الْجَهْلِ يَنْدَمِ
جَزَيْتُ بِجُودِ التَّارِكِ الْمُتَبَسِّمِ (٢)

إِذَا سَاءَ فِعْلُ الْمَرْءِ سَاءَتْ ظُنُونُهُ
وَعَادَى مُحِبِّهِ بِقَوْلِ عُدَاتِهِ
أَصَادِقُ نَفْسِ الْمَرْءِ مِنْ قَبْلِ جِسْمِهِ
وَأَحْلُمُ عَنْ خَلِّي وَأَعْلَمُ أَنَّهُ
وَإِنْ بَدَلَ الْإِنْسَانُ لِي جُودَ عَابِسٍ

الفصل السابع

تصويره لعاطفة الحب ونظرتة إلى المرأة

الفصل السابع : تصويره لعاطفة الحب ونظرتة إلى المرأة

الحب كَلَفٌ ينحل الأجساد ، ويضرم الأكباد ، وتتقرّح له العيون من السهاد ، وتنطلق منه الألسن ناطقة بالشكوى مما أصاب القلب في السواد ، والغزل فن شعري رقيق على النفوس ، خفيف الوقع على الآذان ، قريب إلى الفطرة الإنسانية لأنه في جملته وتفصيله يجول حول المرأة وهي النصف الآخر للرجل وريحانة الحياة وزينة العيش وسر البهجة والإيناس والخبور في حياة الرجل يستوي في ذلك الأمير والصعلوك والبر والفاجر والشريف والوضيع .
والغزل بالإضافة إلى ذلك ترجمان العواطف وصدى المشاعر وفيض الوجدانات ، وهو رسول الحب والمتحدث باسمه لأنه يصور أحداثه ووقائعه ويرسم آماله وآلامه ومن خلاله يصور المحبون ما يتنَزَّى في جوانحهم ويبرزون ما يجول في سرائرهم وسأبدأ الحديث في هذا الفصل بعد قراءة متأنية لشعر المتنبي في هذا الجانب وهو أصدق ترجمان عن نفسه طارحا هذا السؤال : هل أحب المتنبي ؟

والجواب : إن أردنا الحب العابر الذي لا يعدو الإعجاب بالحسن وهو الأمر الذي يمر بالناس كلهم فأنا لا أستطيع أن أبرّئ ساحة المتنبي منه فليس يخلو قلب من صبوة فما بنا بقلب شاعر عظيم كيف لا يفتن لمعاني الجمال ويدرك أسراره ؟ وأما ذلك الحب العالي الذي قدمت

بتعريفه وهو الذي يضيئ الروح ويبدله العقل ويفني الجسم ويضرم السعير في الجوف فهو ما أنفيه
عن المتنبى متعللاً بالأسباب التالية :

أولاً :

الحب عاطفة تزهر مع صبا الفتى وتوقد نارها من تفتق الفتوة ومن تعدى هذه المرحلة
سالماً فمن النادر أن تعلق به حبائل الحب وتاريخ المتنبى في هذه الفترة المبكرة من حياته بعيد عن
ذلك فقد كان صبياً قويا الشكيمة ، كثير الاعتداد بالنفس ، بعيد مرامي المهمة ، متطلعا إلى معالي
الأمر ، طالبا جسام الآمال - كما أسلفت في ثنايا هذا البحث- ولنسمع إلى قوله من الطويل :

تُحَقِّرُ عِنْدِي هِمَّتِي كُلَّ مَطْلَبٍ وَيَقْصُرُ فِي عَيْنِي الْمَدَى الْمُتَطَاوِلُ

وهو من أعلن بقوة ما ينوي فعله بقوله من البسيط :

لَقَدْ تَصَبَّرْتُ حَتَّى لَاتَ مُصْطَبِرٌ فَالآنَ أَقْحَمُ حَتَّى لَاتَ مُقْتَحَمٌ
لَأَتْرُكَنَّ وُجُوهَ الْخَيْلِ سَاهِمَةً وَالْحَرْبُ أَقْوَمُ مِنْ سَاقٍ عَلَى قَدَمٍ^(١)

وفي هذه الشواهد وغيرها كثير ما يبيّن لنا بجلاء أنّ المتنبى تغنى قلبه بجلائل الأعمال لا بربات
الحجال .

ثانياً :

لم أعر في غزل المتنبى على اسم امرأة أحبها وتعشقها قلبه اللهم إلا اسم جمل وهو اسم اقتضته
القافية فيما بدا لي في قوله من الطويل :

إِذَا عَدَلُوا فِيهَا أَجَبْتُ بِأَنِّي: حُسْبِي قَلْبِي فُؤَادِي هِيَ جُمْلُ^(٢)

وأين المتنبى من قول المحبين من الطويل :

فصرح بمن تهوى ودعنا من الكنى فلا خير في اللذات من دونها ستر
وأين هو إن كانت ولته الصباة ممن انتسبوا إلى محبوباتهم كمجنون ليلي وقيس لبني وكثير عزة
وغيرهم من الأمثلة المعروفة المشهورة

ثالثاً : عاش المتنبى حياة جد وصرامة ولم يستجب منذ صغره للهو والعبث فقد قيل له وهو في
المكتب : ما أحسن هذه الوفرة (الشعر المجتمع على الرأس) فرد بهذا الرد الذي يسمع من صداه
قعقة السلاح حيث قال من المديد :

لَا تَحْسُنُ الْوَفْرَةَ حَتَّى تُرَى مَشْورَةَ الضَّفْرَيْنِ يَوْمَ الْقِتَالِ

^١ الديوان ج ٤ ص ١٥٧

^٢ الديوان ج ٣ ص ٢٩٨

عَلَى فَتَى مُعْتَقِلٍ صَعْدَةً
يَعْلَهَا مِنْ كُلِّ وَافِي السَّبْدَالِ (١)

ولم يعاقر المتنبّي الشراب إلا مجاملة لجلسائه من الأشراف والأمراء والحب فيه ولا شك نوع من المجانة وإن كان وثيق الصلة بالطباع فهو لا يقوى على القلوب قوية الشكائم ولا ينفذ سحره إلى النفوس المفتونة بالمجد والمعالي ونفس المتنبّي - كما أثبت بالفصول السالفة - من هذه النفوس ولنستأنس بهذه الشواهد من أقواله حيث يقول من البسيط :

سُبْحَانَ خَالِقِ نَفْسِي كَيْفَ لَذْتُهَا
فِي مَا النَّفْسُ تَرَاهُ غَايَةَ الْأَلَمِ (٢)
وهو القائل من الطويل :

وَفِي النَّاسِ مَنْ يَرْضَى بِمِيسُورِ عَيْشِهِ
وَلَكِنَّ قَلْبًا بَيْنَ جَنَبِيٍّ مَا لَهُ
يَرَى جِسْمَهُ يُكْسَى شُفُوفًا تَرُبُّهُ
وَمَرَكُوبُهُ رِجْلَاهُ وَالثَّوْبُ جِلْدُهُ
مَدَى يَنْتَهِي بِي فِي مُرَادٍ أَحَدُهُ
فِيخْتَارُ أَنْ يُكْسَى دُرُوعًا تَهْدُهُ (٣)
وقد عرضت في حديثي عن آماله لقوله من الطويل :

وَلَا تَحْسَبَنَّ الْمَجْدَ زَقًا وَقَيْنَةً
وَتَضْرِيبُ أَعْنَاقِ الْمُلُوكِ وَأَنْ تُرَى
وقد قال عن الخمر من الوافر :

أَلَذُّ مِنَ الْمُدَامِ الْخَنْدَرِيسِ
مُعَاطَةُ الصَّفَائِحِ وَالْعَوَالِي
فَمَوْتِي فِي الْوَعَى عَيْشِي لِأَتِي
وَأَحْلَى مِنْ مُعَاطَةِ الْكُؤُوسِ
وَأِقْحَامِي خَمِيسًا فِي خَمِيسِي
رَأَيْتُ الْعَيْشَ فِي أَرْبِ النَّفُوسِ (٤)
وهو القائل من الوافر :

إِذَا مَا الْكُأْسُ أَرْعَشَتِ الْيَدَيْنِ
هَجَرَتْ الْخَمْرَ كَالذَّهَبِ الْمُصَفَّى
وَصَحَوْتُ فَلَمْ تَحُلْ بَيْنِي وَبَيْنِي
فَخَمْرِي مَاءٌ مُزْنٌ كَاللَّجِينِ (٥)
وقد قصد بقوله بيني وبينه وبين عقله، وقال وقد قدم له إنسان يده بكأس وحلف بالطلاق ليشربنها من الكامل :

وَإِخْلَانًا لَنَا بَعَثَ الطَّلَاقَ أَلِيَّةً
لَأَعْلَنَّ بِهَذِهِ الْخُرْطُومِ

١ الديوان ج ٣ ص ٢٧٩

٢ الديوان ج ٤ ص ٢٩٥

٣ الديوان ج ٢ ص ١٢٣

٤ الديوان ج ٢ ص ٢٥٣

٥ الديوان ج ٢ ص ٣٠٠

٦ الديوان ج ٤ ص ٣٢٥ وشرحه في حاشية الصفحة .

فَجَعَلْتُ رَدِّي عِرْسَهُ كَفَّارَةً
مِنْ شُرْبِهَا وَشَرِبْتُ غَيْرَ أَثِيمٍ^(١)

رابعاً :

قدمت في ثنايا هذا البحث أن المتنبي من الشعراء القلائل الذين جاء شعرهم صورة صادقة لنفوسهم ومرآة واضحة لنزعات ميولهم ولذا وجب علينا أن نصدق قول لسانه لأننا وجدنا أنه رجل صادق صريح لا يوارى ولا يكذب وقد كان هذا مما جرّ عليه الرزايا في حياته وسأعرض لما قال بلسانه من أبيات عن الحب والمرأة ناظراً لما وراءها من المعاني على النحو التالي :

يقول في ذم الدنيا والعزوف عن المباحج والحسان من الطويل :

ومن نكّدت الدنيا على الحرّ أن يرى
عَدُوًّا لَهُ ما من صَدَقَاتِهِ بُدُّ^(٢)
بِقَلْبِي وَإِنْ لَمْ أَرَوْ مِنْهُ — مَلَالَةً
وبي عن غوانيتها وإن وصلت صدُّ

وقد قال زارياً على العشاق ورافعاً نفسه عن الوقوع في سحر الغانيات من الطويل :

وَلِلْخَوْدِ مَنِّي سَاعَةً ثُمَّ بَيْنَنَا
فَلَاةٌ إِلَى غَيْرِ اللَّقَاءِ تُجَابُ
وَمَا الْعِشْقُ إِلَّا غِرَّةٌ وَطَمَاعَةٌ
يُعْرَضُ قَلْبُ نَفْسِهِ فَيَصَابُ
وَعَيْرُ فُؤَادِي لِلْعَوَايِي رَمِيَّةٌ
وَعَيْرُ بَنَانِي لِلزَّجَاجِ رِكَابُ
تَرَكْنَا لِأَطْرَافِ الْقَنَا كُلِّ شَهْوَةٍ
فَلَيْسَ لَنَا إِلَّا بَيْنَ لِعَابِ^(٣)

وقد قال مفصّحاً عن هذا المعنى ومؤكداً له من البسيط :

لَوْ لَا الْعُلَى لَمْ تُجِبْ بِي مَا أَحْجَبُ بِهَا
وَجَنَاءُ حَرْفٍ وَلَا جَرْدَاءُ قَيْدُودُ
وَكَانَ أَطْيَبَ مِنْ سَيْفِي مُعَانِقَةٌ
أَشْبَاهُ رَوْتِقِهِ الْغَيْدُ الْأَمَالِيدُ
لَمْ يَتْرِكِ الدَّهْرُ مِنْ قَلْبِي وَلَا كَبْدِي
شَيْئاً تُتِمُّهُ عَيْنٌ وَلَا جِي — دُ^(٤)

وقد صرح المتنبي في أبياته بأنه في غزله يعني بالبيض بيض السيوف وبالسمر سمر الرماح وذلك في قوله من الطويل :

مُحِبُّ كَنَى بِالْبَيْضِ عَنْ مُرْهَفَاتِهِ
وَبِالسُّمْرِ عَنْ سُمْرِ الْقَنَا غَيْرَ آتِنِي
وَبِالْحُسْنِ فِي أَجْسَامِهِنَّ عَنِ الصَّقْلِ^(٥)
جَنَاهَا أَحْبَبَّائِي وَأَطْرَافُهَا رُسُلِي

^١ الديوان ج ٤ ص ١٦٥

^٢ الديوان ج ٢ ص ٩٣ وشرحه في حاشية الصفحة .

^٣ الديوان ج ١ ص ٣١٧ وشرحه في حاشية الصفحة .

^٤ الديوان ج ٢ ص ١٤٠ وشرحه في حاشية الصفحة .

^٥ الديوان ج ٤ ص ٣ وشرحه في حاشية الصفحة .

عَدِمْتُ فُؤَادًا لَمْ تَبِتْ فِيهِ فَضْلَةٌ
لَعَيْرِ الثَّنَائِيَا الْعُرِّ وَالْحَدَقِ النَّجْلِ
وهل أبعد غورا من جعله النساء فداء للخيل على حد قوله من المتقارب :

أَلَا كُلُّ مَاشِيَةِ الْخَيْزَلَى
فَدَى كُلِّ مَاشِيَةِ الْهَيْدَبَى (١)

والخيزلي مشية للنساء فيها تناقل والهيدبي ضرب من مشية الخيل ولم يكتف بمذابل ذم الدنيا
لمشابهتها النساء كما قال من الخفيف :

شِيَمُ الْغَانِيَاتِ فِيهَا فَمَا أَدْرِي
لِذَا أَنْتَ اسْمَهَا النَّاسُ أَمْ لَا (٢)

وهو الذي صب على الغواني كل ذميمة بقوله :

وَمَنْ خَبَرَ الْعَوَانِي فَالْعَوَانِي
ضِيَاءٌ فِي بَوَاطِنِهِ ظَلَامٌ (٣)

وقد قال مظهرا الجلد وقلة الأسف على فقد الأعبة من البسيط :

مِمَّا أَضْرَّ بِأَهْلِ الْعِشْقِ أَنَّهُمْ
هَوَّوْا وَمَا عَرَفُوا الدُّنْيَا وَمَا فَطِنُوا
تَفَنَّى عِيٌّ وَنُهُمْ دَمْعًا وَأَنْفُسُهُمْ
فِي إِثْرِ كُلِّ قَبِيحٍ وَجَهَهُ حَسَنٌ
تَحَمَّ لَوْا حَمَلْتَكُمْ كُلُّ نَاجِيَةٍ
فَكُلُّ بَيْنِ عَلِيٍّ الْيَوْمَ مُؤْتَمَنٌ
مَا فِي هَوَادِجِكُمْ مِنْ مُهَجَّتِي عَوْضٌ
إِنْ مُتُّ شَوْقًا وَلَا فِيهَا لَهَا ثَمَنٌ (٤)

وبعد أستطيع أن أحكم مطمئنا إلى هذه الأدلة أن الحب لم يدخل قلب المتنبي ويبقى لي هنا سؤال
أجيب عليه ورد على قول الشيخ محمود شاكر بأن المتنبي أحب خولة أخت سيف الدولة .

وأما السؤال فهو لماذا هذا الغزل الموجود في شعر المتنبي وخاصة في مقدمات قصائده أليس هو

دليل على الحب ولسان المرء دليل على قلبه كما يقال ، والجواب على النحو التالي :

إن شاعرنا العظيم - المتنبي - وهو الشاعر الغني الوصف ، الخصب الخيال ، واسع الإدراك لم يرد
أن يفوته الشعراء بشيء يتحدثون فيه ويقصر باعه عنه ولذا وجدناه يقدم لنا هذا البيت الذي

ستأمله قليلا حيث يقول من الطويل :

إِذَا كَانَ مَدْحٌ فَالْتَسِيبُ الْمُقَدَّمُ
أَكْلٌ فَصِيحٌ قَالَ شِعْرًا مُتَمِّمٌ (٥)

١ الديوان ج ١ ص ١٦٠ وشرحه في حاشية الصفحة .

٢ الديوان ج ٣ ص ٢٥١ وشرحه في حاشية الصفحة .

٣ الديوان ج ٤ ص ١٩٣ وشرحه في حاشية الصفحة .

٤ الديوان ج ٤ ص ٣٦٥

٥ الديوان ج ٤ ص ٦٩

والمعنى إن الشعراء مجتمعون على تقديم النسيب في أشعارهم والاستفتاح به في مدائحهم وليس كل فصيح منهم عاشقا ولا كل شاعر سلف متيما ولكن الآخر يتبع الأول ، وأكاد أحزم أن المتنبى الداهية عنى نفسه بهذا القول ولذا لم يأت غزله إلا في مقدمات قصائده ، ودليل آخر على عدم اهتمامه بالغزل وهو أن المتنبى برع في حسن التخلص من الغزل إلى غرضه وهذا يؤكد لنا أن الغزل لم يشغل باله قط بل تحذه مركبا إلى هدفه .

وأما الرد على قول الأستاذ محمود شاكر بحب المتنبى لخولة أخت سيف الدولة فعلى النحو التالي :
أولا : إن لغة الحب التي ظهرت في شعر المتنبى وملاها بالعشق والشوق^(١)
لم تظهر فقط في قصيدة رثائه لخولة والتي اعتمد عليها الأستاذ شاكر في تحليله حيث ظهرت في مدح سيف الدولة وكافور وابن العميد وعضد الدولة وأطلقها الشاعر على الحرب والطعن فهي إذن ظاهرة عامة على شعره المادح والحربي وقد لاحظ النقاد ذلك وكان أولهم الثعالبي حين لاحظوا مخاطبة المتنبى للممدوح مخاطبة المحبوب .

فقد قال لعضد الدولة من الوافر :

أرُوحُ وَقَدْ حَتَمْتَ عَلَى فُؤَادِي
بِحُبِّكَ أَنْ يَجِلَّ بِهِ سِوَاكَ^(٢)

وقال لابن العميد من الكامل :

بِأَبِي وَأُمِّي نَاطِقٌ فِي لَفْظِهِ
ثَمَنٌ تَبَاعُ بِه الْقُلُوبُ وَتُشْتَرَى^(٣)

ثانيا : لم أجد دليلا نقليا عن هذا الحب ذكرته الكتب

وقد ذكرت عن حياة المتنبى الكثير من القصص وإنا وإن قلنا بإخفاء المتنبى لهذا الحب فما قولنا في حساده في بلاط سيف الدولة ألم يكن إذاعة هذا الأمر فرصة عظيمة للنيل من المتنبى بنشر خبر هذا الحب وتلفيق الأقاصيص حوله !؟

ثالثا : إن نسبة العذوبة التي رآها الأستاذ شاكر في شعر المتنبى عند سيف الدولة مرجعها ليس حبه لأخته خولة بل كما أثبت هذا البحث أن الأمر راجع لإعجابه الشديد بسيف الدولة الرجل العربي الذي مثل للمنتبي المثل الأعلى للصفات العربية الأصيلة والقيم النبيلة التي أحبها المتنبى ورآها ماثلة في سيف الدولة ، وبقي لي أن أقول أن هذا الغزل الذي وجدناه في شعر المتنبى غزل ليس فيه ولعة قلب وعاطفة قوية بقدر ما نجد حسن صنعة المتنبى فيه وقوة شاعريته من معنى لطيف وصياغة

^١ ينظر كتاب لغة الحب في شعر المتنبى للدكتور عبد الفتاح صالح نافع طبعة دار الفكر ص ١١٢

^٢ الديوان ج ٣ ص ١٢٦

^٣ الديوان ج ٢ ص ٢٧١

رائدة وقد وجدت فيه أيضا فلسفة المتنبي وفكره وحكمته لا لوعة قلبه وشغف فؤاده وقد سبق الحديث بأن المتنبي لم يكن يفوت فرصة في تضاعيف شعره ليتحدث فيها عن حكمه وفلسفته^(١). ودليل آخر وهو أي وجدت المتنبي يتحدث عن محبوبته أكثر من حديثه عن نفسه وما أصابها من سهام الحب ولوعة الفؤاد وسقم الروح والبدن بل إن غالب حديثه هو عن مواقف فراق وتوديع وهو في الغالب يتغزل بالبدويات والعربيات على عادة اعتداده بهذه الأمور وهو يتحدث خلال غزله عن البيد والقفار والرحلة على النوق والجمال فهو إذا لم يخرج على ما عرف عنه وليس الحديث حديث قلب مومج ، وبعد كل هذا أقول إنَّ للمتنبي غزل نجح فيه إلى حد بعيد وليس ذلك راجعا لقوة العاطفة ولكن لحسن الصنعة ولما فيه من المعاني الجميلة والمتنبي ملك من ملوك المعاني حيث تصرّف في غزله تصرّف المجيدين ليدلنا على قوة شاعريته وصفاء خياله وطاقته الشاعرة المبدعة ولنا أن نقول بأنَّ إبداع الشاعر الملهم لا يأتي من تعبيره عن تجاربه الشخصية وتعميمها لتصبح تجارب إنسانية عامة فقط بل يأتيه أيضا من قدرته معايشة تجارب الآخرين لتصبح عن طريقه إنسانية عامة كذلك كما لو عاشها هو .

والآن سأعرض شواهد من تصوير المتنبي لعاطفة الحب ونظرته للمرأة تحت عناوين جزئية

تسهيلا لعرضها وبيانا لما وجدت عنده معلقا عليها ببعض الملحوظات :

حديث المتنبي عن الجمال الحسي

أفاض المتنبي حديثه وأجاد فيه عن محاسن المرأة محاولا الكشف عن مواطن الحسن ومن أهمها : إضاءة الوجه وإشراقه ، وسواد الشعر وحلوكته وتورد الحدود وحمرة ما وسحر العيون وسيفية الألفاظ ومن الأمثلة على ذلك :

يقول متصوراً تعدد الليل بتعدد ذوائب شعر محبوبته وتعدد القمر بوجهها من الكامل :

نَشَرَتْ ثَلَاثَ ذَوَائِبٍ مِنْ شَعْرِهَا فِي لَيْلَةٍ فَأَرَتْ لِيَايَ أَرْبَعًا
وَاسْتَقْبَلَتْ قَمَرَ السَّمَاءِ بِوَجْهِهَا فَأَرْتَنِي الْقَمَرَيْنِ فِي وَقْتٍ مَعَا^(٢)

وشعر محبوبته مضمخ بالطيب زكي الرائحة كما يقول من الخفيف :

ذَاتِ فَرْعٍ كَأَنَّمَا ضُرِبَ الْعَنْدُ سَبْرُ فِيهِ بَمَاءٍ وَرَدٍ وَعُودٍ
حَالِكٍ كَالْعُدَافِ جَنَلٍ دَجُو جِيٌّ أَثِيثٌ جَعْدٌ بَلَا تَجْعِيدٍ
تَحْمِلُ الْمِسْكَ عَنْ غَدَائِرِهَا الرِّيبِ حُحٌّ وَتَفْتَرُّ عَنْ شَنِيبٍ بَرُودٍ^(٣)

^١ ينظر لغة الحب مرجع سابق ص ١١٢ وكتاب موازنة بين شعر المتنبي وأبي العلاء لزهدى الخواجا منشوران دار صبري ص ١٣٩

^٢ الديوان ج ٣ ص ٤ وشرحه بحاشية الصفحة

^٣ الديوان ج ٢ / ٤٢ وشرحه بحاشية الصفحة

وفي البيتين الأولين يجمع المتنبي كعادته بين المتضادات فالليل والشعر شديدا السواد والوجه والقمر شديدا البياض ولما اجتماعا وقعت فتنة المتنبي بمحبوبته وأضاف في الأبيات الثلاثة التالية وصف الشعر بجمال رائحته فهو بروائح العنبر والورد والعود ونلاحظ هنا أنه ذكر عن سواد الشعر صفتان وتشبيه فهو حالك أي شديد السواد ودجوجي أي مظلم وشبهه بالغداف وهو الغراب حيث تضرب العرب به المثل في شدة السواد فهل يوجد بعد سواد أشد من هذا ثم وصفه بصفتين تدلان على الكثرة وهما قوله : جثل أي كثير ملتف وقوله أثيث أي كثيف وأضاف في آخر البيت سمة أخرى وهي التجعد وهي ممدوحة في الشعر وقال بأن التجعد فيه طبيعة من خلقتة وكل هذه الصفات مما يمدح ويطلب في عادة العرب .

والمتنبي يبالغ كعادته وهذه مبالغة رائعة حيث تضفر محبوبته شعرها لحشية الضلال وتلبس لستر الجمال كما يقول من الوافر :

لَبِسْنَ الْوَشْيَ لَا مُتَجَمَّلَاتٍ
وَضَفَّرْنَ الْعَدَائِرَ لَا لِحُسْنٍ
وَلَكِنْ كَيْ يَصَنَّ بِهِ الْجَمَالَ
وَلَكِنْ حَفَنَ فِي الشَّعْرِ الضَّلَالَ^(١)

وقد كرر قريب من هذا المعنى بقوله من البسيط :

أَمَّا الثِّيَابُ فَتَعْرَى مِنْ مَحَاسِنِهِ
يَضُمَّهُ الْمِسْكُ ضَمَّ الْمُسْتَهَامِ بِهِ
إِذَا نَضَاهَا وَيَكْسَى الْحُسْنَ عُرْيَانًا
حَتَّى يَصِيرَ عَلَى الْأَعْكَانِ أَعْكَانًا^(٢)

وسنأخذ مثلا آخر هام به البلاغيون لما فيه من التدييح وجودة التشبيه وهو قوله من الوافر :

بَدَتْ قَمْرًا وَمَالَتْ خُوطَ بَانَ
وَجَارَتْ فِي الْحُكُومَةِ ثُمَّ أَبَدَتْ
وَفَاحَتْ عَنَبْرًا وَرَنْتَ غَزَالًا
لَنَا مِنْ حُسْنِ قَامَتِهَا اعْتِدَالًا^(٣)

فشبهه وجه محبوبته بالقمر في حسنه وتشبيهها بغصن البان وزكي رائحة جسمها بالعنبر وجمال عينيها بعيني الغزال .

وأما حديثه عن بياض محبوبته فقد جاء فيه بيت غريب ضم فيه إلى اللون الأبيض الرائحة الزكية

مسندا أمن الرقباء على هذه الجميلة إلى هذين العنصرين كما يقول من الكامل :

أَمِنْ أَرْدِيَارِكِ فِي الدُّجَى الرُّقْبَاءُ
قَلَقُ الْمَلِيحَةِ وَهِيَ مِسْكٌ هَتَكُهَا
إِذْ حَيْثُ كُنْتَ مِنَ الظَّلَامِ ضِيَاءُ
وَمَسِيرُهَا فِي اللَّيْلِ وَهِيَ ذُكَاءُ^(٤)

^١ الديوان ج ٣ ص ٣٣٨ وشرحه بحاشية الصفحة

^٢ الديوان ج ٤ ص ٣٥٢ وشرحه بحاشية الصفحة

^٣ الديوان ج ٣ ص ٣٤٠ وشرحه بحاشية الصفحة

^٤ الديوان ج ١ ص ١٤٠ وشرحه بحاشية الصفحة

فهي إن تحركت تزوع منها المسك الفاضح وهي مشتهرة بالنور كنور الشمس الواضح .

وقد كرر المتنبي وصف محبوبته بالبياض في أبيات كثيرة منها هذه الأبيات من الكامل :

قَالَتْ وَقَدْ رَأَتْ أَصْفِرَارِي مِنْ بِهِ وَتَنْهَدَّتْ فَأَجَبَتْهَا الْمُتْنَهْدُ
فَمَضَتْ وَقَدْ صَبَغَ الْحَيَاءُ بِيَاضَهَا لَوْ نِي كَمَا صَبَغَ اللَّجِينُ الْعَسَجْدُ
فَرَأَيْتُ قَرْنَ الشَّمْسِ فِي قَمْرِ الدَّجِي مُتَأَوِّدًا غُصْنًا بِهِ يَتَأَوُّدُ^(١)

وقد اصفر وجهه من فراقها وقد زاده تنهدا فأجابها بأن هذا المتنهد هو سبب بلائه وقد قيل هنا إن الحياء يحمر منه الوجه لا يصفر ولكن هذا الحياء شابه خوف الافتضاح أمام الرقباء فأصبح وجهها اصفرًا كخليط الذهب والفضة وقد أضاف إلى ذلك تشبيه جسمها بالغصن في تنثيه وتمايله وصفرة بياضها كالشمس إذا حلت في القمر وقد جمع لها بين حسني الشمس والقمر .
وقد تحدث المتنبي عن العيون ووصفها بكثير من الصفات كالحور والغيد ووصف اهمال الدموع منها ومن أبياته في ذلك قوله من البسيط :

لَوْلَا ظِبَاءُ عَدِيٍّ مَا شُعِفْتُ بِهِمْ وَلَا بَرَبْرَبِهِمْ لَوْلَا جَآذِرُهُ
مِنْ كُلِّ أَحْوَرَ فِي أَنْيَابِهِ شَبُّ خَمْرٌ يُخَامِرُهَا مِسْكٌ تُخَامِرُهُ
نُجْجٌ مَحَاجِرُهُ دُعْجٌ نَوَاطِرُهُ حُمْرٌ غَفَائِرُهُ سُودٌ غَدَائِرُهُ^(٢)

والحور شدة بياض العين في شدة سوادها والشنب صفاء الأسنان ورقة مائها ونعج جمع أنعج والنعج البياض ومحاجر العين ما دار بها والدعج السواد والنواظر هي الأحداق والغفيرة هي الخمار والغدائر هي ضفائر الشعر .

وقد كرر صفة الغيد كثيرا كما قال من الطويل :

وَأَعْيِدُ يَهُوَى نَفْسَهُ كُلُّ عَاقِلٍ عَفِيفٍ وَيَهُوَى جِسْمَهُ كُلُّ فَاسِقٍ^(٣)

وقد أكثر الحديث عن البكاء والدموع وانسكابها من مثل قوله من الكامل :

قَدْ كَانَ يَمْنَعُنِي الْحَيَاءُ مِنَ الْبُكَاءِ فَالْيَوْمَ يَمْنَعُهُ الْبُكَاءُ أَنْ يَمْنَعَا
حَتَّى كَأَنَّ لِلْكُلِّ عَظْمَ رِثَّةً فِي جِلْدِهِ وَلِكُلِّ عِرْقٍ مَدْمَعَا^(٤)

وقد عقد المتنبي نسبا بين الدمع والبين فقال من البسيط :

قَدْ عَلَّمَ الْبَيْنُ مَنَا الْبَيْنَ أَجْفًا تَدْمَى وَأَلْفَ فِي ذَا الْقَلْبِ أَحْزَانَا

^١ الديوان ج ٢ ص ٥٢ وشرحه بحاشية الصفحة

^٢ الديوان ج ٢ ص ٢١٨ وشرحه بحاشية الصفحة

^٣ الديوان ج ٣ ص ٦٢

^٤ الديوان ج ٣ ص ٣

قد كنتُ أُشْفِقُ من دَمْعِي على بصري
 فيقول إنَّ فراق الأُحبة علَمَ أجفاننا الدامية من طول البكاء أن يبتعد بعضها عن بعض كناية عن
 طول السهر وقد كان من قبل يخاف على عينيه من البكاء أما وقد فارق الأُحبة فقد هان عليه كل
 عزيز لبعدهم عنه ففقد بصره أهون عليه من فراقهم

والدمع قد يكون عند المتنبّي نفوساً سائلة ويجود بها على محبوبته كما يقول من الطويل :
 أشاروا بتسليمٍ فج—ذنا بأنفسٍ
 تسيلُ من الآماقِ والسَّـمُّ أدمعُ
 وحشايَ على جمرٍ ذكيٍّ من الهوى
 وعينايَ في روضٍ من الحسنِ ترتعُ^(١)

وأما حديث المتنبّي عن العيون وفتنتها فهو مثال يحتذى حيث يقول من الطويل :

لعينيك ما يلقي الفؤاد وما لقي
 وللحبِّ ما لم يبق مني وما بقي
 وما كنتُ ممن يدخُ العشق قلبه
 ولكنَّ من يُصيرُ جفونك يعشَقُ
 وبين الرضى والسُّخطِ والقربِ والتوى
 مجالٌ لدمعِ المقلّةِ المترقِّقِ^(٢)

يقول المتنبّي لمحبوبته : لعينيك وما تضمنتا من السحر وأثارتا من كوامن الحب ما يلقي قلبي من
 الوجد وما سبق أن لقيه من قبل وللحب الذي أسلمتني إليه ما لم يبقه السقم من جسمي وما بقي
 مما أنحلّه الحب وأضناه ولم أكن قبل رؤيتي لك من أهل العشق ولكن سحر هذه العيون الفاتنة
 أوقعني فسأظل هكذا بين رضاك عليّ وسخطك وقربك مني وبعذك وعيوني ستظل أبداً تدرف
 دموعها .

ثم أتبعها ببيتين بلغا الغاية في دقة الوصف حيث يقول من الطويل :

ولم أرَ كالألحاظِ يومَ رحيلهم
 بعثنَ بكلّ القتل من كلِّ مُشفِقِ
 أدرنَ عيوناً حائراتٍ كأنّها
 مُركبةٌ أحداقها فوق زئبقِ^(٣)

فعيون محبوبته بعثت له القتل وهي حائرة بمتابعة لحظها متعبة بترادف دمعها كأنما وضعت أحداقها
 على الزئبق فهي لا تسكن أبداً .

ويقول في العيون أيضاً من الطويل :

رأينَ التي للسَّـحرِ في لحظاتها
 سيوفٌ ظباها من دمي أبداً حمرُ
 تناهى سُكونُ الحُسنِ من حرّكاتها
 فليسَ لرائي وجهها لم يمتَ عُذرُ^(٤)

١ الديوان ج ٤/٣٥١ وشرحه بحاشية الصفحة .
 ٢ الديوان ج ٢ ص ٣٤٤
 ٣ الديوان ج ٣ ص ٤٨ وشرحه بحاشية الصفحة .
 ٤ الديوان ج ٣ ص ٥١ وشرحها بحاشية الصفحة

ويقول أيضا من الكامل :

ما باله لاحتظته فتضربت
ورمى وما رمته يده فصابني
وجناته وفؤادي المجرح
سهم يعذب والسهم ثريح^(٢)

ويقول أيضا من الكامل :

مثلت عينك في حشاي جراحة
نفذت علي السابري وربما
فتشابها كلتاها نجلاء
تندق فيه الصعدة السمراء^(٣)

ودواء المتنبى في العيون أيضا كما يقول من الطويل :

وفتانة العين قتالة الهوى
إذا نفحت شيخا روائحها شبا^(٤)

وقد حاول أن يعلل تسمية أغطية العيون جفونا في بيت عدّه النقاد عليه من أبيات التعقيد من الكامل :

ولذا اسم أغطية العيون جفونها^(٥)
من أنها عمل السيوف عوامل^(٥)

والمتنبى بارع في الوصف كعادته وهذا وصف لوداع المحبوبة من الكامل :

لما تقطعت الحمول تقطعت
وجلا الوداع من الحبيب محاسنا
نفسى أسى وكأنهن طلوح
حسُن العزاء وقد جلين قبيح
فيد مسلّم وطرف شاخص
وحشا يدوب ومدمع مسفوح^(٦)

والمتنبى تارة يعدّ الدمع من الوفاء وتارة أخرى يعده من الواشين كما يقول من الطويل :

وفأوكما كالربع أشجاه طاسمه
وما أنا إلا عاشق كل عاشق
بأن تسعدا والدمع أشفاه ساجمه^(٧)
أعق خليليه الصفيين لائمه
ويستصحب الإنسان من لا يلائمه
وقد يتزيا بالهوى غير أهله

ولما عدّ الدمع واشيا أخطر أنه لا يسحه إلا في غفلة الرقيب كما يقول من الطويل :

نرى عظما بالبين والصد أعظم
وتتهم الواشين والدمع منهم

^١ الديوان ج ٢ ص ٢٢٧

^٢ الديوان ج ١ ص ٣٦٩

^٣ الديوان ج ١ ص ١٤٣

^٤ الديوان ج ١ ص ١٨٤

^٥ الديوان ج ٣ ص ٣٦٩

^٦ الديوان ج ١ ص ٣٧٠

^٧ الديوان ج ٤ ص ٤٣

وَمَنْ لُبُّهُ مَعَ غَيْرِهِ كَيْفَ حَالُهُ
وَلَمَّا التَّقِيْنَا وَالنَّوَى وَرَقِيْنَا
فَلَمْ أَرَّ بَدْرًا ضَاحِكًا قَبْلَ وَجْهِهَا
وَالدَّمْعُ عِنْدَ الْمُتَنَبِّيِّ مَاءٌ رُوحُهُ فَهُوَ يَتَعَجَّبُ كَيْفَ يَعْيشُ بَعْدَ اِهْمَالِهِ؟ كَمَا يَقُولُ مِنَ الْكَامِلِ:
مُتَلَحِّظِينَ نَسُحُ مَاءَ شُؤُونِنَا
أَرْوَاحُنَا اِهْمَلْتُمْ وَعِشْنَا بَعْدَهَا
وَمِنَ سِرِّهِ فِي جَفْنِهِ كَيْفَ يُكْتَمُ
غَفُولَانِ عَنَّا ظَلْتُمْ أَبْكِي وَتَبْسِمُ
وَلَمْ تَرَ قَبْلِي مَيِّتًا يَتَكَلَّمُ^(١)

وَالْمُتَنَبِّيُّ يَخَاطِبُ الرَّبْعَ كَثِيرًا فَيَقُولُ مِنَ الْبَسِيطِ:
بَكَيْتُ يَا رَبُّعٌ حَتَّى كِدْتُ أَبْكِيكَ
فَعِمَّ صَبَاحًا لَقَدْ هَيَّجْتَ لِي طَرَبًا
بِأَيِّ حُكْمٍ زَمَانٍ صِرْتَ مُتَّخِذًا
وَيَقُولُ لِلرَّبْعِ مَرَّةً أُخْرَى:
وَجُدْتُ بِي وَبَدَمَعِي فِي مَغَانِيكَ
وَأَرْدُدُ تَحِيَّتِنَا إِنَّا مُحْيِيَّو كَا
رِئْمَ الْفَلَا بَدَلًا مِنْ رِئْمِ أَهْلِيكَ^(٢)

وَأَيُّ قُلُوبِ هَذَا الرَّكْبِ شَاقَا
تَلَاقَى فِي جُسُومٍ مَا تَلَاقَى
عَفَاهُ مَنْ حَدَا بِهِمْ وَسَاقَا
فَحَمَلَ كُلُّ قَلْبٍ مَا أَطَاقَا
فَصَارَتْ كُلُّهَا لِلدَّمْعِ مَاقَا^(٣)
أَبْدِرِي الرَّبْعُ أَيَّ دَمٍ أَرَاقَا
لَنَا وَلِأَهْلِهِ أَبَدًا قُلُوبُ
وَمَا عَفَتِ الرَّيْحَانُ لَهُ مَحَلًّا
فَلَيْتَ هَوَى الْأَحْبَةِ كَانَ عَدَلًا
نَظَرْتُ إِلَيْهِمْ وَالْعَيْنُ شُكْرَى

وَالدَّمْعُ وَإِنْ كَانَ يَقْضِي مَا يَجِبُ لِلْأَحْبَةِ لَكِنَّهُ لَا يَشْفِي مِنَ الْوَجْدِ كَمَا يَقُولُ مِنَ الْبَسِيطِ:
دَمْعٌ جَرَى فَقْضَى فِي الرَّبْعِ مَا وَجَبَا
عُجْنَا فَأَذْهَبَ مَا أَبْقَى الْفِرَاقُ لَنَا
سَقَيْتُهُ عِبْرَاتٍ ظَنَّنَاهَا مَطْرًا
لِأَهْلِهِ وَشَفَى أَنَّى وَلَا كَرْبَا
مِنَ الْعُقُولِ وَمَا رَدَّ الَّذِي ذَهَبَا
سَوَائِلًا مِنْ جُفُونٍ ظَنَّنَاهَا سُحْبَا^(٤)

أَنَّى: أَيُّ كَيْفٍ وَكَرْبٍ مِنْ أَعْمَالِ الْمُقَارَبَةِ أَيُّ كَادٍ يَقُولُ:
إِنَّهُ بَكَى فِي أَطْلَالِ الْأَحْبَةِ بِدَمْعِ قَضَى مَا وَجِبَ لَهُمْ وَشَفَاهُ مِمَّا أَمَّ بِهِ مِنْ وَجْدٍ ثُمَّ رَجَعَ عَنِ ذَلِكَ
وَقَالَ وَكَيْفَ أَظُنُّ أَنْ بَكَائِي قَضَى مَا يَجِبُ وَشَفَى مَا فِي نَفْسِي مِنْ لَوْعَةٍ وَهُوَ لَمْ يَقْضِ الْحَقَّ وَلَمْ

^١ الديوان ج ٤ ص ٢٨٢

^٢ الديوان ج ٤ ص ١٢١

^٣ الديوان ج ٣ ص ١١٥

^٤ الديوان ج ٣ ص ٣٩

^٥ الديوان ج ١ ص ٢٣٧ وشرحه بحاشية الصفحة .

يشفِ الوجد ولا قارب أن يقضي وفي هذا البيت ما يسميه البلاغيون الرجوع وهو العود إلى الكلام السابق بالنقض والإبطال .

الحب العفيف الممنع :

صور المتنبّي نفسه — في أغلب الأحيان — في غزله صورة العاقل العفيف وسأورد طرفاً من الأمثلة التي صور محبوبته فيها ممنعة بعيدة المنال كما يقول ذاكراً هواه من الطويل :

وَأَعْيِدُ يَهْوَى نَفْسَهُ كُلُّ عَاقِلٍ
عَفِيفٍ وَيَهْوَى جِسْمَهُ كُلُّ فَاسِقٍ^(١)

وقد كرر المتنبّي في أبيات كثيرة حديثه عن العفاف وافتخر به وغالا من مثل قوله من الطويل:

وَمَا كُلُّ مَنْ يَهْوَى يَعْفُ إِذَا خَ—لَا
وَأَحْلَى الْهَوَى مَا شَكََّ فِي الْوَصْلِ رَبُّهُ
عَفَافِي وَيُرْضِي الْحُبَّ وَالْحَيْلُ تَلْتَقِي
وَفِي الْهَجْرِ فَهَوَ الدَّهْرَ يَرْجُو وَيَتَّقِي^(٢)

فهو يفتخر بعفافه وبشجاعته في الحرب مبيناً ذلك لمحبوبته والبيت الثاني هو معنى قولهم أحلى الهوى وأعذبه ما كان صاحبه بين يأس وطمع ومخافة وأمل فهو يحذر ويتقي ويؤمل ويرتجي وحبیب المتنبّي في غاية المنعة فالرماح تحميه كما يقول من الطويل :

حَبِيبٌ كَأَنَّ الْحُسْنَ كَانَ يُحِبُّهُ
تَحُولُ رِمَاحُ الْخَطِّ دُونَ سِبَابِهِ
فَأَثَرُهُ أَوْ جَارٍ فِي الْحُسَنِ قَاسِمُهُ
وَتُسَبَّى لَهُ مِنْ كُلِّ حَيٍّ كَرَائِمُهُ
وَيُضْحِي غِبَارُ الْحَيْلِ أَدْنَى سُتُورِهِ
وَآخِرُهَا نَشْرُ الْكِبَاءِ الْمَلَاذِمُهُ^(٣)

فمحبوبته هذه استبدت بالحسن وانفردت به فكأن الحسن استخلصها لنفسه وكأن من قسم الحسن لم يعدل فأعطاها الحسن كله وهي ممنعة أقرب ستورها لطالبه غبار خيول قومها وأبعدها بخوره فهي غاية في المنعه وغاية في النعمة فهي يخدمها كرائم ما يسبي من الأحياء .

وهل توجد منعة أكثر من قول المتنبّي من الكامل :

عَدَوِيَّةٌ بَدَوِيَّةٌ مِنْ دُونِهَا
وَهَوَاجِلٌ وَصَوَاهِلٌ وَمَنَاصِلٌ
سَلَبُ النَّفُوسِ وَنَارُ حَرْبٍ تَوْقَدُ
وَذَوَابِلٌ وَتَوَعَّدٌ وَتَهْدُدُ^(٤)

فمحبوبته تحفظ بالرماح لا بالتمائم كما يقول من الطويل :

دِيَارُ اللَّوَاتِي دَارُهُنَّ عَزِيزَةٌ
بَطُولِي الْقَنَا يُحْفَظْنَ لَا بِالْتَّمَائِمِ^(٥)

^١ الديوان ج ٣ ص ٦٢

^٢ الديوان ج ٣ ص ٤٨ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٣ الديوان ج ٤ ص ٤٩ وشرحا بحاشية الصفحة .

^٤ الديوان ج ٢ ص ٥٣

^٥ الديوان ج ٤ ص ٢٣٧

وقد بالغ في ذلك على عادته في حب المبالغة كما يقول من الخفيف :

كُلُّ مَهَاةٍ كَأَنَّ مَقُولَتَهَا تَقُولُ إِيَّاكُمْ وَإِيَّاهَا
فِيهِنَّ مَنْ تَقَطَّرُ السُّيُوفُ دَمًا إِذَا لِسَانُ الْمُحِبِّ سَمَّاهَا ^(١)
ويقول أيضاً في منعة محبوبته من البسيط :
مَتَى تَزُرُ قَوْمَ مَنْ تَهْوَى زِيَارَتَهَا لَا يُتَحْفُوكَ بَعِيرِ الْبَيْضِ وَالْأَسَلِ ^(٢)
ويقول عنه أيضاً من الوافر :
وَيَمْنَعُ نَعْرَهُ مِنْ كُلِّ صَبٍّ وَيَمْنَحُهُ الْبِشَامَةَ وَالْأَرَكَاءَ

حب المتنبي للبدو ونسيبه بالأعرابيات :

لقد تأثر المتنبي بالوقت الذي قضاه في البادية فأحب أهلها وتملكته صفاتهم ومع أنه قضى وقت كبيراً من حياته في الحواضر في بلاط ممدوحيه بين حلب ومصر وأرجان وغيرها إلا أن طبائع البادية كانت الأقوى في نفسه فوجدته يولع بصفات أهلها ويختار محبوبته منهم على حد قوله من الكامل :

عَدَوِيَّةٌ بَدَوِيَّةٌ مِنْ دُونِهَا سَلَبُ النَّفُوسِ وَنَارُ حَرْبٍ تَوَقَّدُ ^(٣)
وقد كان معجباً حد الإعجاب المتناهي بالأعرابيات فقد قال من البسيط :
هَامَ الْفُؤَادُ بِأَعْرَابِيَّةٍ سَكَنْتُ بَيْتاً مِنَ الْقَلْبِ لَمْ تَمُدُّ لَهُ طُنْبًا
مَظْلُومَةُ الْقَدِّ فِي تَشْبِيهِهِ غُصْنًا مَظْلُومَةُ الرِّيقِ فِي تَشْبِيهِهِ ضَرْبًا ^(٤)
ولما كان المتنبي يكره التصنع لذا حاد عن حب الحضريات لما كنَّ يتصنعن جمالهن وقد أوضح ذلك في بائيته من البسيط :

مَنْ الْجَاذِرُ فِي زِيِّ الْأَعْرَابِ حُمْرَ الْحِلْيِ وَالْمَطَايَا وَالْجَلَابِيبِ ^(٥)
وسأعرض لهذه القصيدة مستنتجاً منها بعض أسباب حبه للبدو :

مَنْ الْجَاذِرُ فِي زِيِّ الْأَعْرَابِ حُمْرَ الْحِلْيِ وَالْمَطَايَا وَالْجَلَابِيبِ

^١ الديوان ج ٤ ص ٤٠٧

^٢ الديواني ج ٤ ص ١٩٩

^٣ الديوان ج ٢ ص ٥٣

^٤ الديوان ج ١ ص ٢٣٨

^٥ الديوان ج ١ ص ٢٨٨

إِنْ كُنْتَ تَسْأَلُ شَكًّا فِي مَعَارِفِهَا
سَوَائِرُ رَبِّمَا سَارَتْ هَوَادِجُهَا
وَرَبِّمَا وَخَدَّتْ أَيْدِي الْمَطِيِّ بِهَا
كَمْ زَوْرَةَ لَكَ فِي الْأَعْرَابِ خَافِيَةً
أَزُورُهُمْ وَسَوَادُ اللَّيْلِ يَشْفَعُ لِي
فُوَادُ كُلِّ مُحِبٍّ فِي بُيُوتِهِمْ
مَا أَوْجَهُ الْحَضْرَ الْمُسْتَحْسَنَاتُ بِهِ
حُسْنُ الْحِضَارَةِ مَجْلُوبٌ بِنَطْرِيَّةٍ
أَيْنَ الْمَعِيزُ مِنَ الْأَرَامِ نَاطِرَةٌ
أَفْدِي ظِبَاءَ فَلَاحٍ مَا عَرَفْنَ بِهَا
وَلَا بَرَزْنَ مِنَ الْحَمِّ مَاتِلَةً
وَمِنْ هَوَى كُلِّ مَنْ لَيْسَتْ مُمَوَّهَةً
وَمِنْ هَوَى الصِّدْقِ فِي قَوْلِي وَعَادَتِهِ

فَمَنْ بَلَكَ بِتَسْهِيدٍ وَتَع——ذِيبِ
مَنْعَةً بَيْنَ مَطْعُونٍ وَمَض——رُوبِ
عَلَى تَجِيعٍ مِنَ الْفُرْسَانِ مَصْنُوبِ
أَدَهَى وَقَدْ رَقَدُوا مِنْ زَوْرَةِ الذِيبِ
وَخَالَفُوهَا بِتَقْوِيضٍ وَتَطْن——يَبِ
وَمَالٌ لُئْلٌ أَخِيذِ الْمَالِ مَحْرُوبِ
كَأَوْجِهِ الْبَدَوِيَّاتِ الرَّعَائِبِ
وَفِي الْبِدَاوَةِ حُسْنٌ غَيْرُ مَجْلُوبِ
وَعَيْرَ نَاطِرَةٍ فِي الْحُسْنِ وَالطِّي——بِ
مَضْغَ الْكَلَامِ وَلَا صَبْغَ الْحَوَاجِبِ
أُورَامُهُنَّ صَقِي——لَاتِ الْعَرَاقِبِ
تَرَكَتُ لَوْنَ مَشِيبي غَيْرَ مَخْضُوبِ
رَغَبْتُ عَنْ شَعْرٍ فِي الرَّأْسِ مَكْذُوبِ^(١)

والأبيات في جملتها يفضل المتنبي فيها البدويات على الحضريات وأما السبب فأوجزه في هذين البيتين :

حُسْنُ الْحِضَارَةِ مَجْلُوبٌ بِنَطْرِيَّةٍ وَفِي الْبِدَاوَةِ حُسْنٌ غَيْرُ مَجْلُوبِ
أَفْدِي ظِبَاءَ فَلَاحٍ مَا عَرَفْنَ بِهَا مَضْغَ الْكَلَامِ وَلَا صَبْغَ الْحَوَاجِبِ

حيث أوجز السبب وحصره في أن حسن أهل الحضارة متكلف مجلوب بالحيلة أما حسن البدويات فهو خلقه فهن لا يعرفن التكلف وفي بيتين لاحقين عاد ليؤكد الأسباب ويفندها فقال من البسيط :

وَمِنْ هَوَى كُلِّ مَنْ لَيْسَتْ مُمَوَّهَةً تَرَكَتُ لَوْنَ مَشِيبي غَيْرَ مَخْضُوبِ
وَمِنْ هَوَى الصِّدْقِ فِي قَوْلِي وَعَادَتِهِ رَغَبْتُ عَنْ شَعْرٍ فِي الرَّأْسِ مَكْذُوبِ

حيث يقول : ومن أجل أبي لا أحب إلا كل امرأة لا تموه جمالها تركت بياض شعري دون خضاب ومن أجل جبي للصدق وتعودي إياه لم أجعل شعر رأسي مكذوباً أي مسوداً بالخضاب لأنه ليس لونه .

^١ الديوان ج ١ ص ٢٨٨ وشرحها في حاشية الصفحة .

وينبغي الإشارة إلى البيت التالي :

أزورهم وسواد الليل يشفع لي وأثني وبياض الصبح يغري بي

حيث عدّ هذا البيت من معجزات المتنبي فقد جمع فيه خمس مطابقات هي : الزيارة

والإنشاء والسواد والبياض والليل والصبح والشفاعة والإغراء ولي وبي وهو بالإضافة إلى هذه المطابقات المتعددة فيه معنى رائع وهو قدرة المتنبي على اختراق منعة محبوبه القوية وفي البيت أيضاً سلاسة الألفاظ وكمال تأدية المعنى .

تصوير المتنبي مواقف الوداع والفراق وأطلال الأحبة

إن أكثر ما تفنن المتنبي فيه في هذه المواقف هو البكاء وانهمال الدموع فوجدته يصور هذه الدموع نفوساً تسيل وهو المهتم بالنفس كما بين هذا البحث فتارة يجعل الدموع نفوساً تسيل .
رداً على تسليم المحبوب في لحظات الوداع كما يقول من الطويل :

أشاروا بتسليم فحـذنا بأنفسـ تسيل من الآمـاق والسـم أدمع
حشاي على جمر ذكي من الهوى وعيناي في روض من الحسن ترنع^(١)

وفي أبيات رائعة فيها جودة في التصوير رسم لحظات الوداع حين تقطع النفس لتقطع الحمل
كما يقول من الكامل :

لما تقطعت الحمـول تقطعت نفسي أسى وكأنهن طلوح
وجلا الوداع من الحبيب محاسناً حسن العزاء وقد جلين قبيح
فيد مسلّمـة وطرف شـاخص وحشاً يدوب ومدمع مسفوح^(٢)

والبيت الأخير صورة متكاملة للحظة الوداع فيد تشير بالسلام وطرف شاخص إلى وجه المودع
وقلب يدوب حزناً على الفراق ومدمع يسيل على المحبوب فهلا أشفق هذا الحبيب على حاله !
وتارة يتمنى المتنبي أن يرى التوديع لأن فيه رؤية الحبيب والشكوى والبث كما يقول من الكامل :

ما زلت أحذر من وداعك جاهداً حتى اغتدى أسفي على التوديع
رحل العزاء برحلي فكأنمـا أتبعته الأنفاس للتشبيـع^(٣)

فقد رحل الصبر عنه بارتحاله عن حبيبه وكأن أنفاسه تبعت الصبر مشيعة له .

١ الديوان ج ٢ ص ٣٤٤

٢ الديوان ج ١ ص ٣٧٠ وشرحه بحاشية الصفحة .

٣ الديوان ج ١ ص ٣٥٦

والمتنبي يعتقد أن الفراق يجلب الموت فيطلب التروود بنظرة قبل الرحيل ولذا خاطب حادي العيس من الخفيف :

يَا حَادِيَّ عَيْسَهَا وَأَحْسَبِي
قِفَا قَلْبِي—لَا بِهَا عَلَيَّ فَلَا
فَفِي فُؤَادِ الْمُحِبِّ نَارُ جَوِّي
أَوْجَدُ مَيْتًا قُبَيْلَ أَفْقِدُهَا
أَقَلَّ مِنْ نَظْرَةِ أُرُودِهَا
أَحْرُ نَارِ الْجَحِيمِ أُرِدُّهَا^(١)

ولما لم يجد نفعاً مع حداة العيس عاد ليدعو على العيس لأنها عماد رحلة البعاد والفراق حتى تصورت هذه العيس أئينه زجر حداثها فجّدت في السير كما يقول من الكامل :

يَسْتَأِقُ عَيْسَهُمْ أَنِي خَلْفَهَا
وَكَاثَهَا شَجْرٌ بَدَلَتْ لَكِنَّهَا
لَا سِرَّتِ مِنْ إِبْلِ لَوَائِي فَوْقَهَا
تَتَوَهَّمُ الزَّفَرَاتِ زَجَرَ حُدَاتِهَا
شَجْرٌ جَنَيْتُ الْمَوْتَ مِنْ ثَمَرَاتِهَا
لَمَحَتْ حَرَارَةٌ مَدْمَعِي سِمَاتِهَا

وَحَمَلْتُ مَا حُمَلْتُ مِنْ هَذِي الْمَهَا

وقد كرر المتنبي وصف الدمع وفي وداع الحبيب — بأنه الأرواح أهملت من العيون ولذا تعجب من العيش بعد ذلك كما يقول من الكامل :

مُتَلَا حِطِينَ نَسُحُ مَاءَ شُرُونِنَا
أُرُوحَانَا أَهْمَلْتُ وَعِشْنَا بَعْدَهَا
حَذَرًا مِنَ الرَّقْبَاءِ فِي الْأَكْمَامِ
مِنْ بَعْدِ مَا قَطَرَتْ عَلَى الْأَقْدَامِ^(٢)

وبكاء الوداع غلب حياء المتنبي حتى تفجر الدمع من كل عرق في جسمه كما يقول من الكامل :

قَدْ كَانَ يَمْنَعُنِي الْحَيَاءُ مِنَ الْبُكَاءِ
حَتَّى كَأَنَّ كُلَّ عَظْمٍ رِثَّةٌ
وَكَفَى بَمَنْ فَضَحَ الْجَدَايَةَ فَاضِحًا
مُحِبِّهِ وَمَمْصَرَعِي ذَا مَصْرَعًا^(٣)
فَالْيَوْمَ يَمْنَعُهُ الْبُكَاءُ أَنْ يَمْنَعَا
فِي جِلْدِهِ وَلِكُلِّ عِرْقٍ مَدْمَعًا

وفي البيت الأخير أبان أن محبوبه غاية في الحسن وأن المتنبي بلغ الغاية في الحب والعشق . ومطر الدمع عند المتنبي ليس كعادة المطر يولي الأرض الخصب والنماء ولكنه يزيد الخدود محولاً كما يقول من الكامل :

فِي الْخَدِّ أَنْ عَزَمَ الْخَالِيطُ رَحِيلًا
مَطَرٌ تَزِيدُ بِهِ الْخُدُودَ مُحُولًا^(٤)

^١ الديوان ج ٢ ص ١٨

^٢ الديوان ج ١ ص ٣٤٨

^٣ الديوان ج ٤ ص ١٢١

^٤ الديوان ج ٣ ص ٣ وشرحه بخاشية الصفحة .

وفراق الأحبة ووداعهم لم يورث المتنبي إلا الحيرة والضلال كما يقول من الطويل :

فِيَا شَوْقُ مَا أَبْقَى وَيَا لِي مِنَ النَّوَى
وَلَقَدْ لَعِبَ الْبَيْنُ الْمَشْتُ بِمَا وَيِي
وَيَا دَمْعُ مَا أَجْرَى وَيَا قَلْبُ مَا أَصْبَى
وَزَوَّدَنِي فِي السَّيْرِ مَا زَوَّدَ الضَّبَا (٢)

ودمع عين المتنبي انطلق بانطلاق عيس أحبته فقد كانت باركة فوق جفونه كما يقول من الوافر :

فَكَانَ مَسِيرُ عَيْسِهِمْ ذَمِيًّا لَا
كَأَنَّ الْعَيْسَ كَانَتْ فَوْقَ جَفْنِي
وَسِيرُ الدَّمْعِ إِثْرَهُمْ إِهْمَالًا
مُنَاخَاتٍ فَلَمَّا تُرِّنَ سَالَا (٣)

ودموعه تكفي لملئ المزاد وإرواء العيس أيضاً كما يقول من الكامل :

إِنْ كُنْتُ ظَاعِنَةً فَإِنَّ مَدَامِعِي
تَكْفِي مَزَادَكُمْ وَتُرْوِي الْعَيْسَا (٤)

ودموع الفراق تقضي ما يجب للأحبة ولكنها لا تشفي ولا تقارب الشفا كما يقول من البسيط :

دَمْعُ جَرَى فَقَضَى فِي الرَّبْعِ مَا وَجَبَا
عُجْنَا فَأَذَهَبَ مَا أَبْقَى الْفِرَاقُ لَنَا
لَأَهْلِهِ وَشَفَى أَنِّي وَلَا لَكْرَبَا
سَوَائِلًا مِنْ جَفُونٍ ظَنَّنَا سُحْبَا (٥)

ودموعه أحياناً من الدم والدليل سقامة بعد إهمالها كما يقول من الطويل :

بَلَلْتُ بِهَا رُدْنِيَّ وَالْغَيْمُ مُسْعِدِي
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مَا أَهْلٌ فِي الْخَدِّ مِنْ دَمِي
وَعَبْرَتُهُ صِرْفٌ وَفِي عِبْرَتِي دَمٌ
لَمَا كَانَ مُحْمَرًّا يَسِيلُ فَأَسْقَمُ (٦)

والدمع عند المتنبي قرّح الأجنان وغير حمرة الخدود كما يقول من الطويل :

وَقَفْنَا وَمِمْمًا زَادَ بَنًا وَقُوفُنَا
وَقَدِ صَارَتْ الْأَجْفَانُ قَرْحَى مِنَ الْبُكََا
فَرِيقِي هَوَى مَنَا مَشُوقٌ وَشَائِقُ
وَصَارَتْ بِهَارًا فِي الْخُدُودِ الشَّقَائِقُ (٧)

والبهار زهر أصفر والشقائق زهر أحمر ويعني تحول حمرة الخدود إلى الصفار لأجل البين .

والفراق طريق المنايا إلى الأرواح عند المتنبي كما قال من البسيط :

أَحْيَا وَأَيْسَرُ مَا قَاسَيْتُ مَا قَتَلَا
وَالْوَجْدُ يَقْوَى كَمَا تَقْوَى النَّوَى أَبَدًا
وَالْبَيْنُ جَارَ عَلِيٍّ ضَعْفِي وَمَا عَدَلَا
وَالصَّبْرُ يَنْحَلُ فِي جَسْمِي كَمَا نَحَلَا

١ الديوان ج ٣ ص ٣٤٩

٢ الديوان ج ١ ص ١٨٥

٣ الديوان ج ٣ ص ٣٣٨

٤ الديوان ج ٢ ص ٣٠٢

٥ الديوان ج ١ ص ٢٣٧

٦ الديوان ج ٤ ص ٢٠٤

٧ الديوان ج ٣ ص ٨٢

لَوْلَا مُفَارَقَةُ الْأَحْبَابِ مَا وَجَّحْتُ لَهَا الْمَنَائِيَا إِلَى أَرْوَاحِنَ سُبُلًا^(١)
فأقل ما يعانیه من شدائد الهوى قاتل ولما ضعف من مقاساة الهوى ازداد أمره سوءاً بعد
الأحبة الذي هو متزايد كحزن المتنبي الذي أضعف جسمه كضعف صبره ولهذا توصلت المنایا إلى
روح المتنبي بطريق فراق الأحبة .

ويلوم المتنبي نفسه حين شبابه فقد كان يهزأ بالفراق كما يقول من الكامل :

قَدْ كُنْتُ تَهْزَأُ بِالْفِرَاقِ مَجَانَةً وَتَجُرُّ ذَيْلِي شِرَّةً وَعُورَامِ
لَيْسَ الْقِيَابُ عَلَى الرَّكَّابِ وَإِنَّمَا هُنَّ الْحَيَاةُ تَرَحَّلَتْ بِسَلَامِ
لَيْتَ الَّذِي فَلَقَ التَّوَى جَعَلَ الْحَصَى لِحِفَافِهِنَّ مَفَاصِلِي وَعِظَامِي^(٢)

والشرة : وقت الحدة والنشاط والعرام : الشراسة

فهو ادج الأحبة الذين رحلوا هم الحياة رحلت ففراقهم فقد لمعنى الحياة .

وقد صور مرارة الفراق ونيرانه الملتهبة وإغراء الصبابة وقتلها للمحب كما يقول من المتقارب :

فَوَا حَسْرَتًا مَا أَمَرَ الْفِرَاقُ وَأَعْلَقَ نِيرَانَهُ بِالْكُبُودِ
وَأَغْرَى الصَّبَابَةَ بِالْعَاشِقِينَ وَأَقْتَلَهَا لِلْمُحِبِّ الْعَمِيدِ
وَأَلْهَجَ نَفْسِي لَغَيْرِ الْخَنَا حُبِّ ذَوَاتِ اللَّمَى وَالتَّهْوُدِ^(٣)

والمتنبي يعود دائماً لحكمه معللاً نفسه فيقول من الطويل :

عَلَى ذَا مَضَى النَّاسُ اجْتِمَاعٌ وَفُرْقَةٌ وَمَيِّتٌ وَمَوْلُودٌ وَقَالَ وَوَامِقُ
تَغَيَّرَ حَالِي وَاللِّيَّ حَالِي بِحَالِهَا وَشَبْتُ وَمَا شَابَ الزَّمَانُ الْعُرَانِقُ^(٤)

وهذا جعل المتنبي لا يستغرب من الفراق شيئاً لنتعوده على ذلك كما يقول من الطويل :

وَمَا اسْتَعْرَبْتُ عَيْنِي فِرَاقاً رَأَيْتُهُ وَلَا عَلَّمْتَنِي غَيْرَ مَا الْقَلْبُ عَالِمُهُ
فَلَا يَتَّهَمُنِي الْكَاشِحُونَ فَإِنِّي رَعَيْتُ الرَّدَى حَتَّى حَلَّتْ لِي عِلَاقِمُهُ^(٥)

والمتنبي يصف تتيمة وذهوله وهو في معالم ديار الأحبة الخالية وأنه لو لم يصبه الدهش والوجد للام

نفسه كما قال من الطويل :

أَنَا لِأَمِّي إِنْ كُنْتُ وَقْتُ اللَّوَائِمِ عَلِمْتُ بِمَا بِي بَيْنَ تَلْكَ الْمَعَالِمِ

^١ الديوان ج ٣ ص ٢٨٢ وشرحها بحاشية الصفحة .

^٢ الديوان ج ٤ ص ١٢٠ وشرحها بحاشية الصفحة .

^٣ الديوان ج ٢ ص ٦٤

^٤ الديوان ج ٣ ص ٨٣

^٥ الديوان ج ٤ ص ٥٠

ولَكِنِّي مِمَّا شُدِّهَتْ مُتَيِّمٌ
وَقَفْنَا كَأَنَّا كُلُّ وَجْدِ قُلُوبِنَا
كَسَالٍ وَقَلْبِي بَائِحٌ مِثْلُ كَاتِمٍ
وَدُسْنَا بِأَخْفَافِ الْمَطِيِّ تُرَابَهَا
تَمَكَّنَ مِنْ أَذْوَادِنَا فِي الْقَوَائِمِ
فَمَا زِلْتُ أَسْتَشْفِي بِلَثْمِ الْمُنَاسِمِ^(١)

تصوير المتنبي للهجر والسهد والطيغ وعدم إصغائه إلى العذل واللوم :

ترسم المتنبي في هذا الأمر شأن العشاق الكبار وإن لم يكن منهم فقد وجدته يترضى حبيته
ويطلب وصلها فيقول من البسيط :

بِمَا بَجَفْنِيكَ مِنْ سِحْرِ صِلِي دَنْفًا
يَهْوَى الْحَيَاةَ وَأَمَّا إِنْ صَدَدْتَ فَلَا
يَحِنُّ شَوْقًا فَلَوْلَا أَنْ رَائِحَةً
تَزورُهُ مِنْ رِيحِ الشَّرْقِ مَا عَقَلَا^(٢)

ويقول داعياً لطلوها بالسقيا من عارض دائم ممرع من الكامل :

رُدِّي الْوِصَالَ سَقَى طُلُوكِ عَارِضٌ
زَجَلٌ يُرِيكَ الْجُـ نَارًا وَالْمَلَا
لَوْ كَانَ وَصْلُكَ مِثْلَهُ مَا أَقْشَعَا
كَالْبَحْرِ وَالتَّلَعَاتِ رَوْضًا مُمْرَعًا^(٣)
ولكن حبيبة المتنبي شديدة الملل كما قال من من الخفيف :

مَلُولَةٌ مَا يَدُومُ لَيْسَ لَهَا
مِنْ مَلَلٍ دَائِمٍ بِهَا مَلَلٌ^(٤)
ومحبوبته والأيام عليه حليفا صد وهجران عن طبع يأبى التغيير كما قال من الطويل :
أَوَدُّ مِنَ الْإَيَّامِ مَا لَا تَوَدُّهُ
يُبَاعِدُنَ حَبَابًا يَجْتَمِعُنَ وَوَصْلُهُ
وَأَشْكُو إِلَيْهَا بَيْنَنَا وَهِيَ جُنْدُهُ
أَبَى خُلُقِ الدُّنْيَا حَبِيْبًا تُدِيمُهُ
فَكَيْفَ بَحْبٍ يَجْتَمِعُنَ وَوَصْدُهُ
وَأَسْرَعُ مَفْعُولٍ فَعَلْتَ تَغْيِيرًا
فَمَا طَلَبِي مِنْهَا حَبِيْبًا تُرُدُّهُ
تَكَلَّفُ شَيْءٍ فِي طِبَاعِكَ ضِدَّهُ^(٥)

والحزن مشغوف بقلب المتنبي يصله كلما هجره أحبابه كما يقول من الوافر :

كَأَنَّ الْحُزْنَ مَشْغُوفٌ بِقَلْبِي
فَسَاعَةً هَجَرَهَا يَجِدُ الْوِصَالَ^(٦)
وللمتنبي أبيات عذبة رقيقة يصف فيها ألم الأرق والجوى ونارهما التي لا تنطفئ من الكامل :

^١ الديوان ج ٤ ص ٢٣٦

^٢ الديوان ج ٣ ص ٢٨٣

^٣ الديوان ج ٣ ص ٤

^٤ الديوان ج ٣ ص ٣٢٥

^٥ الديوان ج ٢ ص ١١٩

^٦ الديوان ج ٣ ص ٣٤٠

أَرْقُ عَلَى أَرْقٍ وَمِثْلِي يِي—أَرْقُ
 وَجَوَى يَزِيدُ وَعَبْرَةٌ تَتَرَقُّ
 جُهِدُ الصَّبَابَةِ أَنْ تَكُونَ كَمَا أَرَى
 عَيْنُ مُسَهَّدَةٌ وَقَلْبٌ يَخْفِقُ
 مَا لَاحَ بَرَقٌ أَوْ تَرَّ مَطَائِرٌ
 إِلَّا انْتَنَيْتُ وَلِي فُؤَادٌ شَيْقُ^(١)

فقد صور لنا في هذه القافية العذبة والألفاظ المتسلسلة الرقيقة ما لقي من وراء الحجر والصد من
 سهد مبرح حرمه لذة النوم .

وقد كرر المتنبي نفي الشوق لذيد المهجوع عنه وتعجب كيف لم يجدوا ملوحة في الماء مما رقرق
 من دموعه من الكامل :

شَوْقِي إِلَيْكَ نَفَى لَذِيدَ هُجُوعِي
 فَأَرْقَتْنِي وَأَقَامَ بَيْنَ ضُلُوعِي
 أَوْ مَا وَجَدْتُمْ فِي الصَّرَاةِ مُلُوحَةً
 مِمَّا أَرْقَرِقُ فِي الْفِرَاتِ دُمُوعِي^(٢)

وقد ذم المتنبي الليالي بيبتها ساهداً لمن باتها راقداً حيث يقول من الخفيف :

بُسَّ اللَّيَالِي سَهَدَتْ مِنْ طَرَبٍ
 شَوْقًا إِلَى مَنْ بَيَّتَ يِرْقُدَهَا
 أَحْيَيْتَهَا وَالْدَّمُوعُ تُنْجِدُنِي
 شُؤُونَهَا وَالظَّلَامُ يُنْجِدُهَا^(٣)

وقد وصف لياليه بالطول وصور ما أصابه من السهد في لوحة بديعة من الطويل :

أَعِيدُوا صَبَاحِي فَهَوَ عِنْدَ الْكَوَاعِبِ
 وَرُدُّوا رُقَادِي فَهَوَ لِحْظُ الْحَبَائِبِ
 فَإِنَّ نَهْ—أَرِي لَيْلَةً مُدْلَهَمَةً
 عَلَى مُقَلَّةٍ مِنْ بَعْدِكُمْ فِي غِيَاهِبِ
 بَعِيدَةٍ مَا بَيْنَ الْجَفُونِ كَأَنَّمَا
 عَقَدْتُمْ أَعَالِي كُلِّ هُدْبٍ بِحَاجِبِ^(٤)

وقد حاول أن يتصبر على فقد الأحباب ورحيلهم من الطويل :

لَيَالِي بَعْدَ الظَّاعِنِينَ شُكُّوْلُ
 طِوَالٌ وَكَيْلُ الْعَاشِقِينَ طَوِيلُ
 يُبِنُّ لِي الْبَدْرَ الَّذِي لَا أُرِيدُهُ
 وَيُخْفِينُ بَدْرًا مَا إِلَيْهِ سَبِيلُ
 وَمَا عِشْتُ مِنْ بَعْدِ الْأَحْبَةِ سَلْوَةٌ
 وَلَكِنِّي لِلنَّائِبَاتِ حَمُولُ^(٥)

والعشق غريب عند المتنبي فهو بينه وبين السهاد كما يقول من الطويل :

كَأَنَّ سُهَادَ اللَّيْلِ يَعِشُّ مُقْلَتِي
 فَبَيْنَهُمَا فِي كُلِّ هَجْرٍ لَنَا وَصْلُ^(٦)

^١ الديوان ج ٣ ص ٧٣

^٢ الديوان ج ٣ ص ٧٣

^٣ الديوان ج ٢ ص ٢٢

^٤ الديوان ج ١ ص ٢٧٤

^٥ الديوان ج ٣ ص ٢١٧

^٦ الديوان ج ٣ ص ٣٠٠

وكتب على المتنبّي أنه لا حظ له في الوصال ولا في النوم كما يقول من الكامل :
وَجَعَلْتَ حَظِّي مِنْكَ حَظِّي فِي الْكَرَى * وَتَرَكْتَنِي لِلْفَرَقْدَيْنِ جَلِيْسًا (١)

فهو ساهر كل الليل يرقب هذين النجمين مضرب المثل في اجتماعهما
والمتنبّي يستلذ بالسهاد كالرقاد والنبات الحامض يتحول لورد من أجل محبوبه كما يقول من
الطويل:

سُهَادُ أَنَا مِنْكَ فِي الْعَيْنِ عِنْدَنَا رُقَادٌ وَقَلَامٌ رَعَى سَرْبُكَ—مَ وَرَدُ
مُمَثَّلَةٌ حَتَّى كَأَنَّ لَمْ تُفَارِقِي وَحَتَّى كَأَنَّ الْيَأْسَ مِنْ وَصْلِكَ الْوَعْدُ
وَحَتَّى تَكَادِي تَمْسَحِينَ مَدَامِعِي وَيَعْبَقُ فِي ثَوْبِيَّ مِنْ رِيحِ الْنَدَى (٢)

فالسهاد من أجل الحبيب كالرقاد والقلام وهو نبت من الحمض كأنه ورد وهو لحيه يستلذ الألم
ويحسن في عينه ما ليس حسناً ومحبوبته الغائبة كأنها حاضرة ويأسه من الوصل وعد منها بالوصل
حتى تصورها تمسح دموعه وتكفكفها وحتى عبق طيبها في ثيابه.

والمتنبّي يحمد الذكريات لأنّ فيها ما يتلذذ بذكراه كما يقول من الطويل :

تَذَكَّرْتُ مَا بَيْنَ الْعُذَيْبِ وَبَارِقِ مَجْرَّ عَوَالِينَا وَمَجْرَى السِّ—وَابِقِ
وَأَيْلًا تَوَسَّدْنَا الثَّوْبِيَّةَ تَحْتَهُ كَأَنَّ ثَرَاهَا عَبَّرُ فِي الْم—رَافِقِ
بِلَادٍ إِذَا زَارَ الْحِسَانَ بغيرهَا حَصَى تُرْبَهَا ثَقْبَنَهُ لِلْمَخ—انِقِ
سَقَّتَنِي بِهَا الْقَطْرُ بُلْبِيَّ مَلِيحَةً عَلَى كَاذِبٍ مِنْ وَعْدِهَا ضَوْءُ صَادِقِ
سُهَادٌ لِأَجْفَانٍ وَشَمْسٌ لِنَاظِرٍ وَسُقْمٌ لِأَبْدَانٍ وَمِسْ—كُ لِنَاشِقِ (٣)
وَجَائِزَةٌ دَعْوَى الْمَحَبَّةِ وَالْهَوَى وَإِنْ كَانَ لَا يَخْفَى كَلَامُ الْم—نَافِقِ

والمتنبّي يطلب من الليل الذي شابه شعر المحبوبة في السواد أن يبعد عنه كبعد محبوبته عنه كما
يقول من الخفيف :

حَكَيْتَ يَا لَيْلُ فَرَعَهَا الْوَارِدُ فَاحِكُ نَوَاهَا لَجْفَنِي السَّاهِدُ
طَالَ بُكَائِي عَلَى تَذَكُّرِهَا وَطُلَّتَ حَتَّى كِلَاكُمَا وَاحِدٌ (٤)

والمتنبّي يصف طيف المحبوبة الذي خاض إليه الدياجي وإن كان شرّد عنه النوم وألاع الفؤاد كما
يقول من الطويل :

١ الديوان ج ٢ ص ٣٠٢ وشرحه بحاشية الصفحة
٢ الديوان ج ٢ ص ١٠٣ وشرحها بحاشية الصفحة .
٣ الديوان ج ٣ ص ٦٠
٤ الديوان ج ٢ ص ١٧٥

بِمَا بَيْنَ جَنبِيَّ الَّتِي خَاضَ طَيْفُهَا
 أَتَتْ زَائِرًا مَا خَامَرَ الطَّيِّبُ ثَوْبَهَا
 فَمَا جَلَسْتُ حَتَّى انْتَنَتْ تَوْسَعُ الخُطَى
 فَشَرَّدَ إعْظَامِي لَهَا مَا أَتَى بِهَا
 فَيَا لَيْلَةً مَا كَانَ أَطْوَلَ بَثُّهَا
 إِلَيَّ الدِّيَاجِي وَالخَلْيُونُ هُجِعُ
 وَكَالمِسْكِ مِنْ أَرْدَانِهَا يَتَضَوُّعُ
 كَفَاطِمَةٍ عَنْ دَرَّهَا قَبْلَ تُرْضِعُ
 مِنَ النَّوْمِ وَالتَّاعِ الفُؤَادِ المَفْجَعُ
 وَسُمُّ الأَفَاعِي عَذْبٌ مَا أَتَجَرَّعُ^(١)

فخيال محبوبته جعله يستعظم رؤيتها ونفى ذلك النوم عنه وجعل قلبه يحترق لرؤيتها .
 والطيف له صفة غريبة فهو يقابل الشيء بضده من البسيط :

دَارُ المَلِمْ لَهَا طَيْفٌ تَهْدِدُنِي
 أَنَايَتُهُ فَدَنَا، أَدْنِيَّتُهُ فَنَأَى،
 لَيْلًا فَمَا صَدَقْتُ عَيْنِي وَلَا كَذَبًا
 جَمَشْتُهُ فَنَبَا، قَبْلَتُهُ فَنَأَى^(٢)

وهذا الطيف كما قال أبو تمام : صَدَّتْ وَعَلِمَتْ الصَّدُودُ خِيَالَهَا .

والمتنبي يخبرنا أن ما زاره ليس خيال حبيته بل خيال خيالها كما يقول من الكامل :

لَا الحُلْمُ جَادَ بِهِ وَلَا بِمِثَالِهِ
 إِنْ المَعِيدُ لَنَا المَنَامُ خَيَّـالَهُ
 لَوْلَا إِذْكَارُ وَدَاعِهِ وَزِيَالِهِ
 كَانَتْ إِعَادَتُهُ خَيَّـالَ خِيَالِهِ
 بَنْتُمْ عَنِ العَيْنِ القَرِيحَةَ فِيكُمْ
 فَدَنُوتُمْ وَدُنُوتُكُمْ مِنْ عِنْدِهِ
 وَسَكَنْتُمْ طَيِّ الفُؤَادِ الوَالِهِ
 وَسَمَحْتُمْ وَسَمَاحُكُمْ مِنْ مَالِهِ^(٣)

حيث كان في يقظته يرى خيال محبوبته ولذا رأى خيال الخيال في النوم وعذال محبوبته هم في الحقيقة حواسد لها لحبها لضجيع ما جد كما يقول من الطويل :

عَوَازِلُ ذَاتِ الخَالِ فِي حَـوَاسِدُ
 يَرُدُّ يَدًا عَنْ ثَوْبِهَا وَهُوَ قَـوَادِرُ
 وَإِنْ ضَجِيعَ الخَوْدِ مَنِّي لِمَاجِدُ
 وَيَعْصِي الهَوَى فِي طَيْفِهَا وَهُوَ رَاقِدُ
 مَتَى يَشْتَفِي مِنْ لَاعِجِ الشَّوْقِ فِي الحِشَا
 مُحِبُّ لَهَا فِي قُرْبِهِ مُتَبَّـعِدُ^(٤)

فهو يعف مع كونه قادراً على ترك العفاف وقد أصبح ذلك سحياً فيه فصار يعف عن خيالها الذي يزوره في المنام .

وقد أعطى المتنبي تعليلاً ذكياً لعدم انصاته إلى العذل كما يقول من الكامل :

^١ الديوان ج ٢ ص ٣٤٥ وشرحها بحاشية الصفحة .
^٢ الديوان ج ١ ص ٢٣٧
^٣ الديوان ج ٣ ص ١٧٩
^٤ الديوان ج ١ ص ٣٩٠ وشرحها بحاشية الصفحة .

عَذْلُ الْعَوَازِلِ حَوْلَ قَلْبِي التَّائِهَ وَهَوَى الْأَحْبَةِ مِنْهُ فِي سَوْدَائِهِ ^(١)
فالسبب لأن الهوى في السويداء والعذل حول القلب لا في صميمه والمنتبي لا يستمع إلى العذال
فسماعهم لا يتفق مع صدق المحبة كما يقول من الكامل :

أَلْقَلْبُ أَعْلَمُ يَا عَذُولُ بِدَائِهِ وَأَحَقُّ مِنْكَ بِجَفْنِهِ وَبِمَائِهِ
فَوَمَنْ أَحَبُّ لِأَعْصِيَّتِكَ فِي الْهَوَى قَسَمًا بِهِ وَبِحُسْنِهِ وَبِهَائِهِ
أُحِبُّهُ وَأُحِبُّ بَّ فِيهِ مَلَامَةً؟ إِنَّ الْمَلَامَةَ فِيهِ مِنْ أَعْدَائِهِ ^(٢)

ويستغرب المنتبي من عذاله لومه في أمر ليس من اختيار العقل كما يقول من المتقارب :

إِلَامَ طَمَاعِيَةَ الْعَاذِلِ وَلَا رَأْيَ فِي الْحُبِّ لِلْعَاقِلِ
يُرَادُ مِنَ الْقَلْبِ نَسِيَانُكُمْ وَتَأَبَى الطَّبَاعُ عَلَى النَّاقِلِ ^(٣)

والمنتبي كان عاذلاً حتى ذاق العشق فعذر العشاق كما يقول من الكامل :

وَعَذَلْتُ أَهْلَ الْعِشْقِ حَتَّى ذُقْتُهُ فَعَجِبْتُ كَيْفَ يَمُوتُ مَنْ لَا يَعْشَقُ
وَعَذَرْتُهُمْ وَعَرَفْتُ ذَنْبِي أَنِّي عَيْرْتُهُمْ فَلَقَيْتُ مِنْهُمْ مَا لَقُوا ^(٤)

والمنتبي ينصح بوقف عذل العشاق عامتهم لا عذله هو وحده من الخفيف :

يَا عَاذِلَ الْعَاشِقِينَ دَعْ فِتْنَةَ أَضَلَّهَا اللَّهُ كَيْفَ تُرْشِدُهَا
لَيْسَ يُحِيكَ الْمَلَامُ فِي هِمَمٍ أَقْرَبَهَا مِنْكَ عَنْكَ أَبْعَدَهَا ^(٥)

^١ الديوان ج ١ ص ١٣٤

^٢ الديوان ج ١ ص ١٢٩

^٣ الديوان ج ٣ ص ١٥٢

^٤ الديوان ج ٣ ص ٧٤

^٥ الديوان ج ٢ ص ٢١

ملاحظات على شعر الحب عند المتنبي

أولاً : مخالفته قوانين المحبين :

فقد وجدته يدعو على الحسان بدل الدعاء لهن كما في بيته الشهير من المتقارب :

أَيَا خَدَدَ اللَّهُ وَرَدَ الْخُدُودِ وَقَدَّ قُدُودَ الْحِسَانِ الْقُدُودِ^(١)

وقد سبق شرح البيت الذي يفضل فيه الخيل على النساء من المتقارب :

أَلَا كُلُّ مَاشِيَةِ الْخَيْزَلَى فِدَى كُلِّ مَاشِيَةِ الْهَيْدَبَى^(٢)

وقد وجدته أيضا يلح في خصومة ديار الأربة ويدعو عليها كما يقول من الوافر :

مُلِثَ الْقَطْرِ أَعْطَشَهَا رُبُوعًا وَإِلَّا فَاسْتَقَهَا السَّمُّ النَّقِيعَا
أُسْ—ائِلْهَا عَنِ الْمَتَدِيرِيهَا لَا تَدْرِي وَلَا تُدْرِي دُمُوعَا
لَح—اها الله إِلَّا مَاضِيِيهَا زَمَانَ اللَّهْوِ وَالْخَوْدِ الشَّمُوعَا^(٣)

ثانياً : من أوضح الأدلة على تصنع الحب عند المتنبي أني وجدت رقة عظيمة في حديث المتنبي واستعطافه لمن أراد من الرجال كسيف الدولة وكافور وابن العميد حيث اعتذر إليهم بلغة غاية في الرقة فقد قال لسيف الدولة من المتقارب :

أرى ذلك القرب صارَ ازوراراً وَصَارَ طَوِيلَ السَّلَامِ اخْتِصَارَا
تَرَكْتَنِي الْيَوْمَ فِي خَجَلَةٍ أُمُوتُ مِرَاراً وَأَحْيَا مِرَارَا
أَسَارِقُكَ اللَّحْظَ مُسْتَحِيًّا وَأَزْجُرُ فِي الْخَيْلِ مُهْرِي سِرَارَا
وَأَعْلَمُ أَنِّي إِذَا مَا عَتَذَرْتُ إِلَيْكَ أَرَادَ اعْتِذَارِي اعْتِذَارَا^(٤)

وقد قال لسيف الدولة أيضاً من البسيط :

يا أعدلَ النَّاسِ إِلَّا فِي مُعَامَلَتِي فَيْكَ الْخِصَامُ وَأَنْتَ الْخِصْمُ وَالْحَكْمُ^(٥)

١ الديوان ج ٢ ص ٦٣

٢ الديوان ج ١ ص ١٦٠

٣ الديوان ج ٢ ص ٣٥٧

٤ الديوان ج ٢ ص ١٩٦

٥ الديوان ج ٤ ص ٨٣

وقد قال لكافور من الخفيف :

يا رَجَاءَ العُيُونِ فِي كُلِّ أَرْضٍ
وَلَقَدْ أَفْنَتِ المَفَاوِزُ خَيْلي

وقال له أيضاً من الطويل :

وَمَا أَنَا بِالْبَاغِي عَلَى الحُبِّ رِشْوَةً
إِذَا نَلْتُ مِنْكَ الوُدَّ فَالمَالُ هَيِّنٌ
وَمَا كُنْتُ لَوْلَا أَنْتَ إِلَّا مُهَاجِرًا
وَلَكِنَ—كُ الدُّنْيَا إِلَيَّ حَبِيبَةً

لَمْ يَكُنْ غَيْرَ أَنْ أَرَكَ رَجَائِي
قَبْلَ أَنْ نَلْتَقِيَ وَزَادِي وَمَائِي^(١)

ضَعِيفٌ هَوَى يُنْعَى عَلَيْهِ ثَوَابُ
وَكُلُّ الَّذِي فَوْقَ التَّرَابِ ثَرَابُ
لَهُ كُلَّ يَوْمٍ بَلْدَةٌ وَصَحَابُ^(٢)
فَمَا عَنكَ لِي إِلَّا إِلَيْكَ ذَهَابُ

فهل يصح في العقل أن يجيد المتنبّي مثل هذا القول في استعطاف الرجال واستمالتهم ولا يستطيع مثله مع النساء وهو محب دنف .

^١ الديوان ج ١ ص ١٥٩

^٢ الديوان ج ١ ص ٣٢٥

الفصل الثامن

أسباب نجاح المتبني في
تصوير النفس

الفصل الثامن: أسباب نجاح المتنبي في تصوير النفس

يعزى نجاح المتنبي في تصوير النفس الإنسانية ورسمها في أحوالها المختلفة إلى جملة من الأسباب على النحو التالي :

(١) ثقافته الواسعة وتجاربه

(أ) الثقافة اللغوية والأدبية

روى الأصفهاني لبهاء الدولة في إيضاح المشكل " اختلف المتنبي إلى كتاب فيه أشرف العلويين فكان يتعلم دروس العربية شعراً ولغة وإعراباً^(١) " وكما روى الخطيب عن العلوي في تاريخ بغداد : " صحب المتنبي الأعراب في البادية فجعنا بعد سنين بدوياً قحاً^(٢) " ((وجملة القول أنه من حفاظ اللغة ورواة الشعر))^(٣) وهذا دون شك أفاد المتنبي في استقراء النفوس والطبائع واستشفاف كنهها ومكوناتها وفي جودة رسم ذلك وتصويره في لوحات شعره .

ولعل من أبرز ما عرف به المتنبي الناحية اللغوية ولو لم يكن شاعراً لكان لغوياً شهيراً يقول ابن خلكان " وكان من المكثرين من نقل اللغة ، والمطلعين على غريبها وحوشيتها " . ولا يسأل عن شيء إلا استشهد فيه بكلام العرب من النظم والنثر ، حتى قيل إن الشيخ أبا علي الفارسي صاحب الإيضاح والتكملة قال له يوماً : كم لنا من الجموع على وزن " فعلى " فقال المتنبي في الحال : حِجلى وطِربى ، قال الشيخ أبو علي : فطالعت كتب اللغة ثلاث ليال عليّ أجد لهذين الجمعين ثالثاً فلم أجد "

ويتابع ابن خلكان قوله " وحسبك من يقول في حقه أبو علي هذه المقالة^(٤) " .

وأورد دليلاً آخر على سعة ثقافته وهو أن المتنبي لما نزل عند ابن العميد في أرجان قرأ عليه كتاباً جمعه في اللغة قال صاحب الواضح " وكان أبو الفضل ابن العميد يقرأ عليه ديوان اللغة الذي جمعه ويتعجب من حفظه وغزارة علمه^(١) " .

^١ ، ٢ ، فن المتنبي بعد ألف عام لإبراهيم العريض ط دار العلم للملايين ص ٥٨

^٢ خزائن الأدب لعبد القادر البغدادي تحقيق عبد السلام هارون ، ط مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ج ٢ ص ٣٦٣ .

^٤ وفيات الأعيان ، لأبن خلكان تحقيق إحسان عباس ، ط دار الثقافة ، بيروت ، ج ١ ، ص ١٢٠

ولو كان شاعراً فقط لقرأ عليه ديواناً أو امتنع عن قراءة كتاب اللغة عليه على الأقل
ولكنه واثق من معرفته بما .

وقد ذكر صاحب الصبح المنبي " خيراً يدل على شغف المتنبى بالمعرفة منذ صغره قال :
" وقال القاضي أبو علي الحسن بن علي التنوخي " حدثني أبو الحسين [أبو الحسن] محمد يحيى
الزبيدي العلوي قال :

كان المتنبى وهو صغير ينزل جوارى بالكوفة ، وكان أبوه يعرف بعيدان السقاء ،
يستقي لنا ولأهل المحلة ، ونشأ وهو محب للعلم والأدب وطلبه وصحب الأعراب في البادية ،
فجاءنا بعد سنين بدوياً وقد كان تعلم الكتابة والقراءة ، فلزم أهل العلم والأدب ، وأكثر من
ملازمة الوراقين ، فكان علمه من دفاترهم . فأخبرني وراق كان يجلس إليه يوماً قال لي : ما
رأيت أحفظ من هذا الفتى ابن عيدان قط فقلت له : كيف ؟ فقال : كان عندي اليوم وقد أحضر
رجل كتاباً من كتب الأصمعي يكون نحو ثلاثين ورقة لبيعه فأخذ ينظر فيه طويلاً : فقال له
الرجل : يا هذا أريد بيعه ، وقد قطعني عن ذلك ، فإن كنت تريد حفظه ، فهذا إن شاء الله
يكون بعد شهر ! فقال له ابن عيدان : فإن كنت قد حفظته في هذه المدة فمالي عليك ؟ قال :
أهب لك هذا الكتاب قال فأخذت الدفتر من يده وقلت : هيا فأقبل يتلوه عليّ إلى آخره ، ثم
استلبه فجعله في كفه ، فعلق به صاحبه يطالبه بالثمن فقال : ما إلى ذلك من سبيل وقد وهبته
لي ! قال : فمنعناه منه وقلنا له : أليس شرطت على نفسك هذا للغلام ؟ فتركه^(٢) .

وهذه الرواية تدلنا على اهتمام المتنبى بثقافته منذ صغره ولا ريب أن لهذه الثقافة صداً
واسعاً في سعة المدارك وفهم الطبائع ثم القدرة على تصوير ذلك في أشعاره التي رسمت حالات
النفس الإنسانية المختلفة .

وسأورد هنا قصة رواها البديعي في الصبح المنبي قال :

" قال عبد المحسن بن علي بن كوجك إن أباه حدثه ، قال كنت بحضرة سيف الدولة أنا
وأبو الطيب اللغوي وأبو عبد الله بن خالوية النحوي وقد جرت مسألة في اللغة تكلم فيها ابن
خالوية مع أبي الطيب اللغوي والمتنبى ساكت ، فقال له سيف الدولة : ألا تتكلم يا أبا الطيب ؟
فتكلم فيها بما قوّى حجة أبي الطيب اللغوي ، وضّعت قول ابن خالوية ، فأخرج من كفه مفتاحاً
حديداً ليُكلم به . فقال له المتنبى اسكت ويحك فإنك أعجمي وأصلك خوزي فمالك والعربية ؟

^١ الواضح لأبي القاسم عبد الله بن عبد الرحمن الأصفهاني تحقيق محمد الطاهر بن عاشور ط الدار التونسية للنشر ١٩٦٨م ص ٢٧

^٢ الصبح المنبي للبديعي تحقيق مصطفى السقا ومحمد شتا ، طبعة دار المعارف ، ص ٢٠

فضرب وجه المتنبي بذلك المفتاح فسال دمه على وجهه وثيابه فغضب المتنبي لذلك إذ لم ينتصر له سيف الدولة لا قولاً ولا فعلاً فكان ذلك أحد أسباب فراقه^(١) وما مداخلة المتنبي في مثل هذا المجلس اللغوي ومناقشته لابن خالوية إلا دليل على سعة علمه باللغة وعظيم اطلاعه عليها .

وسؤال سيف الدولة له وطلبه منه الفصل في الرأي بين عالمين لغويين دليل آخر قوي على الاعتداد بعلمه ورأيه في اللغة .

وقال الخالديان : " كان أبو الطيب المتنبي كثير الراوية ، جيد النقد ... وكان من المكثرين من نقل اللغة والمطلعين على غريبها ولا يسأل عن شيء إلا استشهد بكلام العرب من النظم والنثر^(٢) " .

ومما يدل دلالة واضحة على علمه باللغة ما أورده في شرحه للديوان من التبيين وإيراد الشواهد ونسبة الأقوال إلى أصحابها وسأورد مثلاً على ذلك :

جاء في شرح البيت من الوافر

أُحَادٌ أَمْ سُدَّاسٌ فِي أُحَادٍ لُيْلَتِنَا الْمَنُوطَةُ بِالتَّنَادِي^(٣)

" قال أبو الطيب يقال أحاد وثناء وثلاث ورباع إلى عشار في المؤنث والمذكر غير مصروف . والفراء يصرفها إذا جعلها نكرات وكل مالا ينصرف من الأسماء يصرف في الشعر لأن الصرف الأصل . وهذا الذي ينسب إليه في العدد فيقال ثنائي وثلاثي ورباعي وخماسي إلى عشاري قال أبو النجم من الرجز :

فوق الخُماسي قليلاً يفضله أدرك عقلاً والرهان عمله

وأنشد من المتقارب :

ضربت خماسي ضربة عبشمي أدار سداساً ألا يستقيما

وللكميت :

فلم يستر يثـــــــوك حتى رميت فوق الرجاء خصالاً عشارا

وحكى ابن السكيت عن أبي عمرو : ادخلو موحد موحد ومثنى مثنى ومثلث مثلث ومربع مربع ، وكذلك إلى العشرة . وكذلك ادخلو أحاد أحاد وثناء ثناء وثلاث ثلاث ورباع رباع إلى العشرة

^١ الصبح المنبني للبديعي المرجع السابق ، ص ٨٧

^٢ الصبح المنبني ، مرجع سابق ، ص ١٤٢ .

^٣ شرح ديوان أبي الطيب لعبد الرحمن البرقوقي ، طبعة دار الكتاب العربي ، ج ٢ ، ص ٧٤

. قال على (يعني ابن حمزة راوية أبي الطيب) وقال أبو الطيب : وكان أبو حاتم تبع أبا عبيدة في قوله في كتاب المذكر والمؤنث : " ورباع رباع ، ولا نعلمهم قالوا فوق ذلك .
ثم رجع عنه فقال في كتاب الإبل : " ورباع إلى العشرة " (١) .
قال أبو الطيب وأما ليلتنا فتصغير تعظيم كقول لبيد من الطويل :
وكل أناس سوف تدخل بينهم دويهة تصفر منها الأنامل (٢)
ما يذكر مثل هذا الشرح اللغوي والاستشهاد إلا صاحب ثقافة لغوية وأدبية واسعة .

(ب) الثقافة الدينية :

وأعني بها الفهم الجيد لمعاني القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وقصص وسير الأنبياء والمرسلين والأمم السالفة واستشفاف كل ذلك شواهد في أشعاره على النحو التالي :
يقول المتنبي ذاكراً قصة يوسف وأبيه يعقوب عليهما السلام من البسيط :
كَأَنَّ كُلَّ سُؤَالٍ فِي مَسَامِعِهِ قَمِيصُ يَوْسُفَ فِي أَجْفَانِ يَعْقُوبِ (٣)
وقد وجدته يشبه نفسه في قصيدة دار أثلة بقصة نبي الله صالح حين قال من الخفيف :
أَنَا فِي أُمَّةٍ تَدَارَكَهَا اللَّهُ هُ غَرِيبٌ كَصَالِحٍ فِي ثَمُودِ (٤)
وقد ووجدت عنده صوراً تاريخية وتلميحات دينية كما في قصيدته التي مدح بها محمد بن زريق الطرسوسي من الكامل :

لَوْ كَانَ ذُو الْقَرْنَيْنِ أَعْمَلَ رَأْيَهُ	لَمَّا أَتَى الظُّلُمَاتِ صِرْنَ شُمُوسًا
أَوْ كَانَ صَادَفَ رَأْسَ عَازَرَ سَيْفُهُ	فِي يَوْمٍ مَعَ رَكَّةٍ لِأَعْيَا عَيْسَى
أَوْ كَانَ لُجُّ الْبَحْرِ مِثْلَ يَمِينِهِ	مَا انْشَقَّ حَتَّى جَازَ فِيهِ مُوسَى
أَوْ كَانَ لِلتَّيْرَانِ ضَوْءٌ جَبِينِهِ	عُبِدَتْ فَكَانَ الْعَالَمُونَ مَجُوسًا (٥)

وكذا حديثه عن مقامه بأرض نخلة وتشبهه بمقام المسيح بين اليهود وقد وجدت في أشعاره إشارات تدل على فهمه للمذاهب السائدة في عصره وعلى مفاهيم بعض الأديان غير السماوية المدعاة كقوله من الطويل :

مَا مَقَامِي بِأَرْضِ نَخْلَةَ إِلَّا كَمَقَامِ الْمَسِيحِ بَيْنَ الْيَهُودِ (١)

١ ديوان أبي الطيب المتنبي للدكتور عبد الوهاب عزام نشرات الشريف الرضى ص ٩٦-٩٧
٢ نقلاً عن ذكرى أبي الطيب لعبد الوهاب عزام ، ص ٢٢٥ ، طبعة دار المعارف بمصر .
٣ الديوان ج ١ ص ٢٩٥ .
٤ الديوان ج ٢ ص ٤٨ .
٥ الديوان ج ٢ ص ٣٠٧ .

وَكَمْ لظَلَامِ اللَّيْلِ عِنْدَكَ مِنْ يَدٍ تُخَبِّرُ أَنَّ الْمَانَوِيَّةَ تَكْذِبُ^(٢)

وكقوله في هجاء كافور من البسيط :

أَلَا فَتَى يُورِدُ الْهِنْدِيَّ هَامَتَهُ كَيْمَا تَزُولُ شَكُوكُ النَّاسِ وَالْتُهُمُ
فَإِنَّهُ حُجَّةٌ يُؤْذِي الْقُلُوبَ بِهَا مَنْ دِينُهُ الدَّهْرُ وَالتَّعْطِيلُ وَالْقَدَمُ^(٣)

يشير إلى آراء الدهريين والمعطلة والقائلين بقدوم العالم .

ولم يكتف بالثقافة الدينية بل تنوعت ثقافته وسأشير إلى بعض الشواهد التي دلت على ثقافته التاريخية .

(ج) الثقافة التاريخية :

ورد عنده ذكر الأمم السالفة كعاد وجرهم في قوله من الطويل :

أَجَارَ عَلَى الْأَيَّامِ حَتَّى ظَنَنْتُهُ يُطَالِبُهُ بِالرَّدِّ عَادٌ وَجَرُّهُمْ^(٤)

والمتنبى يأتي بالشواهد بما يناسب المقام ولننظر إليه في هذه الأبيات التي قالها بعد أن جرت وحشة بين كافور والأمير أبي القاسم مدة ثم اصطلحا وفيها تلميحات تاريخية عميقة حيث يقول من الخفيف :

وَإِذَا كَانَ فِي الْأَنْبِيَابِ خُلْفٌ وَقَعَ الطَّيْشُ فِي صُدُورِ الصُّعَادِ
أَشْمَتَ الْخُلْفُ بِالشُّرَاةِ عِدَاهَا وَشَفَى رَبَّ فَارِسٍ مِنْ إِحْيَادِ
وَتَوَلَّى بَنِي الْيَزِيدِيِّ بِالْبَصْـ سِرَّةٍ حَتَّى تَمَزَّقُوا فِي الْبِلَادِ
وَمُلُوكًا كَأَمْسٍ فِي الْقُرْبِ مِنَّا وَكَطَسْمٍ وَأُخْتِهَا فِي الْبِعَادِ^(٥)

ففي البيت الأول يشير إلى اضطراب صدر الرمح إذا وقع الاختلاف في أنبوه ويريد بالأنبياب الأتباع وبالصدور السادة ويقول في البيت الثاني إن الخلاف الذي وقع للناس قبلكما أشمت الأعداء ، كالشراة (الخوارج) ظفر بهم المهلب بن أبي صفرة حينما اختلفت كلمتهم وتفرق جمعهم ، وبنو اليزيدي هم : أبو الحسن وأبو عبد الله وأبو يوسف قصدوا البصرة

^١ الديوان ج ٢ ص ٤٤ .

^٢ الديوان ج ١ ص ٣٠٢ .

^٣ الديوان ج ٤ ص ٢٨١ .

^٤ الديوان ج ٤ ص ٧٣ .

^٥ الديوان ج ٢ ص ١٣٤ شرح البيت بحاشية الصفحة ج ٢ / ١٣٤

وأخرجوا منها عامل الخليفة وهو ابن رائق ثم اختلفوا فذهب ملكهم وقد أشار في البيت الأخير إلى فناء طسم وجديس .

وقد وجدت في قصيدته في ابن العميد إشارات تاريخية في قوله من الكامل :

مَنْ مُبْلِغُ الْأَعْرَابِ أَتَيْ بَعْدَهَا
جَالَسْتُ رِسْطَالِيْسَ وَالْإِسْكَندَرَ
وَمَلَلْتُ نَحْرَ عِشَارِهَا فَأَضَافَنِي
مَنْ يَنْحَرُ الْبَدْرَ النَّضَارَ لِمَنْ قَرَى
وَسَمِعْتُ بِظَلِيمُوسَ دَارِسَ كُتْبِهِ
مُتَمَلِّكًا مُتَبَدِّيًا مُتَحَضِّرًا^(١)

وهذه النماذج السالفة مقتطفات من ديوانه تدل على ثقافة تاريخية متينة كما تدل على قدرة على الإفادة الرائدة من عرض هذه الثقافة .

(د) ثقافته الجغرافية

لاشك أن المتبني أفاد من رحلة صغره إلى البادية معرفة بالبقاع والأماكن وأسماء المياه وكذا طرق المسير في هذه المهامه والقفار ولكن هذه الثقافة الجغرافية ثبتت بأسفاره المتعددة بين العراق والشام وبالعكس وبين شمال الشام وجنوبه وشرقه وغربه وكذا إلى بلاد الروم في حرب الثغور مصاحباً لسيف الدولة وإلى الفسطاط وما حولها وفلسطين وبحيراتها وإلى مصر والعراق وكذا إلى بلاد فارس ، ولا أدل على هذه الثقافة من سلوكه طريقاً لم يخطر على بال جند كافور وعيونه في خروجه من مصر وقد ذكر في قصيدته بعد خروجه من أسماء الأماكن والمياه ما يدل على ثقافة جغرافية واسعة فوجدته يذكر : التيه وهو تيه بني إسرائيل ونخل والجرادي وصور والرهيمة وكلها أسماء لمواضع الماء وكذا ذكر وادي المياه ووادي القرى والنقاب والتربان والكفاف والوهاد والبويرة ووادي الغضا وعقدة الجوف وشغور والجميعي والأضارع والدنا وأعكش وكلها أسماء لمواضع وأماكن وأمصار ونذكر بعض أبيات هذه القصيدة من المتقارب :

وَأَمَسْتُ تُخَيْرُنَا بِالنَّقَا
بِ وَادِي الْمِيَاهِ وَوَادِي الْقُرَى
وَقُلْنَا لَهَا أَيْنَ أَرْضُ الْعِرَاقِ
فَقَالَتْ وَنَحْنُ بِنُرْبَانَ هَا
وَهَبَّتْ بِحِسْمَى هُبُوبَ الدَّبُّو
رِ مُسْتَقْبَلَاتٍ مَهَبَّ الصَّبَا
رَوَامِي الْكِفَافِ وَكِبَدِ الْوِهَادِ
وَجَابَتْ بِسَيْطَةَ جَوْبِ الرِّدَا
وَإِذَا الْوَيْدِ الْوَيْدِ
إِلَى عُقْدَةِ الْجَوْفِ حَتَّى شَفَتْ
بِمَاءِ الْجُرَاوِيِّ بَعْضَ الصَّدَى

وَلَا حَ لَهَا صَوْرٌ وَالصَّبَّاحَ ،
وَمَسَى الْجُمَيْعِي دِيدَاوَهَا
وَلَا حَ الشَّعُورُ لَهَا وَالصَّحَى
وَمَسَى الْجُمَيْعِي دِيدَاوَهَا
وَعَادَى الْأَضْرَاعَ ثُمَّ الدَّنَا
فِيَا لَكَ لَيْلًا عَلَى أَعْكَشٍ
أَحَمَّ الْبِلَادِ خَفِيَّ الصُّوَى
وَرَدْنَا الرُّهَيْمَةَ فِي جَوْزِهِ
وَبَاقِيهِ أَكْثَرُ مِمَّا مَضَى ^(١)
وهذه لحة من قصيدة واحدة وإلا فثقافة المتنبي الجغرافية واسعة لمتبع ذلك في ديوانه .

(هـ) نواحي ثقافية أخرى

القارئ الجيد لديوان المتنبي يجد ضرباً جمة من الثقافات ، فمن معرفة أحوال الحيوان إلى الثقافة الفنية وأبرز من كل ذلك الثقافة الحربية حيث برزت في السيفيات من خلال حديثه عن العتاد والأسلحة وفنون الحرب والقتال وسأورد بعض الشواهد على ما ذكرت على النحو الآتي :
أما معرفته بأحوال الحيوان فلها إشارات في ديوانه أورد منها قوله في رثاء ابن سيف الدولة من الطويل :

يَرُدُّ أَبُو الشَّبَلِ الحَمَيْسَ عَنِ ابْنِهِ
وَيُسَلِّمُهُ عِنْدَ الْوِلَادَةِ لِلنَّمْلِ ^(٢)
يشير إلى أن النمل إذا اجتمع على ولد الأسد حين ولادته يأكله ويهلكه .
وكذلك قوله من الكامل :

لَمْ يَتْرُكُوا لِي صَاحِبًا إِلَّا الْأَسَى
وَدَمِيلَ ذِعْلَبَةَ كَفَحَلِ نَعَامٍ ^(٣)
وقد عين ذكر النعام لأنه أسرع من الأنثى والذميل ضرب في السير سريع والدعبله هي الناقة السريعة القوية .
وكذلك قوله من البسيط :

بِذِي الْعَبَاوَةِ مِنْ إِنْشَادِهَا ضَرَّرُ
كَمَا تُضَرُّ رِيَا حُ الْوَرْدِ بِالْجُعَلِ ^(٤)
يشير إلى الجعل وهو نوع من الخنافس يموت من الرائحة الزكية .
وأما ثقافته الفنية فقد التمسها من قوله في مدح عضد الدولة من الوافر :

بِضَرْبِ هَاجِ أَطْرَابِ الْمَنَايَا
سِوَى ضَرْبِ الْمَثَلِثِ وَالْمَثَانِي ^(٥)
الأطراب : جمع طرب والمثالث والمثاني : جمع مثلث ومثنى وهما الوتر الثالث والثاني من أوتار العود .

^١ الديوان ج ١ ص ١٦٢ شرح الأبيات بحواشي الصفحات ١٦٢ - ١٦٥

^٢ الديوان ج ٣ ص ١٧٥ شرح البيت بحاشية الصفحة ١٧٥

^٣ الديوان ج ٤ / ١٢٢

^٤ الديوان ج ٣ / ١٦٨ وشرحه بحاشية الصفحة

^٥ الديوان ج ٤ / ٣٩٣ . وشرحه بحاشية الصفحة .

(٢) رحلاته (١):

كان لتنقل المتنبي ورحلاته كبير الأثر في قدرته على التعرف على الناس وفهم طبائعهم ، فاستطاع أن يفيد من جولاته في البوادي وتنقلاته بين العراق والشام وأرجان وشيراز فأعطاه ذلك خبرة واسعة وأذكر هنا قوله من الطويل :

برثني السرى برّي المدى فرددني
وأبصر من زرقاء جواً لآتني
أحفّ على المركوب من نفسي جرّمي
متى نظرت عيناى ساواهما علمي
كأني دحوت الأرض من خبرتي بها
كأني بنى الإسكندر السد من عزمي (٢)

وهو يذكر فعل سير الليالي فيه مشبهاً إياه بنحت السكاكين حتى رق جسمه وهو يفضل نفسه على زرقاء اليمامة التي تضرب بها العرب المثل في قوة البصر وقد ذكر الشراح لهذا البيت عدة تفسيرات كلها تؤدي إلى معرفته بعواقب الأمور وبعد نظره وفهمه فكأنما من سعة خبرته بسط الأرض بسطاً حتى كأن ذو القرنين بنى سده العظيم من عزمه ومؤدى الأبيات كثرة أسفاره وتقلبه في البلاد حتى عرفها جميعاً وما ذلك إلا لقوة عزمه على الأمور .

ولا شك عندي أن من أهم فوائد هذه الأسفار الكثيرة أنها أعطته درجة عالية في فهم النفوس والقدرة على تصويرها وأذكر هنا قوله من الوافر :

أواناً في بئوت البدو رحلي
أعرض للرماح الصم نحري
وأونة على قتد البع ير
وأنصب حراً وجهي للهجير
وأسري في ظلام الليل وحدي
كأني منه في قم منير (٣)

وهو يصف لنا قلة مقامه وكثرة ارتحاله لأن كلمة آونة جمع لأوان فهو أزمنا كثيرة على القتد وهو خشب الرحل متنقلاً معرضاً نفسه لحر الهاجرة وهي نصف النهار وقد ذكر في الأبيات السابقة كثرة سراه بالليل وهنا يذكر ترحاله بالنهار فحياته إذاً كلها تنقل وسفر بين البلاد وقد ذكر الأستاذ محمد علي العدواني بمقاله المعنون بالجبال والأمكنة والمياه في شعر المتنبي الآتي :

١ ينظر تشبيهات المتنبي ومجازاته لمنير سلطان طبعة منشأة المعارف ص ٣٠
٢ الديوان ، شرح البرقوقى ، ج ٤ ، ص ١٧٠ ط دار الكتاب العربي بيروت
٣ الديوان ، شرح البرقوقى ، ج ٢ ، ص ٢٤٦ ، ط دار الكتاب العربي بيروت

".... وكان قد لفت نظري أن الإمام الشيخ شهاب الدين أبا عبد الله ياقوتاً الحموي قد استشهد في كتابه معجم البلدان ببعض أقوال المتنبي لبعض أسماء الجبال والأمكنة والمياه في ثمانية وأربعين موضعاً^(١)"

وهذا بالتأكيد يدلنا في بعض دلالاته على سعة دوران المتنبي في البقاع وقطعه مسافات شاسعة شرقاً وغرباً مما زاد معرفته بالطرق ودروب السير .
ولا أدل على هذه المعرفة من سلوكه طريقاً غير معهودة عند هروبه من مصر إلى العراق فلم يستطع كافور الإمساك به ولا استطاعت عيونه معرفة طريق مسيره وتحديد اتجاهاته .

(٣) المجالس الأدبية :

كان الخلفاء والوزراء يقيمون مجالساً أدبية عامرة يفد إليها الكتاب والشعراء والأدباء والفلاسفة والفقهاء وقد أفاد المتنبي من حضوره لهذه المجالس فمنها استقى المتنبي نفسيات الملوك والوزراء وفهم طبائع الخصوم والنظراء وقد أمّ المتنبي كثيراً من هذه المجالس كمجلس بدر بن عمّار وأبي محمد الحسن بن حمدان ، فكان حضوره لها فرصة لصقل خبراته وقد رادته وزادته فهماً لطبائع الناس واستطاعة لتصوير نفوسهم ومكونات صدورهم هذا كله يضاف إلى مجالسة سيف الدولة وكافور وغيرهم من الملوك الذين وفد على بلاطهم .

وقد ذكر الثعالبي في تيممته عن مجالس سيف الدولة قوله^(٢) : " وحضرته مقصد الوفود ، ومطلع الجود ، وقبلة الآمال ومحط الرجال وموسم الأدباء وحلبة الشعراء ويقال : إنه لم يجتمع بباب أحد من الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر ونجوم الدهر " هذا في بلاط سيف الدولة وأهمهم أبو فراس وأبو العباس النامي وعلى الناشئ والسري الرفاء وأبو الفرج الببغاء وأبو الفرج الوأواء وأبو الفتح كشاجم وأبو نصر بن نباته وأبو العباس الصفري وابن كوجلء وابن دينار والخالديان وأبو حصين الرقي وأبو القاسم الشيطمي وأبو ذر أستاذ سيف الدولة .

وقد أمّ مجلس سيف الدولة أدباء كبار كعبد الله بن خالوية وأبي علي الفارسي وأبي الطيب اللغوي والقاضي التنوخي وأبو نصر البازيار والشمشاطي والفياض وقد أمّه أبو الفرج الأصفهاني وأهداه كتاب الأغاني .

^١ مجلة المورد العراقية المجلد السادس العدد الثالث ١٣٩٧ مقال الأستاذ محمد علي إلياس العدوانى الجبال والأمكنة والمياه في شعر المتنبي .

^٢ نيتمة الدهر للثعالبي ، ج ١ ، ص ٣٧ ، ط دار الكتب العلمية ببيروت .

وقد عاش في كنفه أبو نصر الفارابي الفيلسوف وكذلك أبو عبد الله بن مقلة أخو الوزير ابن مقلة^(١).

وقد أفاد المتنبي من مجالستهم ومحاورتهم وفهم الطبائع وسير غور النفوس فأخرج ذلك درراً في أشعاره فحفظت بما فيها من التصاق بنفوس البشر وخلجات دواخلهم وبما ركب فيها من امتزاج بحالات النفس على اختلافها .

(٤) ذكاؤه الشديد وطبيعته الشاعرة :

يقول الشيخ محمود شاكر " عندنا أن المتنبي بقى في المكتب إلى سنة ٣١٧ تقريباً وكانت سنّه أربعة عشر ولكنه كان بتوقده وذكاءه في درجة من أناف على العشرين وقد ذكر التنوخي أنه قال الشعر صبياً ، وذكر غيره أنه كان آية في الذكاء والفطنة ، وقال غيرهما أنه من دهاة عصره ، أي كان كذلك فيما بعد . وكان مما ورثه عن جدته هذا الإحساس المرهف الدقيق الذي يهتز في قوته وكبريائه لا في ضعفه وذله واجتماع الذكاء والحس المرهف هما آلة كل شاعر وقد ظفر المتنبي من كليهما بنصيب الأسد المحصور ولذلك كان شعره أروع شعر في العربية وكثير غيرها ، وكان محبباً إلى أهل عصره متداولاً سائراً بينهم لأنه كان يأخذ بنفسه المرهفة من شعور الناس وآلامهم وأحداثهم ويبيّن بما يأخذ بيوت شعره وروائع بلاغاته"^(٢)

وهذا الذكاء والقدرة على حفظ الأشعار والأخبار والمواقف والأنساب هي التي اقتبس منها المتنبي فيما بعد وصاغ في أشعاره وأورد هنا هذه الحكاية دلالة على ذكائه وقوة حافظته ، فقد روى الخطيب عن التنوخي عن أبي الحسن اليزيدي أنه " أكثر ملازمة الوراقين فكان علمه من دفاترهم فأخبرني وراق كان يجلس إليه يوماً قال لي : ما رأيت أحفظ من هذا الفتى ابن عبدان قط ! قلت له : كيف ؟ فقال : كان اليوم عندي وقد أحضر رجل كتاباً من كتب الأصمعي يكون نحو ثلاثين ورقة ليبيعه قال : فأخذ ينظر فيه طويلاً . فقال الرجل : يا هذا أريد بيعه وقد قطعتني عن ذلك فإن كنت تريد حفظه في هذه المدة فبعيد فقال له إن كنت حفظته فما عليك ؟ قال : أهب لك الكتاب قال فأخذت الدفتر من يده فأقبل يتلوه إلى آخره ثم استلبه فجعله في كفه وقام فعلق به صاحبه وطالبه بالثمن فقال ما إلى ذلك سبيل فقد وهبته لي قال : فممنعاه منه وقلنا له : أنت اشترطت على نفسك هذا للغلام فتركه عليه"^(٣) .

^١ ينظر ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام لعبد الوهاب عزام ط دار المعارف بمصر ص ٧٩ - ٨٠
^٢ الشيخ محمود شاكر المتنبي " رسالة في الطريق إلى ثقافتنا " ص ١٩١ ، مطبعة المدني بالقاهرة .
^٣ الصبح المنبئ للبديعي ، تحقيق مصطفى السقا ومحمد شتا ، طبعة دار المعارف ، ص ٢٠ .

وأنقل رأياً للشيخ محمود شاكر الذي يرى أن ذكاء المتنبي وتجاربه واختلاطه بالناس سبب لنبوغه وظهوره على غيره حيث يقول : " ومع هذا ... كان الذكاء ، والثورة ، والنظر ، والتجربة والاختلاط بالناس واختبار أخلاقهم وتعجبه من فساد أقيستهم وبطلان مذاهبهم ، ثم اعتماده في نفسه على الثقة بما واعتداده بمقدرته واستسقاطه لمن يحيط به من رجال الدولة الذين لم يصلوا إلى الحكم أو السلطان أو القضاء إلا بالسوء والقبیح ثم طبيعته الشاعرة المرهفة التي (تلتقط صور) الأشياء ، ثم تصوغ منها الأخيصة الشعرية ، والحكم البليغة .. كل ذلك أسرع بالفتي إلى ضرب من القول الساخر الذي لم تر العربية مثله في شعر شاعر"^(١)

(٥) صدق واعتداده بنفسه :

صور المتنبي صادرة عن مواقف حقيقية صادقة من قبل الشاعر فبقدر اقتناع الشاعر بما يقول ، يقاس نجاحه فالتصنع ينتج صوراً باهتة فاترة لا تقوى على الثبات والانتشار . وصدق المتنبي وصراحته اقتضت اعتداده بنفسه وقد وجدت ذلك في أشعاره جلياً فهو يساوي بين نفسه وممدوحيه ويعلي نفسه إلى أعلى المراتب حيث يقول من الخفيف :

وَبِنَفْسِي فَحَرْتُ لَا بَجْدُودِي^(٢)

لَا بِقَوْمِي شَرُّتُ بَلْ شَرُّتُ بِي

وفي موضع آخر يقول من الخفيف :

لَمْ يَجِدْ فَوْقَ نَفْسِهِ مِنْ مَزِيدٍ^(٣)

إِنْ أَكُنْ مُعْجَبًا فَعُجِبْتُ عَجِيبًا

ويقول أيضاً من الخفيف :

وَاقِفًا تَحْتَ أَحْمَصِي الْأَنَامِ^(٤)

وَاقِفًا تَحْتَ أَحْمَصِي قَدْرٍ نَفْسِي

ويقول أيضاً من الطويل :

بِمَا أَنْفُ أَنْ تَسْكُنَ اللَّحْمَ وَالْعَظْمًا^(٥)

وَإِنِّي لَمِنْ قَوْمٍ كَأَنَّ نُفُوسَهُمْ

والشواهد من شعره على اعتداده بنفسه كثيرة متعددة ولكن صراحة المتنبي الجارحة هذه استلزمت منه الصدق في البيان مع الدقة في الملاحظة فوجدته يستقصى في تمثيله حيث حاول أن يلم بالصور التي يعرضها من كل جوانبها ساعده في ذلك ذكاءه وعاطفته المشبوبة وسأذكر هنا مثلاً من قصيدته التي مدح بها علي بن إبراهيم التنوخي والتي مطلعها من الوافر :

^١ المتنبي ، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا لمحمود شاكر ، ص ١٩٤ ، مطبعة المدني بالقاهرة .

^٢ الديوان ج ٢ ص ٤٦

^٣ الديواني ج ٢ ص ٤٧

^٤ الديوان ج ٤ ص ٢١٨

^٥ الديوان ج ٤ ص ٢٣٥

ويرسمها صديقاً وهو إذ يفعل ذلك يرسم لنا صوراً متكاملة لنفوس هذه الإنسانية في جوانب حياتها المتعددة بصدق شعوري وتجارب حقيقية معاشة واستقراء دقيق لأحوال النفس وخلجاتها ، يغلف كل ذلك ثقافة واسعة وقدرات لغوية فائقة وذكاء حاد في التقاط الصورة المناسبة ومعالجتها بحرفية عالية كما يفعل الفنان المبدع .

نعم لقد كانت ذاته دوماً نقطة الانطلاق ولكنه انطلق من عقال الذات ليعبر عن كل نفس في تجربة مماثلة حتى أصبحت تجاربه وأقواله شواهد وأمثال شرد وحكم متناقلة فكانت نفسه مرآة عاكسة وهو في ذلك يخط مذهباً خاصاً خطوطه من قسماش شخصيته وألوانه من تجارب حياته وظلاله من نفسيته فأصبح بذلك مثلاً لكل نفس إنسانية في تجارب السمو والرفعة والضعفة والانحطاط والألم والأمل والمدح والهجاء والفخر والرتاء وتقلب الطباع واختلاف العواطف وتصوير لواعج الفؤاد وعواطف الحب ورسم النظرات إلى عالم المرأة .

حقاً لقد كانت العوامل والمؤثرات التي أحاطت به في حياته وعملت على التأثير في شخصيته روافد أمدت تجربته بالغنى والثراء وعمقت إحساسه بالوجود الإنساني ، وحددت نظراته لنفوس الناس وللأشياء وساهمت في وضع أسس متينة لمذهبه الخاص ، هذا المذهب الذي يربط الفن بالتجربة ويجعل التعبير الفني جزءاً من نفسية الفنان وصدى لآلامه وآماله ووجدت عنده في أشعاره تعبير عن عشقه العظيم لكل ما تطمح إليه النفس الإنسانية من عظمة ومجد وارتقاء .

وسيكون أيضاً هذا القول من خلال فصول البحث التالية حيث سأوضح كيف صور آلامه وآماله ومعاناته وكيف أبان عن الجوانب النفسية الرائعة والوضيعة في مدحه وهجائه وكيف رسم تقلب الطباع وعاطفة الحب والنظرة إلى عالم المرأة .

(٧) صراعاته النفسية^١ :

إن القارئ لشعر المتنبي ليتبدى له أن الصراعات النفسية والتناقضات داخل نفس المتنبي كانت عاملاً فاعلاً في قدرته على تصوير النفس الإنسانية بأحوالها المختلفة ، فقد عاشت نفسه الملتهبة في صراعات كثيرة على نحو التالي :

أولاً :

إن أكثر ما كاد يشل عقل المتنبي وتفكيره ما رأي من تناقض مرير مائل أمام ناظره فالرجال الشرفاء الأذكياء والذين يحملون في قلوبهم المثل العليا للحق والفضيلة يعيشون في فقر وذنك وأولئك الذين يعيشون الشر في رؤوسهم يرفلون في رفاهية وسعة من العيش ولقد أشغل

^١ ينظر كتاب المتنبي وصراعاته ص ٣٣ للدكتور بكري شيخ أمين ط الدار السعودية

هذا أبا الطيب فهو يفكر لماذا لا تسري الحياة طبيعية فيحيا من يستحق الحياة ويموت من لا يقدم الخير للإنسانية؟ و حار المتنبي ولم يجد جواباً وظل الصراع بين الخير والشر يعتمل في نفسه وسيطرت عليه الحيرة تُرى أخيراً له أن يكون شريراً ليحكم ويعلو أم يكون خيراً فيداس بالأقدام؟ وصراع آخر تجاذب شاعرنا طرفاه الإيمان بالله والكفر به ، وقد تضاربت الروايات بين مؤيدة للقول بأن المتنبي لا يصلي ويستهزأ بالشعائر يؤيد ذلك بعض أشعاره كتشبيهه بمقام الأنبياء الكرام في قوله من الخفيف :

مَا مُقَامِي بِأَرْضِ نَحْلَةَ إِلَّا
كَمُقَامِ الْمَسِيحِ بَيْنَ الْيَهُودِ^(١)

و كقوله في نفس القصيدة من الخفيف :

يَتَرَشَّفَنَ مِنْ فَمِي رَشَفَاتٍ
هُنَّ فِيهِ أَحْلَى مِنَ التَّوْحِيدِ^(٢)

وعبارة الواحدي في شرح هذا البيت : " كن يمصن ريقى لجهن إياي فكانت

الرشفات في فمي أحلى من كلمة التوحيد وهي لا إله إلا الله وهذا إفراط وتجاوز حد^(٣) " وقيل إن التوحيد هنا نوع من تمر العراق ويرى ابن القطاع أن أفعل في البيت ليست للتفضيل بل على المقاربة في التشبيه ، والفريق الآخر ينظر إلى ما سبق بأنه من مبالغات الشعراء التي تقبل منهم ويؤيد هذا قول المتنبي في أوائل شعر صباه أبيات تؤكد إيمانه بالله وثقته به حيث يقول من الطويل :

فَثَبٌ وَاثِقًا بِاللَّهِ وَثَبَةً مَا جَدٍ
يرى الموتَ في الهيجا جنى النحل في الفم^(٤)

ومن تربي على مثل هذا القول في صغره فستكون نشأته حسنة أيضاً ، ولكن الواضح للقارئ

لديوانه أن سؤالاً أرق المتنبي طول حياته وهو هل الإنسان مجبور في هذه الحياة سجلت له المقادير سلفاً أم هو مخير وإذا كانت له حرية الإرادة والتفكير فلماذا لا يستطيع أن يحقق ما يريد ؟ ولهذا الصراع النفسي أصداً واسعة في شعر المتنبي فهو متضجر متبرم أبداً على دهره . حيث قال البسيط :

وَقْتُ يَضِيعُ وَعُمْرٌ لَيْتَ مُدَّتُهُ
في غَيْرِ أُمَّتِهِ مِنْ سَالِفِ الْأُمَمِ^(٥)

ونجده شاكياً من صروف الدهر وقد قال من الكامل :

أُظْمَتْنِي الدُّنْيَا فَلَمَّا جُئْتُهَا
مُسْتَسْقِيًا مَطَّرَتْ عَلَيَّ مَصَائِبًا^(١)

^١ الديوان ج ٢ ص ٤٤ .

^٢ الديوان ج ٢ ص ٤٠ . شرح البيت وذكر الأقوال بحاشية الصفحة .

^٣ شرح الديوان للبرقوقي ج ٢ ص ٤٠ .

^٤ الديوان ج ٤ ص ١٥٠ .

^٥ الديوان ج ٤ ص ٢٩٥ .

وفي موضع آخر من البسيط :

لَوْ ذَاقَهَا لَبَكَى مَا عَاشَ وَانْتَحَبَا^(٢)

أَذَاقَنِي زَمَنِي بَلَوَى شَرِقَتْ بِهَا

وهو في نحس دائم كما قال من الخفيف :

فِي نُحُوسٍ وَهَمَّتِي فِي سُعُودِ^(٣)

أَبْدَا أَقْطَعُ الْبِلَادَ وَنَجْمِي

وحتى الحمى يعترض على وصولها إليه كما قال من الوافر :

فَكَيْفَ وَصَلْتِ أَنْتِ مِنَ الزَّحَامِ^(٤)

أَبْنَتِ الدَّهْرِ عِنْدِي كُلُّ بِنْتٍ

فالدهر ملأ حياته بالهم فلا مجال للسعد فيها كما قال من البسيط :

شَيْئًا تُتِيْمُهُ عَيْنٌ وَلَا جِيْدٌ

لَمْ يَتْرُكِ الدَّهْرُ مِنْ قَلْبِي وَلَا كَبْدِي

أَمْ فِي كُؤُوسِكُمَا هَمٌّ وَتَسْهِيْدٌ؟^(٥)

يَا سَاقِيَّ أَحْمَرٌ فِي كُؤُوسِكُمَا

فهو يتهم دهره بأنه شر الدهور وقد قال من الوافر :

بَشَرٌ مِنْكَ يَا شَرَّ الدَّهْوَرِ^(٦)

وَقَلَّةٌ نَاصِرٍ جُوْزِيْتٍ عَنِي

ولكنه لن يرضى بذلك بل سيقاتل ويكافح كما قال من الخفيف :

رَبِّ بَعِيْشٍ مُعْجَلِ التَّنْكِيدِ^(٧)

أَيْنَ فَضْلِي إِذَا قَنَعْتُ مِنَ الدَّهْرِ

وَيصور دهره بالقبح :

وَجْهٌ لَهُ مِنْ كُلِّ قُبْحٍ بُرْقُعٌ^(٨)

قُبْحًا لَوْجَهِكَ يَا زَمَانَ فَإِنَّهُ

فدهره ليس فيه شيء جميل يحمده كما قال من الكامل :

مَنْ لَا يَرَى فِي الدَّهْرِ شَيْئًا يُحْمَدُ^(٩)

مَنْ خَصَّ بِالذَّمِّ الْفِرَاقَ فَإِنِّي

ويرى نفسه أعرف الناس بالأيام وهم كما يقول من الطويل :

وَبِالنَّاسِ رَوَى رُحْمَهُ غَيْرَ رَاحِمٍ^(١٠)

وَمَنْ عَرَفَ الْآيَامَ مَعْرِفَتِي بِهَا

وهذه شواهد من أقواله نراه فيه متحيراً بين الاختيار والجبر وهو فيها إلى الجبر أقرب ولذا

سيطر هذا الصراع عليه طيلة حياته ورأيته متبرماً معترضاً على ما يحصل له من الأقدار والأحداث

^١ الديوان ج ١ ص ٢٥٢

^٢ الديوان ج ١ ص ٢٤٨

^٣ الديوان ج ٢ ص ٤٥

^٤ الديوان ج ٤ ص ٢٧٧

^٥ الديوان ج ٢ ص ١٤١

^٦ الديوان ج ٢ ص ٢٤٧

^٧ الديوان ج ٢ ص ٤٤

^٨ الديوان ج ٣ ص ١٨

^٩ الديوان ج ٢ ص ١٠٣

^{١٠} الديوان ج ٤ ص ٢٣٩

وأعتقد أن ذلك كان سبباً قوياً في تصويره لهذه الحالات الإنسانية المختلفة .

وهذا صراع نفسي آخر عاشه شاعرنا الكبير فعامل يدفعه إلى أن ينهب من الملذات ويغرق في ملهيات الحياة وهو ما يرى في قصور الأغنياء ومن صاحب من الملوك والأمراء والوزراء وما يدعى إليه من الشراب والنساء وغيره وعامل آخر يجره إلى البعد عن هذه الدنيا الخسيسة وهو ما في نفس المتنبي من القوة والبحث عن المعالي والبعد عن سفاسف الأمور وسأورد هنا عدداً من الشواهد من شعره .

يقول المتنبي من المديد :

يَشْغَلُنِي عَنْهَا وَعَنْ غَيْرِهَا
تَوْطِينِي النَّفْسَ لِيَوْمِ الطَّعَانِ^(١)

متحدثاً عن بطيخة من الند في مجلس أبي العشائر عليها قلادة لؤلؤ وعلى رأسها عنبر ، وقد قال في مدحته لعلي بن إبراهيم التنوخي مشيراً إلى وجوب إشغال النفس بالمعالي والبعد عن التوافه من الأمور من الوافر :

إلى كمّ ذا التخلّف والتواني
وكمّ هذا التّمادي في التّمادي
وشغلّ النفس عن طلب المعالي
بيّع الشعر في سوق الكساد^(٢)
وقد قال أيضاً من الكامل :

لأحبي أن يملأوا
وعليهم أن يبدلوا
حتى تكون الباتراً
بالصّافيات الأكوّبا
وعلي أن لا أشرب
تُ المسمعات فأطرباً^(٣)

وكان ينفر من شرب الخمر وقد قال لصديقه أبي ضبيس لما سأله الشراب من الوافر :

ألدّ من المدام الخندريس
مُعاطاة الصّفائح والعوالي
فموتي في الوغى عيشي لأني
ولو سقيتُها بيدي نديم
وأحلى من مُعاطاة الكؤوس
وإقحامي خميساً في خميسي
رأيتُ العيش في أرب النفوس
أسرُّ به لكأن أبا ضبيس^(٤)

وعلى الرغم مما أظهره كلام المتنبي السابق من مجافاته للخمر إلا أنني وجدت إشارات متعددة على تعاطيه إياها فقد قال في أبيات من أوائل شعره من الخفيف :

١ الديوان ج ٤ ص ٣٦٣

٢ الديوان ج ٢ ص ٧٧

٣ الديوان ج ١ ص ٢٣٤

٤ الديوان ج ٢ ص ٣٠٠

شُرْبُهُ مَا خَلَا ابْنَةَ الْعُنُقُودِ

مِنْ غَزَالٍ وَطَارِفِي وَتَلِيدِي^(١)

كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الدَّمَاءِ حَرَامٌ

فَاسْتَقِينَهَا فِدَى لِعَيْنَيْكَ نَفْسِي

وعلى أنني هنا يمكن أن أقول أن ذلك من اندفاعات الصبا وأنه بعد النضج والتعقل عاد وتاب عن ذلك إلا أنني وجدته يقول لأحد أصدقاءه بعد أن حلف عليه بالطلاق ليشرّب من الكامل :

لَأُعَلِّنَ بِهَذِهِ الْخُرْطُومِ

مِنْ شُرْبِهَا وَشَرِبْتُ غَيْرَ أَثِيمٍ^(٢)

وَأَخٍ لَنَا بَعَثَ الطَّلَاقَ أَلِيَّةً

فَجَعَلْتُ رَدِّي عِرْسَهُ كَفَّارَةً

وهنا يتضح أنه كان متردداً بين ما في نفسه من القوة والبعد عن التوافه إلى ما كان يُغري إليه من دعوات الأصدقاء والملوك فكانت بذلك نفسه تتردد بين هذا وذا وعاش صراعاً نفسياً قوياً .

وجملة القول أن هذه الصراعات جعلت للمتنبي قدرة عظيمة على تصوير النفس الإنسانية

في حالاتها المختلفة فنراه يرسم صورة الرجل المثالي الذي يبحث عن إحقاق الحق ، ذلك الشجاع

صاحب المهمة العالية وبالمقابل يصور الباحث عن المال اللاهث وراء الملذات ونجده ذلك الرجل

المؤمن بقضاء الله الواثق به ونراه ذلك المتبرم على القضاء الناقم على الدهر المعترض على ما يحصل

له من النكبات ، فتارة نجد همته عالية وبحثه عن المعالي وعمره ينقضي تحت غبار المعارك وسيفه

ورمحه ودرعه لا تفارقه وهنيهة نجده على الشراب متغزلاً بالجميلات فأعطت كل هذه الصراعات

قدرة فائقة للمتنبي على تصوير كل هذه الحالات الإنسانية المختلفة .

^١ الديوان ج ٢ ص ٤٣

^٢ الديوان ج ٤ ص ١٦٥

الباب الثاني

الجوانب الفنية في تصوير المتنبي للنفس الإنسانية

الفصل الأول جانب التقرير في حديث المتنبي عن النفس الإنسانية

الفصل الثاني وفيه تحدثت عن التشبيه في تصوير المتنبي للنفس الإنسانية

الفصل الثالث وتناولت فيه استخدامه للكناية والاستعارة في حديثه عن النفس الإنسانية

الفصل الرابع وتناولت فيه استخدام المتنبي للمجاز بأنواعه في حديثه عن النفس الإنسانية

الفصل الخامس وتعرضت فيه لطريقة المتنبي في التعريض والاستهزاء

الفصل السادس آراء النقاد والدارسين حول قدرة المتنبي على تصوير النفس الإنسانية

الفصل الأول

جانب التقرير في حديث المتبني
عن النفس الإنسانية

الفصل الأول : جانب التقرير في حديث المتبني عن النفس الإنسانية

قال من الخفيف :

أَحَبُّ حِمَصًا إِلَى خُنَاصِرَةٍ وَكُلُّ نَفْسٍ تُحِبُّ مَحْيَاهَا ^(١)

والمعنى : أحب حمصاً وما يليها إلى خناصرة لأنها موضع نشأتي وكل نفس تصبو إلى موطن نشأتها
وقال من الطويل :

وَقَيَّدْتُ نَفْسِي فِي ذَرَاكَ مَحَبَّةً وَمَنْ وَجَدَ الْإِحْسَانَ قَيِّدًا تَقَيَّدًا ^(٢)

والمعنى : أقمت عندك حباً لك لأنك قيدتني بإحسانك ومن أحسن إليه تقيّد بالإحسان .
وقال من الطويل :

أَرَى كُلَّنَا يَبْغِي الْحَيَاةَ لِنَفْسِهِ حَرِيصًا عَلَيْهَا مُسْتَهَامًا بِهَا صَبًّا ^(٣)

والمعنى : كل منا يطلب الحياة عاشقاً لها محباً حريصاً عليها .
وقال من الخفيف :

كُلُّ مَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الصَّعْبِ فِي الْأَنْفِ نَفْسٌ سَهْلٌ فِيهَا إِذَا هُوَ كَانَا ^(٤)

والمعنى : إنما يصعب الأمر على النفس قبل وقوعه فإذا وقع سهل وهان .
وقال من الطويل :

وَقَدْ يَتْرُكُ النَّفْسَ الَّتِي لَا تَهَابُهُ وَيَخْتَرِمُ النَّفْسَ الَّتِي تَتَهَيَّبُ ^(٥)

والمعنى : إن الموت قد يترك الشجاع المقدم ويأخذ روح الجبان الذي يهابه .
وقال من الكامل :

مَلِكٌ إِذَا عَادَيْتَ نَفْسَكَ عَادِهِ وَرَضِيْتَ أَوْحَشَ مَا كَرِهْتَ أَنْيَسَا ^(٦)

والمعنى : إن عاديتك فقد عاديت نفسك ورضيت أوحش الأشياء وهو الموت أنيساً لأنه قادر على
قتل كل الناس .

وقال من الطويل :

وَكَلُّ يَرَى طُرُقَ الشَّجَاعَةِ وَالنَّدَى وَلَكِنَّ طَبَعَ النَّفْسِ لِلنَّفْسِ قَائِدٌ ^(٧)

^١ الديوان ج ٤ ص ٤٠٧ وشرحه بحاشية الصفحة .
^٢ الديوان ج ٢ ص ١٥ وشرحه بحاشية الصفحة .
^٣ الديوان ج ١ ص ١٩٠ وشرحه بحاشية الصفحة .
^٤ الديوان ج ٤/٣٧٢ وشرحه بحاشية الصفحة .
^٥ الديوان ج ١ ص ٣١٠ وشرحه بحاشية الصفحة .
^٦ الديوان ج ٢ ص ٣٠٥ وشرحه بحاشية الصفحة .
^٧ الديوان ج ٢ ص ٣٩٩ وشرحه بحاشية الصفحة .

والمعنى : كل أحد يعرف طرق الشجاعة والكرم وإنما يسلك طريقهما من قاداته نفسه إليهما .
وقال :

وَإِذَا كَانَتِ النَّفُوسُ كِبَارًا تَعَبَتْ فِي مُرَادِهَا الْأَجْسَامُ^(١)

والمعنى : إذا عظمت الهمة تعب الجسم في مرادها .
وقال من الكامل :

الرَّأْيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشُّجْعَانِ هُوَ أَوَّلُ وَهْيِ الْمَحَلِّ الثَّانِي
فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا لِنَفْسٍ حُرَّةٍ بَلَغَتْ مِنَ الْعَلْيَاءِ كُلِّ مَكَانٍ^(٢)

والمعنى : العقل مقدم على الشجاعة والنتيجة أنه الأول والشجاعة تحل ثانية بعده ، وإذا اجتمع العقل والشجاعة لنفس أبية بلغت أعلى المراتب .
والتقرير بهذه الصورة التي مثلت له يعد من أبرز عيوب حديث المتنبى في شعره الذي حدثنا فيه عن النفس الإنسانية .

الفصل الثاني

التشبيه في تصوير المتنبي للنفس الإنسانية

الفصل الثاني : التشبيه في تصوير المتنبي للنفس الإنسانية
قال المتنبي من الكامل :

واستقبلتُ قمرَ السماءِ بوجهِها
فأرثني القمرينِ في وقتٍ معاً^(١)

^١ الديوان ج ٣ ص ٤ وشرحه بحاشية الصفحة .

فشبهه وجهها بالقمر في الوضاعة والحسن والجمال .

وقال من الطويل :

سَقَاكَ وَحَيَّانَا بِكَ اللهُ إِنَّمَا
على العيسِ نَوْرٌ والحدورُ كَمَائِمُهُ^(١)

فشبهه الحدور المشتملة على أحبته بالأكمام المشتملة على النور وشبهه حسن أحبته بالنور والأكمام جمع كم وهو وعاء النور وكان قبله قد دعا محبوبته بالسقيا رعاية لها وتمنى قربها شغفاً بها .

وقال من الكامل :

نَشَرَتْ ثَلَاثَ ذَوَائِبٍ مِنْ شَعْرِهَا
في لَيْلَةٍ فَأَرَتْ لَيَالِيَّ أَرْبَعًا^(٢)

فشبهه ذؤابة شعرها بالليل في حلوكة السواد والذؤابة خصلة من الشعر .

وقال من الطويل :

فَأَبْصَرْتُ بَدْرًا لَا يَرَى الْبَدْرُ مِثْلَهُ
وخطبتُ بَحْرًا لَا يَرَى الْعِبْرَ عَائِمُهُ^(٣)

عبر النهر : شطه فشبهه بالبدر في البهاء وبالبحر في سعة العطاء فالبدر يتعجب من بهاءه وهو بحر لا يجد العائم ساحله تمثيلاً لسعة عطاءه .

وقال من الخفيف :

أَيْنَ أَرَمَعْتَ أَيُّهَذَا الْهَمَامُ؟
نَحْنُ نَبْتُ الرَّبِيِّ وَأَنْتَ الْعَمَامُ^(٤)

المزمع : المعترم الربا : جمع ربوة وهي الأكمة

شبهه نفسه ورجال سيف الدولة بنبت الربا ونعم سيف الدولة بالغمام واختار نبت الربا لأنه من آنق النبت ولأنه يحتاج دائماً للغيث لأن الماء ينسكب عنه سريعاً .

وقال من الوافر :

لَأَكْبِتَ حَاسِدًا وَأَرَى عَدُوًّا
كَأْتُهُمَا وَدَاعِكَ وَالرَّحِيلُ^(٥)

شبه الحاسد بالوداع ووجه الشبه أن كل منهما ذو ظاهر ولا حقيقة له والعدو بالرحيل وكلاهما معلن بمكروه .

وقال من المتقارب

كَأَنَّ خَلَاصَ أَبِي وَائِلٍ
مُعَاوَدَةَ الْقَمَرِ الْإِفِلِ^(٦)

^١ الديوان ج ٤ ص ٤٨ وشرحه لأبن الأفليلي ج ١/١٦٠ طبعة مؤسسة الرسالة تحقيق د. مصطفى عليان .

^٢ الديوان ج ٣ ص ٤ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٣ الديوان ج ٤ ص ٥٨

^٤ الديوان ج ٤ ص ٦١ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٥ الديوان ج ٣ ص ١٣٦ وشرحه لأبن الأفليلي ج ١/١٧٩ .

^٦ الديوان ج ٣ ص ١٥٥ وشرحه بحاشية الصفحة .

يشبهه تخليص سيف الدولة لأبي وائل من الإسار بخروج القمر من السرار ومعاودته للإمارة بمعاودة القمر الآفل لضيائه .

وقال من المتقارب :

فَأَقْبَلَنَ يَنْحَزَنُ قُدَامَهُ نَوَافِرَ كَالنَّحْلِ وَالْعَاسِلِ^(١)

يشبهه تميب خيل سيف الدولة من الخارجي وانصرافها إلى سيف الدولة بانحياز النحل بين يدي العاسل.

وقال من الخفيف :

اخْتَرْتُ دَهْمَاءَ تَيْنِ يَا مَطْرُ وَمَنْ لَهُ فِي الْفَضَائِلِ الْخَيْرُ^(٢)

فشبهه سيف الدولة بالمطر في عموم جوده وتدفق كرمه لما خيره سيف الدولة بين فرسين دهماء وكميت فاختر الدهماء .

وقال من المتقارب :

كَأَنَّكَ مَا بَيْنَنَا ضَيْعَمٌ يُرَشِّحُ لِلْفَرَسِ أَشْبَاهَهُ^(٣)

فشبهه سيف الدولة فيما يسبق الجيش إليه من مقارعة الأبطال وما ينفرد به من منازلة الأقران بالأسد ينهج ذلك ليري أولاده ما يجب عليها فعله وليصوّر لها ما تمتلئه .

وقال من الكامل :

فَكَانَتْهَا وَالِدَمْعُ يَقْطُرُ فَوْقَهَا ذَهَبٌ بِسِمَطِي لَوْلُوٍ قَدْ رُصِّعَا^(٤)

السمط : خيط القلادة والضمير في كأنها إلى الصفرة في البيت السابق :

سَفَرَتْ وَبَرَّقَعَهَا الْفِرَاقُ بِصُفْرَةٍ سَتَرَتْ مَحَاجِرَهَا وَ لَمْ تَكُ بُرْقَعَا

شبهه صفرة وجه المحبوبة بالذهب ودموعها باللؤلؤ.

وقال من الوافر :

كَأَنَّ نِقَابَهَا غَيْمٌ رَقِيقٌ يُضِيءُ بِمَنْعِهِ الْبَدْرَ الطُّلُوعَا^(٥)

شبهه النقاب على وجهها بالغيمة الرقيق ووجهها بالبدر في البهاء والإضاءة .

وقال من الوافر :

١ الديوان ج ٣ ص ١٥٧ وشرحه بحاشية الصفحة .
٢ الديوان ج ٢ ص ١٩٣ وشرحه بحاشية الصفحة .
٣ الديوان ج ٣ ص ١٩١ وشرحه بحاشية الصفحة .
٤ الديوان ج ٣ ص ٤ وشرحه بحاشية الصفحة .
٥ الديوان ج ٢ ص ٣٥٩ وشرحه بحاشية الصفحة .

بَدَتْ قَمْرًا وَمَالَتْ خُوطَ بَانَ
وَفَاحَتْ عَنَبْرًا وَرَوَّتْ غَزَالًا^(١)

شبهه محبوبته بالقمر في الإشراق والحسن والبهاء وبغصن البان الناعم في التثني والليونة وبالعنبر في زكي الرائحة وبالغزال في الملاحاة أو في سواد المقل .
وقال من المتقارب :

كَأَنَّ الْجُفُونَ عَلَى مُقَلَّتِي
ثِيَابٌ شُقِقْنَ عَلَى ثَاكِلِ^(٢)

فشبهه حزنه بجزن الثاكل وهي من فقدت ولدها وتبعد السهر لجفونه وديمومة السهر عليه بتشقيق الثاكل الثياب حدادا .
وقال من الخفيف :

إِنَّمَا أَنَفْسُ الْأَنْبَسِ سِبَاعٌ
يَتَفَارَسُنَ جَهْرَةً وَاعْتِيَالًا^(٣)

فشبهه الصراع بين البشر بصراع السباع في حالي المواجهة أو القتل بالخدعة .
وقال من الكامل :

أَنَا صَخْرَةٌ الْوَادِي إِذَا مَا زُوْحِمْتُ
وَإِذَا نَطَقْتُ فِإِنِّي الْجَوَزَاءُ^(٤)

شبهه نفسه بصخرة الوادي في الثبات فهي تثبت أمام السيول فلا تجرفها وهو يثبت أمام محاولة إزالته عما يريد وشبهه نفسه بالجوزاء في علو المنطق وقال الواحدي " يقال إنَّ الجوزاء بيت عطارد فيكون المعنى : منِّي تستفاد البراعات ويقتبس الفضل كما أن الجوزاء تعطي من يولد فيها البراعة والنطق "
وقال من الطويل :

وَمَا أَنَا إِلَّا سَمَهْرِي حَمَلْتُهُ
فَزَيْنَ مَعْرُوضًا وَرَاعَ مُسَدَّدًا^(٥)

فشبهه نفسه بالرمح معروضاً ومسدداً ، فمعروض يعني حالة السلم فهو يمدحه ويصف معاركة ومسدداً يعني يكيد الأعداء وينافحهم ويروعهم .
وقال من الطويل :

وَدَعَّ كُلَّ صَوْتٍ غَيْرَ صَوْتِي فِإِنِّي
أَنَا الطَّائِرُ الْمَحْكِيُّ وَالْآخِرُ الصَّدَى^(٦)

فشبهه شعره بالصوت الأصلي وشعر غيره بصدى الصوت .

^١ الديوان ج ٣ ص ٣٤٠ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٢ الديوان ج ٤ ص ١٥٤ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٣ الديوان ج ٣ ص ٢٦٦ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٤ الديوان ج ١ ص ١٤٣ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٥ الديوان ج ٢ ص ١٣ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٦ الديوان ج ٢ ص ١٥ وشرحه بحاشية الصفحة .

وقال من الخفيف :

وَإِذَا اهْتَزَّ لِلنَّدَى كَانَ بَحْرًا وَإِذَا اهْتَزَّ لِلرَّدَى كَانَ نَصْلًا^(١)

فشبه سيف الدولة في كرمه بالبحر في كثرة مواهبه وعموم فواضله ، وشبهه بالسيف في نفاذ عزمه فيما يريد تحقيقه .

وقال من الطويل :

هُوَ الْبَحْرُ غُصٌّ فِيهِ إِذَا كَانَ سَاكِنًا عَلَى الدُّرِّ وَاحْدَرُهُ إِذَا كَانَ مُزِيدًا^(٢)

فهو يشبه سيف الدولة بالبحر في حالتين : ففي السكون ينفع الناس بعطاءه كمن يحصل على الدر من البحر في سكونه وأما إن جاش وقذف بالزبد فهو يحذر وكذا سيف الدولة يحذر إذا غضب كالحذر من البحر إذا جاش وقذف بالزبد .

وقال من الطويل :

وَيَقَى عَلَى مَرِّ الْحَوَادِثِ صَبْرَهُ وَيِيدُو كَمَا يِيدُو الْفِرْنِدُ عَلَى الصَّقْلِ^(٣)

والفرند : جوهر السيف ، فشبه صبر سيف الدولة على الحوادث كجواهر السيف وشبه الحوادث ومرورها بالصقل الذي يحدث للسيف فهذا الصقل يزيل الصدأ عن السيف فتظهر جودة أصله وسيف الدولة إذا امتحن بالحوادث ظهر صبره .

وقال من البسيط :

لَأَنَّ حِلْمَكَ حِلْمٌ لَا تَكَلَّفُهُ لَيْسَ التَّكْحَلُّ فِي الْعَيْنَيْنِ كَالْكَحَلِ^(٤)

فشبه حلم سيف الدولة الذي طبع عليه بالكحل وهو سواد في أجفان العين خلقة وحلم غيره المتكلف .من يكتحل فضرب التكحل والكحل مثلاً للمتكلف والمطبوع .

وقال من الطويل :

إِذَا كَانَ بَعْضُ النَّاسِ سَيْفًا لِلدَّوْلَةِ فَفِي النَّاسِ بُوقَاتٌ لَهَا وَطُبُولٌ^(٥)

فشبه سيف الدولة بمكانته وأهميته في الدولة بالسيف القاطع وشبه غيره ممن لا أهمية لهم بالبوقات والطبول فهي للتهويل ولاحظ لها في العلو والرفعة .

وقال من الطويل :

١ الديوان ج ٣ ص ٢٥١ وشرحه بحاشية الصفحة .
٢ الديوان ج ٢ ص ٤ وشرحه بحاشية الصفحة .
٣ الديوان ج ٣ ص ١٧٤ وشرحه بحاشية الصفحة .
٤ الديوان ج ٣ ص ٢١١ وشرحه بحاشية الصفحة .
٥ الديوان ج ٣ ص ٢٢٩ وشرحه بحاشية الصفحة .

أَرَى كُلَّ ذِي مُلْكٍ إِلَيْكَ مَصِيرُهُ
كَأَنَّكَ بَحْرٌ وَالْمُلُوكُ جَدَاوِلُ^(١)

فشبه سيف الدولة في سعة ملكه بالبحر وبقية الملوك في خضوعهم له بالجداول الصغيرة التي مآلها إلى البحر كمال الملوك جميعاً إلى سيف الدولة .

وقال من الطويل :

فَذَا الْيَوْمِ فِي الْأَيَّامِ مِثْلَكَ فِي الْوَرَى
كَمَا كُنْتَ فِيهِمْ أَوْحَدًا كَانَ أَوْحَدًا^(٢)

فشبه سيف الدولة بيوم العيد في تميزه عن بقية الناس وفضله وما خُصَّ به من الفضل كيوم العيد وما خُصَّ به من شرف في الإسلام .

وقال من الطويل :

لَقَدْ لَعِبَ الْبَيْنُ الْمُشْتِ بِهَا وَبِي
وَزَوَّدَنِي فِي السَّيْرِ مَا زَوَّدَ الضَّبَّ^(٣)

فشبه نفسه بعد فراق حبيبته بحال الضب في الحيرة وعدم الاهتداء إلى الطريق الصواب والعرب تضرب المثل بالضب فتقول أحير من ضب .

وقال من الكامل :

وَبَسْمَنَ عَنْ بَرْدٍ خَشِيتُ أُذْيِيَهُ
مِنْ حَرِّ أَنْفَاسِي فَكُنْتُ الذَّائِبَا^(٤)

فشبه الأسنان لنقائها بالبرد فذكر المشبه به وحذف المشبه فقد خاف على محبوبته أن يذوب من حر أنفاسه فلما رحل المحبوب ذاب هو من الشوق .

وقال من الوافر :

يَهْزُ الْجَيْشُ حَوْلَكَ جَانِبِيهِ
كَمَا نَفَضَتْ جَنَاحِيهَا الْعُقَابُ^(٥)

يشبه المتنبي صورة جنابي الجيش ميمنته وميسرته وسيف الدولة بينهما وما فيها من حركة واضطراب بصورة عقاب تنفض جناحيها وتحركها ووجه الشبه منتزع من متعدد وهو وجود جانبيين لشيء في حال حركة وتموج .

وقال من الكامل :

فَعَلَتْ بِنَا فِعْلَ السَّمَاءِ بِأَرْضِيهِ
خَلَعَ الْأَمِيرَ وَحَقَّهُ لَمْ تَقْضِيهِ^(٦)

^١ الديوان ج ٣ ص ٢٣٦ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٢ الديوان ج ٢ ص ٨ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٣ الديوان ج ١ ص ١٨٥ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٤ الديوان ج ١ ص ٢٥١ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٥ الديوان ج ١ ص ٢٠٥ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٦ الديوان ج ٣ ص ٣٢٦ وشرحه بحاشية الصفحة .

أي زانتنا خلع الأمير بوشيهما ونضارتما كما زينت السماء أرضه بالنبات ولم نقض حق الأمير بعد مشبها أثر الخلع عليهم بأثر السماء على الأرض بالنبات الذي جملها .

وقال من الطويل :

إذا الدَّوْلَةُ استكفَّتْ بهِ في مُلِمَّةٍ كفاها فكانَ السِّيفَ والكَفَّ والقَلْبَا (١)

إذا استعانت الدولة بسيف الدولة كفاها مشبهاً دور سيف الدولة في إدارة الجيش وقيادته بفعل الشجاع قوي الكف صاحب القلب الشجاع المجترئ على الأهوال .

وقال من الوافر :

فإن تُفُقِ الأنامَ وأنتَ مِنْهُمُ فإنَّ المسكَ بعضُ دمِ الغزالِ (٢)

يقول لسيف الدولة لا عجب إن فضلت الناس وأنت واحد منهم فإن بعض الشيء قد يفوق جملة كالمسك فإنه بعض دم الغزال وهو يفضله ويسمى هذا تشبيهاً ضمناً .

وقال من الكامل :

وإذا أشارَ مُحدِّثًا فكأنَّهُ قَرْدٌ يُقَهِّقُهُ أو عَجوزٌ تَلْطِمُ (٣)

فشبه حديث ابن كيغلق بقهقهة القرد وشبه إشارته بلطم العجوز وذلك لعيه وعدم فهمه .

الفصل الثالث

الكناية في تصوير المتنبي للنفس الإنسانية

الفصل الثالث : الكناية

أولاً : الكنايات في تصوير المتنبي للنفس الإنسانية

قال المتنبي من البسيط :

وَمُرْهَفٍ سَرْتُ بَيْنَ الْجَحْفَلَيْنِ بِهِ

حتى ضَرَبْتُ وَمَوْجُ الْمَوْتِ يَلْتَطِمُ^(١)

^١ الديوان ج ٤ ص ٨٥ وشرحه بحاشية الصفحة .

يقول المتنبّي ضربت بسيف مرهف بين الفئتين المتقابلتين في الحرب واقتحمت المعركة والموت يلتطم موجه وهذا كناية عن شجاعته .

وقال من البسيط :

قد زُرْتُهُ وَسَيْوْفُ الْهِنْدِ مُعَمَّدَةٌ وَقَدْ نَظَرْتُ إِلَيْهِ وَالسَّيْوْفُ دَمٌ^(١)

فالشطر الأول كناية عن مخالطته لسيف الدولة في السلم والشطر الثاني كناية عن مخالطته له في الحرب

وقال من البسيط :

أَنَا الَّذِي نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى أَدْبِي وَأَسْمَعَتْ كَلِمَاتِي مَنْ بِهِ صَمَمٌ^(٢)

وهذا كناية عن سيرورة شعره إلى كل الآفاق ووصوله لكل الناس .

وقال من الطويل :

تَسَاوَتْ بِهِ الْأَقْطَارُ حَتَّى كَأَنَّهُ يُجَمِّعُ أَشْتَاتَ الْجِبَالِ وَيَنْظُمُ^(٣)

القتير : الغبار

تساوت بهذا الجيش العجاجات فصار ما يثور منها في الجبل الصلد كالذي يثور في الأرض الرخوة وهذا كناية عن كثرة الجيش وقوته .

وقال من الطويل :

تَجَمَّعَ فِيهِ كُلُّ لِسْنٍ وَأُمَّةٍ فَمَا يُفْهَمُ الْحُدَاثَ إِلَّا التَّرَاجِمُ^(٤)

كناية عن كثرة الجيش واشتماله على عدد هائل من الأمم حتى احتيج إلى مترجمين ليفهم الناس على بعضهم .

وقال من البسيط :

صَحِبْتُ فِي الْفَلَوَاتِ الْوَحْشَ مَنْفَرِدًا حَتَّى تَعَجَّبَ مِنِّي الْقَوْرُ وَالْأَكَمُ^(٥)

وفيه كنايةان الأولى عن شجاعته والأخرى عن خبرته بالصحراء .

وقال من الطويل :

^١ الديوان ج ٤ ص ٨١ وشرحه بحاشية الصفحة .
^٢ الديوان ج ٤ ص ٨٣ وشرحه بحاشية الصفحة .
^٣ الديوان ج ٤ ص ٧٥ وشرح البيت بشرح ابن الأثير ج ١ / ٣١٩ .
^٤ الديوان ج ٤ ص ١٠٠ وشرحه بحاشية الصفحة .
^٥ الديوان ج ٤ ص ٨٦ وشرحه بحاشية الصفحة .

وَمَا فُضَّ بِالْبَيْدَاءِ عَنْهُ خِتَامٌ^(١)

تَضْيِيقُ بِهِ الْبَيْدَاءُ مِنْ قَبْلِ نَشْرِهِ

وهو كناية عن كثرة الجيش .

وقال من الكامل :

بَرَزْتُ غَيْرَ مُعَثِّرٍ بِحِبَالِهِ^(٢)

وَإِذَا تَعَثَّرَتِ الْجِيَادُ بِسَهْلِهِ

فكّني " بالسهل " عمّا قرب من الكلام وبالجبال عما غمض من الكلام وقد بلغ بهذا الدروة العالية في الفصاحة والبلاغة .

وقال من الطويل :

هُوَ كَاسِرٌ كَفِّي وَقَوْسِي وَأَسْهُمِي^(٣)

رَمَى وَأَتَقَى رَمِيٍّ وَمَنْ دُونَ مَا أَتَقَى

يقول رماني سيف الدولة بما أظهره من تقصير في حقي واتقى أن أرميه بالذم لفعله ومن دون ما حذره واتقاه هوى مني له صادق يكسر القوس التي أرمي بها والكف التي أحمل بها القوس والسهم الذي أرسله وكنى بالقوس والكف والسهم عن النية والقول والفعل .

وقال من البسيط :

تَصَافَحَتْ فِيهِ بِيضُ الْهِنْدِ وَاللِّمَمِ^(٤)

أَمَا تَرَى ظَفَرًا حُلُومًا سِوَى ظَفَرِ

اللمم : الشعر الذي ألم بالمناكب وتصافح السيوف واللمم كناية عن جذ الرقاب عن أجسادها وهذا أحسن نصر عند سيف الدولة .

وقال من البسيط :

وَيَسْهَرُ الْخَلْقُ جَرَّاهَا وَيَخْتَصِمُ^(٥)

أَنَامَ مِلءَ جُفُونِي عَنْ شَوَارِدِهَا

فالشطر الأول كناية عن سهولة قول الشعر عنده والثاني كناية عن مكانة هذا الشعر عند الناس .

وقال من المتقارب :

وَمَنْ عَرَقَ الرَّكْضَ فِي وَابِلِ^(٦)

خَرَجَنَ مِنَ التَّقَعِ فِي عَارِضِ

يحدث عن خيل سيف الدولة حيث خرجت للحرب فكانت من الغبار في سحاب ومن العرق في مطر وهذا كناية عن شدة الطّلاب .

^١ الديوان ج ٤ ص ١١٣ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٢ الديوان ج ٣ ص ١٨٣ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٣ الديوان ج ٤ ص ٢٦٤ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٤ الديوان ج ٤ ص ٨٢ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٥ الديوان ج ٤ ص ٨٤ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٦ الديوان ج ٣ ص ١٥٤/ وشرحه بحاشية الصفحة .

وقال من البسيط :

ما كان نومي إلا فوق معرفتي
بأن رأيك لا يؤتى من الزلل^(١)
فكفي بالنوم عن سكون النفس فقال لم تسكن نفسي إلا ثقة بأن كلام الواشين والحساد لن يأتي
بما يريدون ويخططون .

وقال من البسيط :

نامت نواطير مصر عن تعالبيها
فقد بشمن وما تفنى العناقيد^(٢)
فكفي بالثعالب عن العبيد وكفي بالعناقيد عن الفوائد والخيرات مخبراً عن الحراس عن فوائد مصر
نتيجة كثرة الأكل عدم حمايتها من العبيد مؤكداً أن هذا سيستمر لأن فوائد مصر كثيرة وخيراتها
لا تنتهي .

وقال من الوافر :

فمساهم وبسطهم حرير
ومن في كفهم منهم قناة
وصبحهم وبسطهم تراب
كمن في كفهم منهم خضاب^(٣)
فالمتني يصف سيف الدولة بعد هزيمه لبني كلاب وقد كنى بكون بسطهم حرير عن سيادتهم
وعزتهم وبكون بسطهم تراب عن حاجتهم وذلمهم وكنى بمن يحمل قناة عن الرجال ومن في كفهم
خضاب عن النساء وقد أعطت الكناية سعة للفكر في أن يذهب كل مذهب في سطوة سيف
الدولة الذي تساوت قوة الرجال وضعف النساء أمامه .

الفصل الرابع

الاستعارة في تصوير المتنبي للنفس الإنسانية

الفصل الرابع : الاستعارة في تصوير المتنبي للنفس الإنسانية :

قال المتنبي من الطويل :

وأحسنُ من ماءِ الشَّيْبَةِ كُلِّهِ

حيًا بارقٍ في فَازَةٍ أنا شَائِمُهُ^(١)

^١ الديوان ج ٤ ص ٥٢ وشرحه بحاشية الصفحة .

استعار الحيا وهو الغيث لكرم سيف الدولة الذي جعله يخلف السحاب بكرمه حيث جعل هذا الكرم أحسن من ماء الشبيبة الذي اجتمع الناس على الكلف بوقته والأسف لفقده فالمتنبي منتظر دائم لهذا العطاء .

وقال من الطويل :

سَلَكْتُ صُرُوفَ الدَّهْرِ حَتَّى لَقَيْتُهُ عَلَى ظَهْرِ عَزْمٍ مُؤَيَّدَاتٍ قَوَائِمُهُ^(١)

يذكر المتنبي عن نفسه أنه سلك صروف الدهر بتقلبه فيها واستعار الدابة للعزم وحذفها وأبقى الظهر وهو من لوازمها حيث أنه جعل عزمه مركوبه إلى سيف الدولة ولما جعله مركوبه استعار له ظهراً وقوائمه وجعلها مؤيدات أي قويات .

وقال من المتقارب :

وَأُنَبِّتُ مِنْهُمْ رَبِيعَ السَّبَاعِ فَأَتُنْتُ بِإِحْسَانِكَ الشَّامِلِ^(٢)

ربيع السباع هو كثرة قتلى المعركة واستعار الإنبات لكثرة ظهور القتل في أعدائه حتى أن السباع لو كان لها أن تتحدث لشكرت لسيف الدولة ذلك .

وقال من الطويل :

وَرِيعَ لَهُ جَيْشُ العَدُوِّ وَمَا مَشَى وَجَاشَتْ لَهُ الحَرْبُ الضَّرُوسُ وَمَا تَغَلَى^(٣)

جاشت القدر أي غلت فاستعار ذلك لاشتداد القتال في الحرب حيث فزع جيش العدو من سيف الدولة وهو في سن من لا يمشي لصغره وغلت الحرب لاعتدادها به وبما يصنع فيها من جذ رقاب أعدائه .

وقال من الكامل :

وَإِذَا تَعَثَّرَتِ الجِيَادُ بِسَهْلِهِ بَرَزْتُ غَيْرَ مُعْتَرٍ بِحِبَالِهِ^(٤)

استعار الجياد للقريحة والشاعرية مخبراً عن قدرته على غوامض القول وبدائع الشعر حال عجز غيره في حضره سيف الدولة عن ذلك .

وقال من الخفيف :

وَخَوْضِهِ غَمْرَ كُلِّ مَهْلَكَةٍ لِلذَّمْرِ فِيهَا فُوَادُ رِعْدِيدِ^(٥)

الغمر : مجتمع الماء والذمر : الشجاع والرعديد : الجبان

^١ الديوان ج ٤ ص ٥٨ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٢ الديوان ج ٣ ص ١٦١ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٣ الديوان ج ٣ ص ١٧٦ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٤ الديوان ج ٣ ص ١٨٣ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٥ الديوان ج ١ ص ٣٨٥ وشرحه بحاشية الصفحة .

استعار الغمر للحرب الشديدة القوية ووصف سيف الدولة بخوضه — هذه لحرب الضروس التي يكون فيها قلب الشجاع الجريء كقلب الجبان — بكل اطمئنان وثقة بانتصاره على أعدائه .
وقال من الخفيف :

تَهَبُّ فِي ظَهْرِهَا كَتَائِبُهُ هُبُوبَ أُرْوَاحِهَا الْمَرَاوِدِ^(١)

فالضمير في [ظهرها] للبيد المذكورة في البيت السابق فاستعار للبيد الدابة وحذفها وأبقى من لوازمها الظهر ليدل على انتشار جيوش سيف الدولة فهي كثيرة تعم البيد كما تعمها الرياح عند هبوبها .

وقال من الطويل :

تَعْرَضَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الدَّهْرَ كُلَّهُ يُطَبِّقُ فِي أَوْصَالِهِ وَيُصَمِّمُ^(٢)

التطبيق : إبانة القطع والتصميم : النفاذ في الأمر فاستعار التطبيق والتصميم للتحكم والاستيلاء على الأمور حيث أحكام سيف الدولة نافذة على الجميع .

وقال من الطويل :

وَكُو زَحَمَتَهَا بِالْمَنَاكِبِ زَحْمَةً دَرَّتْ أَيُّ سَوْرِبِهَا الضَّعِيفُ الْمُهْدَمِ^(٣)

فخيل سيف الدولة تراحم بمناكبها سور المدينة الذي يتهدم في نهاية الأمر فجعل للخيل سوراً على سبيل الاستعارة .

وقال من البسيط :

رَضِيَتْ مِنْهُمْ بِأَنْ زُرْتَ الْوَعْيَ فَرَأَوْا وَأَنْ قَرَعْتَ حَبِيكَ الْبَيْضِ فَاسْتَمَعُوا^(٤)

الحبيك : جمع حبيكة وهي طريق في الماء من أثر الرياح واستعار ذلك في البيض ويقول مادحاً سيف الدولة بالشجاعة رضيت من فرسانك أن ينظروا إليك فقط وأن تصلى الحرب وأن تفرع حبيك الروم بجلاذك ويستمعون إلى ذلك حيث أقدمت لشجاعتك وأحجموا .

وقال من الطويل :

تُنَكِّسُهُمُ وَالسَّابِقَاتُ جِبَالَهُمْ وَتَطْعَنُ فِيهِمْ وَالرَّمَاخُ الْمَكَايِدُ^(٥)

فاستعار التنكيس للاستنزاع من على الخيل وجعل اعتصامهم بالجبال ركوباً لها كالخيل واستعار الطعن للتدبير والخطبة فهي تصدع قلوب أعدائه .

^١ الديوان ج ١ / ٣٨٩ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٢ الديوان ج ٤ / ٦٩ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٣ الديوان ج ٤ / ٧٧ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٤ الديوان ج ٢ ص ٣٤٢ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٥ الديوان ج ١ ص ٣٩٦ وشرحه بحاشية الصفحة .

وقال من الطويل :

عَصَفْنَ بِهَمْ يَوْمَ اللُّقَانِ وَسُقْنَهُمْ
بِهَنْرِيْطٍ حَتَّى اَبْيَضَ بِالسِّيِّ اَمِدٌ^(١)

اللقدان وهنريط : موضعان في بلاد الروم وعصفت الريح بالشيء إذا اقتلعتة واشتد ذهابها به
فاستعار ذلك لخيل سيف الدولة التي فتحت هذه الحصون .

وقال من البسيط :

وَمُرْهَفٍ سَرْتُ بَيْنَ الْجَحْفَلَيْنِ بِهِ
حَتَّى ضَرَبْتُ وَمَوْجُ الْمَوْتِ يَلْتَطِمُ^(٢)

فاستعار الموج لشدة المعركة وقوة المحالدة مدلاً على شجاعته .

وقال من الطويل :

وما لي إذا ما اشتقتُ أبصرتُ دونهُ
تَنَائِفَ لَا أَشْتَاقُهَا وَسَبَّاسِبَا^(٣)

والتنائف والسباسب هي القفار واستعارها للعوائق وحجب المخافة التي تحول بينه وبين سيف
الدولة فأعطى للمعنى قوة هائلة في الدلالة .

وقال من الطويل :

وَأَقْبَلَ يَمْشِي فِي الْبِساطِ فَمَا دَرَى
إِلَى الْبَحْرِ يَسْعَى أَمْ إِلَى الْبَدْرِ يَرْتَقِي^(٤)

يصف حال رسول الروم داخلاً على سيف الدولة مستعيراً البحر للدلالة على كرمه والبدر للدلالة
على وضاعة وجهه ورفعته شأنه وقد أعطت الاستعارتان أعظم الأثر في نفوس سامعيه وقارئيه
شعره حيث دلل على عظيم هيبة سيف الدولة وواسع كرمه .

وقال من الطويل :

إِذَا مَا لَبِسْتَ الدَّهْرَ مُسْتَمْتِعاً بِهِ
تَخَرَّقْتَ وَالْمَلْبُوسُ لَمْ يَتَخَرَّقِ^(٥)

فاستعار اللبس والتخرق للعيش والبلى فالدهر يبلى من لبسه ويخلق من صحبه .

وقال من الطويل :

أما في النَّجْمِ السَّائِرَاتِ وَغَيْرِهَا
لِعَيْنِي عَلَى ضَوْءِ الصَّبَاحِ دَلِيلٌ^(٦)

السرى : مشي الليل فاستعار ذلك للنجوم يقول ذلك مشتكياً من طول سهره وما قاسى من شدة
الكمد باحثاً عن الصباح وتدانيه وانصراف الليل .

^١ الديوان ج ٢ ص ٣٩٧ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٢ الديوان ج ٤ ص ٨٥ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٣ الديوان ج ١ ص ١٩٩ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٤ الديوان ج ٣ ص ٥٦ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٥ الديوان ج ٣ ص ٥١ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٦ الديوان ج ٣ ص ٢١٩ وشرحه بحاشية الصفحة .

وقال من الطويل :

وَرُعِنَ بِنَا قَلْبَ الْفُرَاتِ كَأْتَمَا تَخِرُّ عَلَيْهِ بِالرَّجَالِ سُبُولُ^(١)

فجعل للنهر قلباً يصيبه الروح على سبيل الاستعارة وكذا السيل لمواكب الرجال فدل بذلك على كثرة الجيش وقوة بأسه .

وقال من الطويل :

أَغْرَسَكُمْ طَوْلُ الْجِيُوشِ وَعَرَضُهَا عَلَيَّ شَرُوبٌ لِلجِيُوشِ أَكُولُ^(٢)

فاستعار الشرب والأكل للقضاء والإتلاف فسيف الدولة عنده جيوش الروم كالغذاء الذي يتقوت به .

وقال من الطويل :

إِذَا مَطَّرَتْ مِنْهُمْ وَمِنْكَ سَحَائِبُ فَوَابِلُهُمْ طَلٌّ وَطَلُّكَ وَابِلُ^(٣)

فاستعار السحاب للعطاء والطل والوابل للقليل والكثير مشيراً إلى أن الملوك لا يبلغون جود سيف الدولة .

وقال من الطويل :

خَمِيسٌ بِشَرْقِ الْأَرْضِ وَالْغَرْبِ زَحْفُهُ وَفِي أُذُنِ الْجَوْزَاءِ مِنْهُ زَمَازِمُ^(٤)

فهذا جيش عظيم عم الأرض بزحفه حتى أن دوي الأصوات بلغ الجوزاء التي استعار لها أذناً مشيراً بذلك لكثرة الأصوات وقطعها أبعد المسافات .

وقال من الطويل :

تَعَطَّفُ فِيهِ وَالْأَعِنَّةُ شَعْرُهَا وَتَضْرَبُ فِيهِ وَالسِّيَاطُ كَلَامُ^(٥)

يقول عن خيله أنها مؤدبة إذا قيدت بشعرها انقادت وإذا زجرت سابقت متبارية واستعار سياط الكلام للزجر .

وقال من الطويل :

حُرُوفٌ هِجَاءِ النَّاسِ فِيهِ ثَلَاثَةٌ: جَوَادٌ وَرُمَحٌ ذَابِلٌ وَحَسَامُ^(٦)

١ الديوان ج ٣ ص ٢٢٤ وشرحه بحاشية الصفحة .
٢ الديوان ج ٣ ص ٢٢٨ وشرحه بحاشية الصفحة .
٣ الديوان ج ٣ ص ٢٣٦ وشرحه بحاشية الصفحة .
٤ الديوان ج ٤ ص ١٠٠ وشرحه بحاشية الصفحة .
٥ الديوان ج ٤ ص ١١٠ وشرحه بحاشية الصفحة .
٦ الديوان ج ٤ ص ١١٣ وشرحه بحاشية الصفحة .

متحدثاً عن جيش سيف الدولة بأن أركانه جواد ينهض فارسه ورمح يتقدم حامله وحسام يصول صاحبه مستعيراً هجاء الناس لما أعدّه سيف الدولة من إخافة أعدائه وحرهم .
وقال من الوافر :

فَقَرَّحَتِ الْمَقَاوِدُ ذَفْرِيَّهَا وَصَعَّرَ خَدَّهَا هَذَا الْعِدَارُ^(١)

الذفرى : العظم الشاخص خلف الأذن والضمير في ذفريها وخدها لقبيلة نزار وقد استعار لها الإبل المذلة والخيول المرتاضة وحذفها وأبقى من لوازمها المقاوود والخذ مشيراً إلى ما أحاط بنزار من سلطان سيف الدولة الذي ضبط نافرهما وقمع مخالفها .
وقال من الخفيف :

وَقَتَلْتَ الزَّمَانَ عِلْمًا فَمَا يُعْ رَبُّ قَوْلًا وَلَا يُجَدِّدُ فِعْلًا^(٢)

فاستعار القتل للإحاطة بوجوه التصرف مخبراً عن سعة علم سيف الدولة فلا جديد يستغربه ولا فعل يتهيبه مما يأتي من طوارق الدهر .
وقال من البسيط :

فَلَا تَنْلِكَ اللَّيَالِي، إِنْ أَيْدِيهَا إِذَا ضَرَبْنَ كَسْرَنَ النَّبَعِ بِالْعَرَبِ^(٣)

يدعو لسيف الدولة بأن لا تصيبه الليالي بمكروه وجعل لليالي أيدياً على سبيل الاستعارة فهي تكسر الأقوى بالأضعف .
وقال من الطويل :

وَيَذْكُرُنِي تَحْيِيظُ كَعْبِكَ شَقَّهُ وَمَشِيكَ فِي ثَوْبٍ مِنَ الزَّيْتِ عَارِيًا^(٤)

يقول لكافور يذكرني تحييط كعبك بشقوقه فيما كنت عليه زمان عبوديتك ومشيك عارياً في ثوب من الزيت الذي كنت تدهن به واستعار الثوب للدلالة على كثرة الأدهان بالزيت وشمول ذلك لكل الجسم .
وقال :

وَأَنَّ ذَا الْأَسْوَدَ الْمُثْقَبَ مَشْفَرُهُ تُطِيعُهُ ذِي الْعَضَارِيطِ الرَّعَادِيدِ^(٥)

العضاريط : الذين يخدمون بطونهم والرعايد : الجبناء

١ الديوان ج ٢ ص ٢٠٤ وشرحه بحاشية الصفحة .
٢ الديوان ج ٢ ص ٢٠٤ وشرحه بحاشية الصفحة .
٣ الديوان ج ١ ص ٢٢٣ وشرحه بحاشية الصفحة .
٤ الديوان ج ٤ ص ٤٣٣ وشرحه بحاشية الصفحة .
٥ الديوان ج ٢ ص ١٤٥ وشرحه بحاشية الصفحة .

المشفر : من الإبل بمترلة الشفة في الإنسان وأخذة على سبيل الإستعارة للدلالة على غلظ شفة كافور وقبح منظرها فهو يبدي استغرابه من طاعتهم لكافور على الرغم من كونه من أهل الغباوة وجفافة السودان .

وقال من البسيط :

لأنَّ حِلْمَكَ حِلْمٌ لَا تَكَلَّفُهُ ليسَ التَّكْحَلُ فِي الْعَيْنَيْنِ كَالكَّحْلِ (١)

فحلم سيف الدولة طبع فيه وهو ليس تكلفاً كحلم غيره وجاء بهذه الاستعارة التمثيلية فقد شبه من يفعل الشيء تطبعاً وليس ذلك من طبعه بصورة من يتكحل طلباً للكحل وهو سواد في أجفان العين خلقة بجامع البحث عما ليس في الإنسان عن طريق الاستعارة التمثيلية .

وقال من البسيط :

تَرْنُو إِلَيَّ بِعَيْنِ الطَّيِّبِ مُجْهَشَةً وَتَمْسَحُ الطَّلَّ فَوْقَ الْوَرْدِ بِالْعَنَمِ (٢)

حيث تمثلت له محبوبته طيبة تنظر إليه وهي حيرى تمسح طلاً فوق خدها بأصابعها وهي كالعنم ليناً وحمرةً وهنا سما المتني بخياله فرأى الطل يسقط على الورد فاستعاره لدموع محبوبته المتساقط على خدها ورأى في شجر العنم لئب الأغصان ومحمراً صورة أصابع محبوبته وبذا سمت الاستعارة بمعنى هذا البيت وذهبت به كل مذهب في خيال الشاعر المبدع .

الفصل الخامس

المجاز بأنواعه

الفصل الخامس : المجاز بأنواعه

قال المتنبي من الطويل :

وَيَقْتُلُ مَا تَحِيي التَّبَسُّمُ وَالْجَدَا^(١) وَتُحْيِي لَهُ الْمَالَ الصَّوَارِمُ وَالْقَنَا

الجداء : الإعطاء ، فجعل الزيادة والوفور حياة للمال وتفريقه في العطاء قتلاً له ثم أثبت الإحياء فعلاً للصوارم والقتل فعلاً للتبسم مع أن كلاً منهما لا يصح منه الفعل والعلاقة هنا السببية وقد أعطى المجاز روعة لمعنى الشاعر وسعة في وصف سيف الدولة بغاية الكرم ومنتهاه .

^١ الديوان ج ٢ ص ٤ وشرحه بخاشية الصفحة .

وقال من الطويل :

وَمِنْ نَكَدِ الدُّنْيَا عَلَى الْحُرِّ أَنْ يَرَى
عَدُوًّا لَهُ مَا مِنْ صَدَاقَتِهِ بُدُّ^(١)

النكد : قلة الخير وقد نسب النكد إلى الدنيا وهو ليس منها وهذا مجاز عقلي علاقته الزمانية فالدنيا زمن للنكد والمسرة وهذا أعطى هذا المجاز شمولاً وروعة لهذا البيت فالإنسان لا يجد أحياناً مندوحة من إظهار الصداقة لبعض أعدائه مع علمه بعداوتهم له ليأمن شرهم ويدفع عن نفسه خطرهم .

وقال من الكامل :

وَالهَمْ يَخْتَرِمُ الْجَسِيمَ نَحَافَةً
وَيُشِيبُ نَاصِيَةَ الصَّبِيِّ وَيُهْرِمُ^(٢)

يقول : إنَّ الحزن إذا استولى على المرء أذهب جسم العظيم الجسد وهزله حتى يأتي عليه الهزال ويشيب الصبي قبل الأوان حتى يصير كالمهرم من الضعف وقد أتى بمجاز عقلي رائد في نسبة النحافة إلى الهرم والشيب إليه وهذا المجاز علاقته السببية إذ الهرم سبب للنحافة والشيب وقد أعطى هذا المجاز إبداعاً في البيت حيث جسّد هذا الخطر الكبير الذي يصيب الإنسان من الحزن في صورة رائعة .

وقال من الطويل :

وَكُلُّ امْرِئٍ يُولِي الْجَمِيلَ مُحَبَّبٌ
وَكَلُّ مَكَانٍ يُنْبِتُ الْعِزَّ طَيِّبٌ^(٣)

العز ينبت في المكان ولا ينبت المكان إذا فهو مجاز عقلي علاقته المكانية ، يقول إنما أحببتك لما أسديت إليّ من الجميل وطابت لي الإقامة بأرضك لما ألفت فيها من العز وقد أعطى هذا المجاز الفسحة للعقل بأن يذهب بالتفكير كل مذهب في هذه الأرض التي تنبت العز فهي أصل لكل عز إذاً .

وقال من المتقارب :

فَهَمَّتْ الْكِتَابَ أَبْرَ الْكُتُبِ
فَسَمِعًا لِأَمْرِ امْرِئِ الْعَرَبِ^(٤)

وفهمت الكتاب أي معناه وهو مجاز مرسل علاقته الدالية أي دلالة الشيء على شيء آخر .

وقال من الوافر :

لِعَيْنِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْكَ حَظٌّ
تَحِيرُ مِنْهُ فِي أَمْرِ عَجَابِ

١ الديوان ج ٢ ص ٩٣ وشرحه بحاشية الصفحة .
٢ الديوان ج ٤ ص ٢٥١ وشرحه بحاشية الصفحة .
٣ الديوان ج ١ ص ٣٠٨ وشرحه بحاشية الصفحة .
٤ الديوان ج ١ ص ٢٥٥ وشرحه بحاشية الصفحة .

حِمَالَةٌ ذَا الْحُسَامِ عَلَى حُسَامٍ وَمَوْقِعُ ذَا السَّحَابِ عَلَى سَحَابٍ^(١)
فقد استعمل كلمة حسام الثانية في غير معناها الأصلي لعلاقة المشابهة في تحمل الأخطار والقرينة
حالية في هذا المجاز اللغوي وكذلك كلمة سحاب الثانية لأنه أراد بها المشابهة في الكرم بينه وبين
السحاب والقرينة حالية أيضاً .
وقال من الوافر :

فَإِنْ أَمْرَضُ فَمَا مَرِضَ اصْطِبَارِي وَإِنْ أَحْمَمَ فَمَا حُمَّ اعْتِزَامِي^(٢)
وفيه مجاز لغوي فالاصطبار لا يمرض والاعتزام لا يحمّ ، فشبه قلة الصبر بالمرض لما في كل من
الدلالة على الضعف وشبه انحلال العزم بالإصابة بالحمى لما في كل من التأثير السيئ والقرينتان
لفظيتان هما اصطباري واعتزامي .
وقال من البسيط :

وَالْأَعْوَجِيَّةُ مِلءُ الطَّرْقِ خَلْفَهُمْ وَالْمَشْرِقِيَّةُ مِلءُ الْيَوْمِ فَوْقَهُمْ^(٣)
ففيه مجاز مرسل في قوله ملاء اليوم يريد ملاء الفضاء الذي يشرق عليه النهار وعلاقته الحالية
والأعوجيّة هي الخيل المنسوبة إلى أعوج وهو فرس كريم لبني هلال والمنتبي أفاد من هذا المجاز سعة
في وصف جيش سيف الدولة في إحاطته بأعدائه وقد برع في ذلك .
وقال من الطويل :

رَأَيْتُكَ مَحْضَ الْحِلْمِ فِي مَحْضِ قُدْرَةٍ وَلَوْ شِئْتَ كَانَ الْحِلْمُ مِنْكَ الْمَهْنَدًا^(٤)
ففي كلمة المهند مجاز مرسل لأنه أراد الحرب فهو يقول بأن سيف الدولة خالص الحلم في قدرة
خالصة لا يشوبها عجز ولو شاء أن يجعل الحرب مكان الحلم لفعل .
وقال من الطويل :

وَيَمْشِي بِهِ الْعُكَازُ فِي الدَّيْرِ تَائِبًا وَمَا كَانَ يَرْضَى مَشْيَ أَشْقَرٍ أَجْرَدًا^(٥)
فالعكاز لا يمشي وإنما يسير صاحب العكاز وفيه مجاز عقلي لأن العكاز سبب في المشي لذا أسند
الفعل يمشي إليه وقد أعطى جمالاً وبعداً لهذا التصوير ، فملك الروم بعد هزيمته من سيف الدولة
أصبح يمشي في الدير تائباً من الحرب بعد أن كان لا يرضى مشي الجواد الأشقر وهو أسرع الخيل
عند العرب .

١ الديوان ج ١ ص ١٧١ وشرحه بحاشية الصفحة .
٢ الديوان ج ١ ص ٢٧٩ وشرحه بحاشية الصفحة .
٣ الديوان ج ٤ ص ١٣٩ وشرحه بحاشية الصفحة .
٤ الديوان ج ٢ ص ١١ وشرحه بحاشية الصفحة .
٥ الديوان ج ٢ ص ٦ وشرحه بحاشية الصفحة .

الفصل السادس

طريقة المتنبي في التعريض والاستهزاء

الفصل السادس : طريقة المتنبي في التعريض والاستهزاء

التعريض : هو إمالة الكلام عن معناه الوصفي الحقيقي إلى معنى آخر مراد^(١)، وقد أكثر المتنبي من استخدام التعريض وخاصة في السيفيات والكافوريات وسأعرض لشواهد متعددة من أبياته على النحو التالي :

يقول في قصيدته الميمية معرضاً بسيف الدولة من البسيط :

يَا مَنْ يَعِزُّ عَلَيْنَا أَنْ نُفَارِقَهُمْ	وجدأنا كلَّ شيءٍ بعدكم عدمٌ
مَا لَئِنْ أَحَلَقْنَا مِنْكُمْ بِتَكْرِمَةٍ	لَوْ أَنَّ أَمْرَكُمْ مِنْ أَمْرِنَا أَمٌّ
إِنْ كَانَ سَرَّكُمْ مَا قَالَ حَاسِدُنَا	فَمَا جُرْحُ إِذَا أَرْضَاكُمْ أَلَمٌ
وَبَيْنَنَا لَوْ رَعَيْتُمْ ذَاكَ مَعْرِفَةٌ	إِنَّ الْمَعَارِفَ فِي أَهْلِ النَّهْيِ ذِمٌّ ^(١)

^١ المعجم المفصل في الأدب للدكتور محمد التتوخي ، ج ١ ص ٢٦٧

والمعنى في البيت الأول : يا من يعز علينا مفارقته بما أسلف إلينا من فضله حتى صار لا يخلفه أحد في مكانته عندنا .

ثم أتى بالتعريض في البيت الثاني قائلاً : ما أحلقنا ببركم لو أن أمركم في الاعتقاد لنا على نحو أمرنا في الاعتقاد لكم مما نحن عليه في الثقة بكم .

وفي البيت الثالث يقول : إن كان ما فعله الحاسد مرضياً لكم فما نشتكى من ألم الجرح إذا أرضاكم مع شدة وجعه .

ثم عاد في البيت الرابع وجاء بهذا التعريض القوي : يقول بيننا معرفة لو رعيتموها ثم أكد تعريضه بقوله إن أهل العقول يراعون حق المعرفة والمعارف عندهم عهد وضم لا يضيعونها والمعنى : لماذا لا تفعل ذلك يا سيف الدولة ؟

ثم أردف بعد تلك الآيات قائلاً :

وَيَكْرَهُ اللَّهُ مَا تَأْتُونَ وَالْكَرْمُ	كَمْ تَطْلُبُونَ لَنَا عَيْباً فَيُعْجِزُكُمْ
أَنَا الثَّرِيَا وَذَانِ الشَّيْبِ وَالْهَرْمُ	مَا أَبْعَدَ الْعَيْبَ وَالتَّقْصَانَ مِنْ شَرَفِي
يُزِيلُهُنَّ إِلَى مَنْ عِنْدَهُ الدَّيْمُ ^(٢)	* لَيْتَ الْعَمَامَ الَّذِي عِنْدِي صَوَاعِقُهُ

والمعنى في البيت الأول :

أنتم تطلبون لنا عيباً يعجزكم وجوده وهذا تعريض قوي وتعنيف لسيف الدولة على إصغائه لحاسدي المتنبي فالله يكره هذا الفعل من سيف الدولة والكرم يوجب الإنصاف والعدل .

وفي البيت الثاني :

عاد وأكد بعده عن العيوب والمناقص وضرب لذلك مثلاً ببعد الثريا عن الشيب والكبر .

وفي البيت الثالث :

أتى بهذا التعريض القوي معنفاً سيف الدولة على إصغائه للحساد مشبهاً له بالغمام لكثرة عطائه قائلاً : ليت هذا الملك الذي يشبه الغمام ولا تأتيه منه إلا الصواعق — ويقصد بها أذى الحساد في بلاط سيف الدولة — يزيلها فيجعل هؤلاء الحساد يشاركونني في البؤس كما شاركوني في نعيم سيف الدولة .

^١ الديوان ج ٤ ص ٨٧ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٢ الديوان ج ٤ ص ٨٧ وشرحه بحاشية الصفحة .

ثم أردف بعد ذلك قائلاً :

أَرَى النَّوَى يَقْتَضِينِي كُلَّ مَرَحَلَةٍ
لَئِنْ تَرَكَنْ ضَمِّيراً عَنِ مِيَامِنَا
إِذَا تَرَحَّلْتَ عَنْ قَوْمٍ وَقَدْ قَدَرُوا
لَا تَسْتَقِيلَ بِهَا الْوَحَادَةَ الرَّسْمُ
لِيَحْدُثَنَّ لِمَنْ وَدَعَّتْهُ نَدْمٌ
أَنْ لَا تُفَارِقَهُمْ فَالرَّاحِلُونَ هُمْ^(١)

والمعنى : يقول معرضاً برحيله عن بلاط سيف الدولة إلى مصر أرى النوى التي اعتقدها تقتضيني تجشم كل مرحلة وافية لا تستطيعها الإبل لبعدها منها .
وقد أكد ذلك في البيت الثاني قائلاً :

إن قصدت مصر ليحدثن لمن ودعتهم ندم على مفارقتي لهم وأسف على رحيلي عنهم .
وقد زاد التأكيد في البيت الثالث قائلاً :

إذا سرت عن قوم وهم قادرون على إكرامك فهم المختارون لارتحالك مشيراً إلى عذر رحيله عن سيف الدولة .
ثم تابع قائلاً :

شَرُّ الْبِلَادِ مَكَانٌ لَا صَدِيقَ بِهِ
وَشَرُّ مَا يَكْسِبُ الْإِنْسَانُ مَا يَصِمُ
وَشَرُّ مَا قَنَصْتَهُ رَاحَتِي قَنْصٌ
شُهْبُ الْبِرَاةِ سَوَاءٌ فِيهِ وَالرَّخْمُ^(٢)

والمعنى : شر البلاد بلاد لا يوجد فيها من يؤنس بوده وشر ما كسبه الإنسان ما عابه وأذله وشر ما قنصه الصائد وظفر به قنص يشركه فيه شهب البراة مع رفعتها والرخم مع دناءتها معرضاً بسيف الدولة حيث هباته مع سعتها لا تعادل تقصيره في إنقاص حق المتني وإيثار حساده عليه والمعنى : إذا تساويت أنا ومن لا قدر له في أخذ عطائك فأني فضل لي عليهم وما كان من الفائدة هكذا فلا أفرح به وكان المتني قد قدّم تعريضاً قوياً في هذه القصيدة وهو قوله :

وَمَا انْتِفَاعُ أَحِي الدُّنْيَا بِنَاظِرِهِ
إِذَا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ الْأَنْوَارُ وَالظُّلْمُ^(٣)

والمعنى : يجب أن تميز بيني وبين غيري ممن لم يبلغ درجتي كما تميز بين النور والظلمة .
وقد وجدت المتني يتواصل مع أسلوب التعريض في بلاط كافور الإخشيدي حيث نسب ذلك التعريض إلى جملة من الأسباب من أهمها أنه رحل إلى كافور لتحقيق مطمع الخلافة والرياسة التي لم يحققها عند غيره وكذلك ما لحقه من الآثار النفسية من تبعات الفشل السابقة وخاصة عند

^١ الديوان ج ٤ ص ٨٨ وشرحه بحاشية الصفحة .
^٢ الديوان ج ٤ ص ٨٩ وشرحه بحاشية الصفحة .
^٣ الديوان ج ٣ ص ٨٣ وشرحه بحاشية الصفحة .

سيف الدولة وكذلك عدم قناعة المتنبّي باستحقاق كافور لكرسي الملك حيث رآه مجرد عبد سوء استغل فرصة وثب من خلالها لملك لا يستأهله ولذا وجدت التعريض بادياً في أول قصائده عند كافور من البحر الطويل والتي مطلعها :

كفى بك داءً أن ترى الموت شافياً وحسب المنايا أن يكنّ أمانياً^(١)

حيث ورد في هذه القصيدة عدداً من الأبيات استخدم المتنبّي فيها أسلوب التعريض على النحو التالي

يقول :

تمنيتها لما تمنيت أن ترى صديقاً فأعيا أو عدواً مداجياً^(٢)

والصديق هنا ولا شك وهو سيف الدولة الذي اضطر المتنبّي إلى فراقه متعللاً بسماع سيف الدولة لكلام الوشاة والحساد وعدم إعطائه القيمة اللائقة لشعر المتنبّي ومساوات شعر المتنبّي بشعر غيره من الشعراء وهذا تعريض بين .

وقوله :

حببتك قلبي قبل حبك من نأى وقد كان غداراً فكنّ أنتَ وإفياً^(٣)

والحبيب الذي نأى هو سيف الدولة الذي غدر ولم يف كما يرى المتنبّي وهو تهرىض واضح .

وقوله :

وللنفس أخلاقٌ تدلّ على الفتى أكان سخاءً ما أتى أم تساخياً
أقلّ اشتياًقاً أيها القلبُ ربّما رأيته تُصنفي الودّ من ليس صافياً^(٤)

والمعنى : قلل الاشتياق يا قلبي إلى من لا يشتاق إليك فإنك تخلص المودة لمن لا يجازيك على ذلك وهذه الأبيات ولا شك تعريض بسيف الدولة وتطبيب لنفس المتنبّي على فراق مجلس أمير حلب . وسأعرض مثلاً آخر على قدرة المتنبّي على استخدام أسلوب التعريض من قصيدة أنشأها في مدح كافور الإخشيدي حيث يقول من الطويل :

فراقٌ ومن فارقته غير مدمم وأمّ ومن يممت خير ميمم
وما متزل اللذات عندي بمنزل إذا لم أبحّ لـ عندّه وأكرم
سجّية نفسٍ ما تزال مليحة من الضيم مرّميّاً بها كلّ مخرم

^١ الديوان ج ٤ ص ٤١٧ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٢ الديوان ج ٤ ص ٤١٧ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٣ الديوان ج ٤ ص ٤١٨ وشرحه بحاشية الصفحة .

^٤ الديوان ج ٤ ص ٤٢٠ وشرحه بحاشية الصفحة .

رَحَلْتُ فَكَمْ بَاكِ بِأَجْفَانِ شَادِنٍ عَلَيَّ وَكَمْ بَاكِ بِأَجْفَانِ ضَيْعَمٍ ^(١)

الأحظ هنا أن المتنبي قد اشتاق لسيف الدولة وهو الذي فارقه عن قريب عهد مبدياً ندماً شديداً لهذا الفراق وهو يوضح هنا أن المنازل لا تتفاوت إلا بما يحظى فيها من التبجيل وهذا من طبيعة نفس المتنبي ثم صوّر ما تركه في نفس سيف الدولة من ألم الفراق فهو لا شك يبكي على فراق المتنبي له وقد رسم كل ذلك في لوحة رائعة من التعريض ولم يذكر اسم سيف الدولة صراحة ثم أتبع الأبيات السابقة بقوله :

أَصَادِقُ نَفْسِ الْمَرْءِ مِنْ قَبْلِ جَسْمِهِ وَأَعْرِفُهَا فِي فِعْلِهِ وَالتَّكَلُّمِ
وَأَحْلُمُ عَنْ خَلِّي وَأَعْلَمُ أَنَّهُ مَتَى أَجْزِهِ حِلْمًا عَلَى الْجَهْلِ يَنْدَمِ
وَإِنْ بَدَّلَ الْإِنْسَانَ لِي جُودَ عَائِسٍ جَزَيْتُ بُجُودَ التَّارِكِ الْمُتَبَسِّمِ ^(٢)

والمتنبي هنا يعرض بمراحه من كافور حيث أوضح له في البداية ما كان من فعل سيف الدولة محذراً إياه من أنه يعرف نفس من يصادق ملوحاً بلطف حسه ودقة علمه على استشفاف كنه نفس الإنسان الذي يصادقه مستدلاً عليها بكلامه وفعله ، وأكد ذلك بأنه لا يقبل العطية حتى يكون معها بشر وبشاشة وإلا تركها وهو متبسم غير متحسر عليها .

ثم لام كافور على ترده في الوفاء بوعدده له بهذا البيت :

وَمَا كُلُّ هَاوٍ لِلْجَمِيلِ بِفَاعِلٍ وَلَا كُلُّ فَعَالٍ لَهُ بِمُتَمِّمٍ
وما كل هاوٍ للجميل بفاعلٍ ولا كل فعال له بمتممٍ ^(٣)

وأرى أن هذا تعريض واضح لمن عرف ما في نفس المتنبي من الطموح ، ثم يجيء بهذا البيت بعد عدة أبيات حيث يقول :

قَدْ اخْتَرْتِكَ الْأَمْلَاكَ فَاخْتَرْتُ لَهُمْ بِنَا حَدِيثًا وَقَدْ حَكَّمْتُ رَأْيِكَ فَاحْكُمِ ^(٤)

وهو في رأيي تعريض يكاد يصل للتصريح بالتهديد فهو يخبره بأنه ترك كل ملوك الأرض وآثره دونهم ويخيره بين أن يختار لهم أن يتحدثوا بمدح المتنبي له وبين أن يخوضوا في هجاء المتنبي وذمه لكافور بالبخل تاركاً له حرية الاختيار وقد وجدته يؤكد هذا المعنى بالبيت التالي :

وَمِثْلَكَ مَنْ كَانَ الْوَسِيطَ فُؤَادُهُ فَكَلَّمَهُ عَنِّي وَلَمْ أَتَكَلَّمِ ^(١)

^١ الديوان ج ٤ ص ٢٦٣ وشرحه بحاشية الصفحة .
^٢ الديوان ج ٤ ص ٢٦٥ وشرحه بحاشية الصفحة .
^٣ الديوان ج ٣ ص ٢٦٦ وشرحه بحاشية الصفحة .
^٤ الديوان ج ٤ ص ٢٧٠ وشرحه بحاشية الصفحة .

أي : قد فهمت مرادي وما أسعى إليه ولن أكثر الكلام في ذلك .
وقد وجدت المتنبي يعرض كثيراً بسيف الدولة وخاصة في الكافوريات من مثل قوله في القصيدة
من الطويل التي مطلعها :

أودُّ مِنَ الأَيَّامِ مَا لَا تَوَدُّهُ
وَأشكُو إِلَيْهَا بَيْنَنَا وَهِيَ جُنْدُهُ

حيث يقول :

تَوَلَّى الصَّبَى عَنِّي فَأَخْلَفْتَ طَيْبَهُ
وَمَا ضَرَّيْ لِمَا رَأَيْتَكَ فَقَدْ دُهُ
لَقَدْ شَبَّ فِي هَذَا الزَّمَانِ كُهُولُهُ
لَدَيْكَ وَشَابَتْ عِنْدَ غَيْرِكَ مُرْدُهُ (٢)

والمعنى : ولي الصبا عني وذهب فجعلت له خلفاً بما أجد من طيب أيامي عندك مخاطباً كافور —
فالكهول بما يلاقون في ذراك من رغد العيش ونور العدل صاروا شباباً والمرد عند غيرك صاروا
شيباً لما يلاقون من البؤس وظلمة الظلم قال بن جني : هذا تعريض بسيف الدولة (٣) .

الفصل السابع

آراء النقاد حول شعر النفس عند المتنبي

الفصل السابع : آراء النقاد حول شعر النفس عند المتنبي :

أبدأ هذا الفصل بعرض رأي الدكتور عبد الله الغدامي الذي عرضه في كتابه النقد الثقافي وتعرض فيه للمتنبي حيث يقول :

" وفي حال المتنبي من الواضح أننا امام شاعر مكتمل النسقية ، فهو أقل الشعراء اهتماماً بالإنساني وتحقيراً له ، فهو الذي هزأ بالحب والتشبيب : أكل فصيح قال شعراً متيمّ .. ! وغير فؤادي للغواني رميةً — وللخود مني ساعة ثم انثنى وهو الشاعر المفرط في ذاتيته وفي أناه الطاغية وفي تحقيره للآخر (١) "

وأما قول الدكتور الغدامي بذاتية المتنبي فهذا أمر صحيح فشعر المتنبي — كما أوضح هذا البحث — صورة لنفسه وذاته بكل ما فيها من استعلاء وشموخ وطموح وعظمة وعدائية وألفة بآمالها وآلامها في وضاعتها وعلائها وفي كل حالاتها الإنسانية المختلفة فالأديب المتفوق في نظري هو من تأثرت نفسه بالحياة ومظاهرها تأثراً خاصاً بنفسيته ثم جهد بأدبه أن ينقل هذا التأثير إلى الناس وجعلهم يتأثرون بما تأثر به ويشعرون بما شعر ، وفي اعتقادي أنّ ذاتية المتنبي كانت بقدر ما نقل

^١ النقد الثقافي لعبد الله الغدامي ، ط المركز الثقافي العربي ، ص ١٦٨

لنا كل شيء حوله على ضوء ما اعتقد من المثل والقيم ، وأما الرد على قول الدكتور الغدامي بأنّ المتنبّي أقل الشعراء اهتماماً بالجانب الإنساني وتحقيراً له فقد تكفل به أحد أعلام النقد في العصر الحديث وهو الدكتور / مصطفى عبد الواحد في كتابه حقيقة النقد الثقافي حيث قال : " فما معنى كون المتنبّي " أقل الشعراء ، اهتماماً بالجانب الإنساني وتحقيراً له ؟ هل الجانب الإنساني في الشعر هو " الحب والتشبيب فحسب ؟ وهل كان المتنبّي هازئاً بالحب كما زعم هذا الزاعم ؟

إن الجانب الإنساني في الشعر أوسع من أن يكون حباً للنساء وتشبيهاً بهن ، إنه يشمل كل نوازع الإنسان وأفكاره وتجاربه ومواقفه في الحياة كما يشمل الأخلاق والحكمة والسياسة والحرب والصدقة والعداوة ... وليس هناك شاعر في العربية أطال الوقوف أمام النفس الإنسانية وما يعترئها من آلام وآمال ومطامع ودوافع .. كما وقف المتنبّي .. حتى مدائح التي استحوذت على أكبر قدر من شعره .. لم يخلها من وصف الأخلاق وتحليل البواعث واستخلاص الحكم والتجارب "

فمن الظلم الفادح وتجاهل الحقائق الراسخة الزعم بأنّ المتنبّي كان أقل الشعراء اهتماماً "بالإنساني" وحصر هذا الإنساني في الحب والتشبيب بالنساء^(١) !
ثانياً : رأي الأستاذ العقاد :

يقول : " ليس بملك ولا أمير ولا قائد ولا صاحب جاه ولكنه فخر العرب وترجمان حكمتهم والرجل الفرد الذي نظم في ديوان واحد ما نثرته الحياة في سائر دواوين التجارب والعظات ، فكان كلامها كلامه وحقائقها حقائقه ، وساغ له أن يحتجن لنفسه ما هو حصة الناس جميعاً أو حصة العرب من تجارب الحياة ووقائع الأيام ، إن استكثرتنا نصيب الإنسانية كلها على رجل واحد ، فأبي كلام أمير من الأمراء أو عاهل من العواهل كانت له هذه الرعاية والصيانة ؟! وأي كلمة مسموعة تتخطى الأيام والقرون وتُسمع من وراء القصر والقبر كما تسمع كلمات المتنبّي^(٢) ؟!

ويقول في موضع آخر : " وإذا اتجه الشاعر العظيم إلى الحياة وانصرفت نفسه إلى ما بين الأحياء من العواطف والدوافع والصلات والفواصل فهو الذي يسمعك أصداء النفس الآدمية في جهرها ونجواها وفي شوقها وانقباضها حيث ترتفع في معارج الخير وحيث تتردى في مهابط الشر ، ويردد

^١ حقيقة النقد للدكتور / مصطفى عبد الواحد : ص ١٦٨ .

^٢ مطالعات في الكتب والحياة للعقاد ، طبعة دار المعارف ص ١٨٤ .

لك ما تعتلج به من الآلام وما تحكم به من الآمال ويترجم أغازها وكناياها فإذا هي كلمات صريحة مأنوسة ويجمع أشنات هواجسها وأعشار تجاربها فإذا هي قوالب صحيحة ملموسة فأنت تقول إذ تراها نعم هذه هي النفس الآدمية بعينها وتصح يا عجباً إنما لهي الحياة كما أعهد لها (١) ويقول مرة أخرى :

" لم يكن المتنبى ممن شغفوا بمحاسن الطبيعة وأسرارها ولكنه كان ممن يقبلون بجملتهم على جهاد الحياة في وسط المعمة فيحصون عليها هزائمها وانتصاراتها ويكتبون لها حسناتها وسيئاتها وكان الرجل أشبه رجال القول برجال العمل في الخلق والمزاج ، فأقبل على الجهاد في عصره عاملاً كما أقبل عليه مترقباً دارساً فأعانه ذلك على تقييد ضوابطه وتعليق شوارده وأخرج لنا من شعره معرضاً واعياً لكل ما يعتلج بالنفس المجاهدة وعيبة حاوية الأشكال من الحكم العربية والقواعد المقررة المشاهدة (٢) "

ثالثاً : رأي الأستاذ محمود محمد شاكر :

يقول الأستاذ / محمود شاكر في كتابه المتنبى رسالة في الطريق إلى ثقافتنا : " رأيت أن اتصاله بسيف الدولة نقل قلب الرجل من منزله إلى أخرى ، نقله من منزلة الإحساس الشخصي الموحد إلى منزلة الإحساس الشخصي المتولج في الاجتماع المزاحم في سياسته المؤمل في سيف الدولة رد السلطان إلى العرب والعربية يعد الغلبة والظفر وتحقيق الأمان ، وكان هذا سبباً في انتقاض قلب (الرجل الشاعر) بالفرح المستولى عليه ، الغالب على عواطفه ، ثم كان أيضاً ما استنبطناه مما سبب في هذا القلب أسباباً للهم والحزن والأنين والبكاء والحسرة ، فصار التنازع في هذا القلب بين الفرحة الغالبة والحسرة المتمكنة ، سبباً في استخراج مكوناته وتوليد المعاني الجديدة من الصراع الهائل الذي كان فيه .

وبذلك خرج أبو الطيب عن طوره الأول المحدود بحدّة إلى الطور الثاني المتفاسح المترامي إلى كل غايات الحياة وأسبابها وما يكون فيها وما يكون منها .

وكان هذا الرجل الشاعر إنما يعتمد في توليد معاني شعره على استيعاب ما بنفسه من الأفرح والآلام ، ما تقادم منها وما جدّ ، ثم الاستغراق في تأمل هذه الذخائر التي في نفسه وردّ بعضها إلى بعض ، وربط الغائب منها بالشاهد ، وعطف الأول منها على الآخر ، وكأنما كانت

^١ مطالعات في الكتب والحياة للعقاد ط دار المعارف ص ١٤١ .

^٢ مطالعات في الكتب والحياة للعقاد ، ط ، دار المعارف ، ص ١٤٢ .

تترأى لعينيه حوادث قلبه وحوادث دهره ، وتتردد في سمعه أصوات قلبه موصولة بأصوات الناس وكلامهم ، ما قل منه وما عظم وكان هذا الاستغراق في تأمل ما بنفسه هو أحد الأسرار العظيمة في تصوير شاعريته وتسويتها وتنشئتها وتغذيتها وتنميتها إلى الغاية التي هي عليها في شعره^(١) " وبعد عرض هذه الآراء واستقراء هذا البحث استطيع أن أقول بأن شعر النفس عند المتنبي يعد أقوى ألوان الشعر عنده .

نتائج البحث

توصلت هذه الدراسة إلى عدة نتائج في موضوع تصوير النفس عند المتنبي على المستويين الموضوعي والفني .

فعلى المستوى الموضوعي توصل البحث إلى :

١. اختلف الدارسون لشعر المتنبي والنقاد المتفحصون له في ذكر أسباب نجاح المتنبي في تصوير النفس ولكنني في هذا البحث حاولت الإلمام قدر المستطاع بجملة هذه الأسباب واستأنست على بعضها بآراء أصحابها وذكرت بعض القصص والشواهد على بعضها الآخر حيث إنني رأيت أن هذه الأسباب هي التي جعلت للمتنبي قدرة فائقة على تصوير النفس الإنسانية في حالاتها المختلفة وحصرتها في سبعة أسباب رئيسة وتحت بعضها عدة تقسيمات كالسبب الأول ثقافته الواسعة وتجاربه وكذلك السبب السابع وهو صراعاته النفسية .
٢. من خلال استقراء شعر المتنبي وجدته مولعاً باستخدام لفظ النفس ، فقد أوردته في مدائحه وأهاجيه وفي فخره وراثته وقد جاء به على صيغة المفرد والجمع وقد قصد به خطاب ممدوحيه

^١ المتنبي ، رسالة في طريق ثقافتنا لمحمود محمد شاكر ، طبعة دار المدني ، ص ٣٣٤ .

ومن رثاهم وعنى به نفسه وقد جمعت له من ذلك أكثر من مئة وثلاثين بيتاً وتعرضت لها بالشرح الموجز في فصل سميته : كثرة ترديد المتنبي للفظ " النفس " في شعره .

٣. ارتبط حديث المتنبي عن الآمال بحديثه عن الآلام التي عاناها في سبيل تحقيق آماله حتى أن ذلك أصبح ظاهرة سجّلها هذا البحث على حديثه عن آماله .

٤. وجدت أن حديث المتنبي عن آلامه وآماله توزع على ثلاث مراحل بحسب ما تميزت به كل مرحلة على النحو التالي :

* المرحلة الأولى : حديثه عن آماله وآلامه في فترة صباه .

* المرحلة الثانية : حديثه عن آماله وآلامه في فترة اتصاله بسيف الدولة وبدايات بقاءه مع كافور

* المرحلة الثالثة : حديثه عن آماله وآلامه من آخر بقاءه مع كافور إلى وفاته .

٥. كانت الشجاعة والكرم والوفاء أكثر الصفات التي تحدث عنها المتنبي ووصف بها نفسه وممدوحيه .

٦. من أعظم الأدلة على ولع المتنبي بصفات الشجاعة والكرم والوفاء أن بعض أبياته فيها

أصبحت أمثالاً يتناقلها الناس بعده في الحديث عن هذا الصفات كقوله في الشجاعة :

عِشْ عَزِيزاً أَوْ مُتْ وَأَنْتَ كَرِيمٌ بَيْنَ طَعْنِ الْقَنَا وَخَفَقِ الْبُنُودِ

وقوله في الكرم والشجاعة :

لَوْلا الْمَشَقَّةُ سَادَ النَّاسُ كُلَّهُمْ؛ الْجُودُ يُفْقِرُ وَالْإِقْدَامُ قَتَالُ

وقوله في الوفاء :

حَبِّبْتُكَ قَلْبِي قَبْلَ حُبِّكَ مِنْ نَأَى وَقَدْ كَانَ غَدَاراً فَكُنْ أَنْتَ وَافِياً

٧. عدّ هذا البحث لإعجاب المتنبي بسيف الدولة الحمداني ستة أسباب وذكر خمس صور لهذا

الإعجاب من خلال استقراء شعره فيه سمّاها الجوانب النفسية الرائعة التي أبرزها المتنبي في

مدائح سيف الدولة .

٨. توصل هذا البحث إلى أن المتنبي يهجو عن قلب حقوق لا يسامح حتى مع من أحسن إليه

ككافور الأخشيدي وفي رأي الباحث أن أبيات المتنبي المهجائية كالنقط السوداء في صفحة

ديوان المتنبي الناصعة البياض لما في معظمها من السفالة والدناءة والانحدار الذي لا يليق بشاعر

فحل كالمثني .

٩. توصلت الدراسة إلى تقسيم شعر المهجاء عند المتنبي إلى قسمين هما :

*الهجاء الفاحش المقذع

*هجاء السخرية والتلهي

١٠ . ذبوع واشتهار بعض أبيات هجاء المتنبي كقوله :

لا تَشْتَرِ الْعَبْدَ إِلَّا وَالْعَصَا مَعَهُ
إِنَّ الْعَبِيدَ لَأَنْجَاسٌ مَنَاكِيدُ

وقوله :

أَسَامِرِيُّ ضُحْكَةَ كُلِّ رَاءٍ
فَطِنْتَ وَكُنْتَ أَعْبَى الْأَعْبِيَاءِ

١١ . سجّل البحث أبياتاً رائعة في الحكمة أوردتها المتنبي في قصائد الهجاء كقوله :

إِذَا أَتَتِ الْإِسَاءَةُ مِنْ وَضِيعٍ
وَلَمْ أَلْمِ الْمُسِيءَ فَمَنْ أَلُومُ

وقوله :

لا يَسْلَمُ الشَّرْفُ الرَّفِيعُ مِنَ الْأَذَى
حَتَّى يُرَاقَ عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمُ

وقوله :

وَالظُّلْمُ مِنْ شِيمِ النَّفْسِ فَإِنْ تَجَدَّ
ذَا عِفَّةٍ فَلِعِلَّةٍ لَا يَظْلَمُ

١٢ . المتنبي يحب ما ينبع من طبع الإنسان ويمقت التطبع وما كان مفتعلاً وهذه ظاهرة سجلتها على حديث المتنبي عن الطباع .

١٣ . أثبت هذا البحث عدم حب المتنبي لخلوة أخت سيف الدولة وعدد جملة من الأسباب

دلت على عدم ولوج الحب الذي يضني الروح ويدله العقل ويفني الجسم إلى قلب المتنبي .

١٤ . استنتج هذا البحث أن وجود الغزل في مقدمات قصائد المتنبي راجع إلى أنه وهو الشاعر

الغني الوصف ، الخصب الخيال ، الواسع الإدراك لم يُرد أن يفوته الشعراء بشيء يتحدثون فيه ويقصر باعه عنه ولذا قال :

إِذَا كَانَ مَدْحٌ فَالنَّسِيبُ الْمُقَدَّمُ
أَكُلُّ فَصِيحٍ قَالَ شِعْرًا مُتَمِّمٌ

١٥ . سجل البحث على المتنبي مخالفته قوانين المحبين كدعوته على الحسان وتفضيله الخيل على

النساء وخصومته ودعائه على ديار الأحبة ورقته في حديثه مع سيف الدولة وكافور وابن

العميد واختفاء هذه الرقة في حديثه إلى النساء .

وأما على الجانب الفني فعلى النحو التالي :

١ . التقرير يُعدّ أبرز عيوب شعر المتنبي في حديثه عن النفس الإنسانية .

٢ . استخدم المتنبي أسلوب التشبيه كثيراً مع سيف الدولة وكذا في غزله .

٣ . استخدم المتنبي بلاغة الكناية كثيراً في حديثه عن نفسه من مثل قوله :

أَنَا الَّذِي نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى أَدْبِي وَأَسْمَعَتْ كَلِمَاتِي مَنْ بِهِ صَمَمٌ

٤. استخدم المتنبي الاستعارة التمثيلية كثيراً في مدح سيف الدولة من مثل قوله :

لَأَنَّ حِلْمَكَ حِلْمٌ لَا تَكَلَّفُهُ لَيْسَ التَّكْحَلُ فِي الْعَيْنَيْنِ كَالْكَحَلِ

التوصيات

وفي نهاية هذا البحث يوصي الباحث بأن يقوم الدارسون بمتابعة الجهود البحثية في هذا الميدان من

خلال تناول جوانب أخرى جديدة بالبحث والدراسة في شعر المتنبي منها :

١. أن يعمل الباحثون على دراسة شعر الحب لدى المتنبي وتصوير عاطفته تجاه المرأة من الناحية

الفنية البحتة لما رأيت عنده من جرس موسيقي رائع وصور بلاغية متميزة فتن البلاغيون

القدماء بالكثير منها .

٢. دراسة ظاهرة مخالفة المتنبي لقوانين المحبين وتبين أسبابها وأمثلتها في شعره .

فهرس الأشعار

الصفحة	البحر	القافية
قافية الهمزة		
١٢٣	المتقارب	وَأَمْسَتْ تُخَيِّرُنَا بِالنَّقَا بِ وَادِي الْمِيَاهِ وَوَادِي الْقُرَى
١٩	المتقارب	وَمَنْ جَهَلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهُ رَأَى غَيْرَهُ مِنْهُ مَا لَا يَرَى
٢٣	الخفيف	إِنَّمَا الْجِلْدُ مَلْبَسٌ وَأَبْيَضَاؤُ النَّفْسِ خَيْرٌ مِنْ أَيْضَاؤِ الْقَبَاءِ
٣٤	الخفيف	وَأَنَا مِنْكَ لَا يُهْنِيءُ عَضُوُّ بِالْمَسْرَاتِ سَائِرَ الْأَعْضَاءِ
٣٥	الطويل	يَقُولُونَ لِي مَا أَنْتَ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ وَمَا تَبْتَغِي؟ مَا أَبْتَغِي جَلَّ أَنْ يُسْمَى
٥٨	المتقارب	فَلَمَّا أَنْخَنَا رَكَزْنَا الرَّمَا حَ بَيْنَ مَلِكِارِمْنَا وَالْعَلَى
٧٦	الخفيف	فَارَمِ بِي مَا أَرَدْتَ مَنِي فِائِي أَسَدُ الْقَلْبِ آدَمِي الرُّوَاءِ
٨٣	الوافر	أَسْ—أَمْرِي ضُحْكَةً كُلِّ رَاءِ فَطِنْتَ وَكَنتَ أَغْبَى الْأَغْيَاءِ
٨٣	المتقارب	وَأَسْوَدُ مِشْفَرُهُ نِصْفُهُ يُقَالُ لَهُ أَنْتَ بَدْرُ الدَّجَى

الصفحة	البحر	القافية
٩٨	الكامل	أَمِنَ اَزْدِيَارِكَ فِي الدُّجَى الرُّقْبَاءُ إِذْ حَيْثُ كُنْتَ مِنَ الظَّلَامِ ضِيَاءُ
١١٥	الخفيف	يَا رَجَاءَ العُيُونِ فِي كُلِّ أَرْضٍ لَمْ يَكُنْ غَيْرَ أَنْ أَرَاكَ رَجَائِي
١٤٢	الكامل	أَنَا صَخْرَةُ الوَادِي إِذَا مَا زُوْحِمْتُ وَإِذَا نَطَقْتُ فَإِنِّي الجَوَزَاءُ
١٢٠	المتقارب	ضربت حماسي ضربة عبشمي أدار سُداسَ أَلَا يَسْتَقِيمَا
١٢٣	المتقارب	وَقُلْنَا لَهَا أَيْنَ أَرْضُ العِرَاقِ فَقَالَتْ وَنَحْنُ بَتْرَبَانَ هَا
٥٨	البيسط	وَأَتَيْتُ وَفَيْتُ وَأَتَيْتُ أَيْتُ وَأَتَيْتُ عَتَوْتُ عَلَى مَنْ عَنَّا
٧٢		إِنَّكَ مِنْ مَعْشَرٍ إِذَا وَهَبُوا مَا دُونَ أَعْمَارِهِمْ فَقَدْ بَخِلُوا
٨٣	المتقارب	بِهَا نَبْطِيٌّ مِنْ أَهْلِ السَّوَادِ يُدْرَسُ أَنْسَابَ أَهْلِ الفَلَا
١١٣	الكامل	عَدَلُ العَوَاذِلِ حَوْلَ قَلْبِي التَّائِهِ وَهَوَى الأَحِبَّةِ مِنْهُ فِي سَوْدَائِهِ
قافية الباء		
١٢١	البيسط	كَأَنَّ كُلَّ سُؤَالٍ فِي مَسَامِعِهِ قَمِيصٌ يَوْسُفَ فِي أَجْفَانِ يَعْقُوبِ
١٢١	الطويل	وَكَمَ لظَلَامِ اللَّيْلِ عِنْدَكَ مِنْ يَدٍ تُخْبِرُ أَنَّ المَانَوِيَّةَ تَكْذِبُ
١٢٩	الطويل	سُبِقْنَا إِلَى الدُّنْيَا فَلَوْ عَاشَ أَهْلُهَا مُنَعْنَا بِهَا مِنْ جَيْعَةٍ وَذُهُوبِ
١٣١	الكامل	أُظْمِنِي الدُّنْيَا فَلَمَّا جِئْتَهَا مُسْتَسْقِيًا مَطَرَتْ عَلَيَّ مَصَائِبًا
١٣٢	البيسط	أَذَاقَنِي زَمَنِي بَلَوَى شَرِقتُ بِهَا لَوْ ذَاقَهَا لَبَكِي مَا عَاشَ وَانْتَجَبَا
١٠	الطويل	فَرُبَّ غُلَامٍ عَلَّمَ المَجْدَ نَفْسَهُ كَتَعْلِيمِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الطَّعْنَ وَالضَّرْبَا
١٥	البيسط	وَأَنْتُمْ نَفَرٌ تَسْخُو نُفُوسَكُمْ بِمَا يَهَيِّنُ وَلَا يَسْخُونَ بِالسَّلْبِ
١٥	البيسط	حَتَّى وَصَلْتُ إِلَى نَفْسٍ مُحَجَّبَةٍ تَلْقَى النُّفُوسَ بِفَضْلِ غَيْرِ مُحْجُوبِ
١٦	الطويل	لَقَيْتَ القَنَا عَنْهُ بِنَفْسٍ كَرِيمَةٍ إِلَى المَوْتِ فِي الهَيْجَا مِنَ العَارِ تَهْرُبُ
١٦	الطويل	وَيَا آخِذًا مِنْ دَهْرِهِ حَقَّ نَفْسِهِ وَمِثْلَكَ يُعْطَى حَقَّهُ وَيُهَابُ
٢٠	الوافر	وَتَمْلِكُ أَنْفُسَ الثَّقَلَيْنِ طُرًّا فَكَيْفَ تَحُوزُ أَنْفُسَهَا كِلَابُ
٢٢	الطويل	إِذَا اسْتَقْبَلْتَ نَفْسَ الكَرِيمِ مُصَابَهَا بِجُبْثٍ نَنْتَ فَاسْتَدْبَرْتَهُ بِطَيْبِ
٢٢	الرملي	بَاعِثُ النُّفْسِ عَلَى الهَوْلِ الَّذِي لَيْسَ سِوَا لِنَفْسٍ وَقَعَتْ فِيهِ إِيَابُ
٢٥	الطويل	وَفِي النُّفْسِ حَاجَاتٌ وَفِيكَ فَطَانَةٌ سَكُوتِي بَيَانٌ عِنْدَهَا وَخِطَابُ

الصفحة	البحر	القافية
١٤	الكامل	وَدَعَوْهُ مِنْ فَرَطِ السَّخَاءِ مُبَدَّرًا وَدَعَوْهُ مِنْ غَضَبِ النَّفْسِ الْغَاصِبَا
٢٩	الطويل	وَهَبْتَ عَلَى مِقْدَارِ كَفِّي زَمَانَنَا وَنَفْسِي عَلَى مِقْدَارِ كَفِّكَ تَطْلُبُ
٢٩	الطويل	وَفِي الْجِسْمِ نَفْسٌ لَا تَشِيبُ بِشَيْبِهِ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْوَجْهِ مِنْهُ حِرَابٌ
٢٩	البيسيط	تَخَالَفَ النَّاسُ حَتَّى لَا اتَّفَاقَ لَهُمْ إِلَّا عَلَى شَجَبٍ وَالْخُلْفُ فِي الشَّجَبِ
٣٧	الطويل	أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَقُولُ قَصِيدَةً لَا أَشْتَكِي فِيهَا وَلَا أَتَعْتَبُ
٤٤	الوافر	أُقَلِّبُ فِيهِ أَجْفَانِي كَأَنِّي أَعُدُّ بِهِ عَلَى الدَّهْرِ الذُّنُوبَا
٦٣	الطويل	وَأَنَّكَ رُعْتَ الدَّهْرَ فِيهَا وَرَبِيهَ فَإِنْ شَكَ فليُحَدِّثْ بِسَاحَتِهَا خَطْبَا
٥٨	البيسيط	وَبِتْنَا نُقْبَلُ أَسْيَافَنَا وَنَمَسَحُهَا مِنْ دِمَاءِ الْعِدَى
٦٣	الطويل	فِيَوْمًا بَجَيْلٍ تَطْرُدُ الرُّومَ عَنْهُمْ وَيَوْمًا بَجُودٍ تَطْرُدُ الْفُقَرَ وَالْجَدْبَا
٦٥	المتقارب	فَهَمَّتْ الْكِتَابَ أَبْرَ الْكُتُبِ سَمْعًا لِأَمْرِ أَمِيرِ الْعَرَبِ
٧٠	الطويل	فَدَيْنَاكَ أَهْدَى النَّاسِ سَهْمًا إِلَى قَلْبِي وَأَقْتَلَهُمْ لِلدَّارِعِينَ بِلَا حَرْبِ
٧٢	الطويل	تُهَابُ سِيوفِ الْهِنْدِ وَهِيَ حَدَائِدُ فَكَيْفَ إِذَا كَانَتْ نِزَارِيَّةً عُرْبَا
٦٩	المتقارب	أَيَا سَيْفَ رَبِّكَ لَا خَلْقِهِ وَيَا ذَا الْمَكَارِمِ لَا ذَا الشُّطْبِ
٧٦	الطويل	وَهَبْتَ عَلَى مِقْدَارِ كَفِّي زَمَانَنَا وَنَفْسِي عَلَى مِقْدَارِ كَفِّكَ تَطْلُبُ
٧٦	البيسيط	إِلَى الَّذِي تَهَبُ الدُّوَلَاتِ رَاحَتَهُ وَلَا يَمُنُّ عَلَى آثَارِ مَوْهُوبِ
٧٨	الطويل	وَمَا شِئْتُ إِلَّا أَنْ أَدُلَّ عَوَاذِي عَلَى أَنْ رَأَيْتُ فِي هَوَاكَ صَوَابُ
٨٩	الطويل	وَمَنْ صَحِبَ الدُّنْيَا طَوِيلًا تَقَلَّبَتْ عَلَى عَيْنِهِ حَتَّى يَرَى صِدْقَهَا كِذْبَا
٩٤	الطويل	لَلْخَوْدِ مِنِّي سَاعَةٌ ثُمَّ بَيْنَنَا فَلَاةٌ إِلَى غَيْرِ اللَّقَاءِ تُجَابُ
١٠٠	الطويل	وَفَتَانَةَ الْعَيْنِينَ قَتَالَةَ الْهُوَى إِذَا نَفَحَتْ شَيْخًا رَوَّاحُهَا شَبَا
١٠٢	البيسيط	دَمْعٌ جَرَى فَقَضَى فِي الرَّبْعِ مَا وَجَبَا لِأَهْلِهِ وَشَفَى أَنِّي وَلَا لِكُرْبَا
١٠٤	البيسيط	مَنْ الْجَاذِرُ فِي زِيِّ الْأَعَارِبِ حُمْرَ الْحَلَى وَالْمَطَايَا وَالْجَلَابِبِ
١٠٧	الطويل	لَقَدْ لَعِبَ الْبَيْنُ الْمَشْتُ بِمَا وَبِي وَزَوَّدَنِي فِي السَّيْرِ مَا زَوَّدَ الضَّبَا
١١١	الطويل	أَعِيدُوا صَبَاحِي فَهَوَ عِنْدَ الْكَوَاعِبِ وَرُدُّوا رُقَادِي فَهَوَ لِحْظُ الْحَبَائِبِ
١١٢	البيسيط	دَارُ الْمَلِمِّ لَهَا طَيْفٌ تَهَدَّدَنِي لِيَلًا فَمَا صَدَقْتُ عَيْنِي وَلَا كَذْبَا

الصفحة	البحر	القافية
١٠٧	الطويل	فِيَا شَوْقُ مَا أَبْقَى وَيَا لِي مِنَ التَّوَى وَيَا دَمْعُ مَا أَجْرَى وَيَا قَلْبُ مَا أَصْبَى
١١٣	البيسط	أَنَأَيْتُهُ فَدَنَا، أَدْنَيْتُهُ فَنَأَى، جَمَشْتُهُ فَنَبَا، قَبْلْتُهُ فـأَبَى
١١٦	الطويل	وَمَا أَنَا بِالْبَاغِي عَلَى الْحُبِّ رَشْوَةً ضَعِيفُ هَوَى يُبْعَى عَلَيْهِ ثَوَابُ
١٣٧	الطويل	وَقَدْ يَتْرُكُ النَّفْسَ الَّتِي لَا تَهَابُهُ وَيَخْتَرِمُ النَّفْسَ الَّتِي تَتَهَيَّبُ
١٣٧	الطويل	أَرَى كُلَّنَا يَبْغِي الْحَيَاةَ لِنَفْسِهِ حَرِيصًا عَلَيْهَا مُسْتَهَامًا بِهَا صَبًا
١٤٤	الوافر	يَهْزُ الْجَيْشُ حَوْلَكَ جَانِبِيهِ كَمَا نَفَضَتْ جَنَاحِيهَا الْعُقَابُ
١٠٧	الطويل	لَقَدْ لَعِبَ الْبَيْنُ الْمَشْتُ بِمَا وَبِي وَزَوَّدَنِي فِي السَّيْرِ مَا زَوَّدَ الضَّبَّ
١٤٤	الكامل	وَبَسْمَنَ عَن بَرْدٍ خَشِيتُ أُذْيِيهِ مِنْ حَرِّ أَنْفَاسِي فَكُنْتُ الذَّائِبَا
١٤٥	الطويل	إِذَا الدَّوْلَةُ اسْتَكْفَتْ بِهِ فِي مُلِمَّةٍ كَفَاهَا فَكَانَ السَّيْفَ وَالْكَفَّ وَالْقَلْبَا
١٤٩	الوافر	فَمَسَاهُمْ وَبَسَطَهُمْ حَرِيرٌ وَصَبَّحَهُمْ وَبَسَطَهُمْ تُرَابُ
١٥٣	الطويل	وَمَا لِي إِذَا مَا اشْتَقْتُ أَبْصَرْتُ دُونَهُ تَنَائِفَ لَا اشْتَأَقُهَا وَسَبَّاسِبَا
١٥٥	البيسط	فَلَا تَنَلِّكَ اللَّيَالِي، إِنَّ أَيْدِيهَا إِذَا ضَرَبْنَ كَسَرْنَ النَّبْعَ بِالْعَرَبِ
١٥٨	الطويل	وَكَلُّ امْرِئٍ يُولِي الْجَمِيلَ مُحِبُّهُ وَكُلُّ مَكَانٍ يُنْبِتُ الْعِزَّ طَيِّبُ
١٥٩	المتقارب	فَهَمَّتُ الْكِتَابَ أَبْرَ الْكُتُبِ فَسَمِعًا لِأَمْرِ أَمِيرِ الْعَرَبِ
١٥٩	الوافر	لِعَيْنِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْكَ حَظٌّ تَحِيرٌ مِنْهُ فِي أَمْرِ عَجَابِ
قافية التاء		
١٦	الكامل	لَا خَلْقَ أَسْمَحُ مِنْكَ إِلَّا عَارِفٌ بِكَ رَأَى نَفْسَكَ لَمْ يَقُلْ لَكَ هَاتِيهَا
قافية الجيم		
١٨	الوافر	بَأَرْضٍ تَهْلِكُ الْأَشْوَاطُ فِيهَا إِذَا مَلَّتْ مِنَ الرِّكْضِ الْفُرُوجِ
قافية الحاء		
٢٦	الكامل	لَمَّا تَقَطَّعَتْ الْحُمُولُ تَقَطَّعَتْ نَفْسِي أَسَى وَكَأَنَّهُنَّ طُلُوحُ
قافية الدال		
١٢٠	الوافر	أَحَادُ أَمْ سُدَّاسٌ فِي أَحَادٍ لِيَلْتَنَا الْمُنُوطَةُ بِالتَّنَادِي
١٥	الطويل	وَلَكِنْ تَفُوقُ النَّاسَ رَأْيًا وَحِكْمَةً كَمَا فُقَّتْهُمْ حَالًا وَنَفْسًا وَمَحْتِدًا

الصفحة	البحر	القافية
٢٥	الخفيف	أَنَا فِي أُمَّةٍ تَدَارَكَهَا اللَّـمُ هُ غَرِيبٌ كَصَالِحٍ فِي ثَمُودٍ
١٢١	الطويل	مَا مُقَامِي بِأَرْضٍ نَخْلَةٌ إِلَّا كَمُقَامِ الْمَسِيحِ بَيْنَ الْيَهُودِ
١٢٨	الخفيف	إِنْ أَكُنْ مُعْجَبًا فَعُجْبٌ عَجِيبٌ لَمْ يَجِدْ فَوْقَ نَفْسِهِ مِنْ مَزِيدٍ
٣٩	الخفيف	لَا بِقَوْمِي شَرَفْتُ بَلْ شَرَفُوا بِي وَبِنَفْسِي فَخَرْتُ لَا بِجُدُودِي
١٢٩	الوافر	مَتَى مَا زِدَدْتُ مِنْ بَعْدِ التَّنَاهِي فَقَدْ وَقَعَ انْتِقَاصِي فِي ازْدِيَادِي
١٣٤	الخفيف	فَاسْقِنِيهَا فِدَى لِعَيْنِكَ نَفْسِي مِنْ غَزَالٍ وَطَارِفِي وَتَلِيدِي
٤٢	الوافر	وَمَا مَاضِي الشَّبَابِ مُسْتَرَدٌّ وَلَا يَوْمٌ يَمُرُّ بِمُسْتَعَادٍ
٩٤	البيسيط	لَمْ يَتْرِكِ الدَّهْرُ مِنْ قَلْبِي وَلَا كَبْدِي شَيْئًا تُتِمِّمُهُ عَيْنٌ وَلَا جِيدٌ
١٣٢	الخفيف	أَيْنَ فَضْلِي إِذَا قَنَعْتُ مِنَ الدَّهْرِ — رِ بَعِيشٍ مُعْجَلِ التَّنْكِيدِ
١٣٢	الكامل	مَنْ حَصَّ بِالذَّمِّ الْفِرَاقَ فَإِنِّي مَنْ لَا يَرَى فِي الدَّهْرِ شَيْئًا يُحْمَدُ
١٣٣	الوافر	وَشُغْلُ النَّفْسِ عَنِ طَلَبِ الْمَعَالِي بِبَيْعِ الشَّعْرِ فِي سَوْقِ الْكَسَادِ
١٢٤	الخفيف	كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الدَّمَاءِ حَرَامٌ شُرْبُهُ مَا خَلَا ابْنَةَ الْعُنُقُودِ
١٨	البيسيط	قَالَتْ عَنِ الرَّفْدِ طِبُّ نَفْسًا فَقُلْتُ لَهَا لَا يَصْدُرُ الْحُرُّ إِلَّا بَعْدَ مَوْرِدِهِ
١٨	البيسيط	مَا يَقْبِضُ الْمَوْتَ نَفْسًا مِنْ نَفْسِهِمْ إِلَّا وَفِي يَدِهِ مِنْ تَنْنِهَا عُوْدٌ
١٨	الخفيف	وَأَرَادَتْهُ أَنْفُسٌ حَالَ تَدْيِي— — رُكَّ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمُرَادِ
٢٠	الطويل	وَتَنَسَّبُ أَفْعَالُ السُّيُوفِ نَفُوسَهَا إِلَيْهِ وَيَنْسُبْنَ السُّيُوفَ إِلَى الْهِنْدِ
٢٢	الخفيف	وَأَحَقُّ الْعُيُوثِ نَفْسًا بِجَمْدٍ فِي زَمَانٍ كُلِّ النَّفُوسِ جَرَادُهُ
٢٤	الوافر	وَشُغْلُ النَّفْسِ عَنِ طَلَبِ الْمَعَالِي بِبَيْعِ الشَّعْرِ فِي سَوْقِ الْكَسَادِ
٢٥	الطويل	لَوْ فَارَقَتْ نَفْسِي إِلَيْكَ حَيَاتِهَا لَقُلْتُ أَصَابَتْ غَيْرَ مَذْمُومَةِ الْعَهْدِ
٢٥	البيسيط	إِذَا أَرَدْتُ كُمَيْتَ اللَّوْنِ صَافِيَةً وَجَدْتُهَا وَحَبِيبُ النَّفْسِ مَفْقُودٌ
٢٥	المتقارب	أَلْهَجَ نَفْسِي لِغَيْرِ الْخَنَا بِحُبِّ ذَوَاتِ اللَّمَى وَالنَّهْودِ
٢٥	المتقارب	وَفِي جُودِ كَفَيْكَ مَا جُدْتُ لِي بِنَفْسِي وَلَوْ كُنْتُ أَشَقَى ثَمُودِ
٢٧	الطويل	وَأَكْبَرُ نَفْسِي عَنِ جَزَاءِ بَغِيَّةٍ وَكُلُّ اغْتِيَابٍ جُهْدٌ مَنْ مَا لَهُ جُهْدٌ
٢٧	الطويل	بِنَفْسِي الَّذِي لَا يُزِدْهُنَّ بِخَدِيعَةٍ وَإِنْ كَثُرَتْ فِيهَا الذَّرَائِعُ وَالْقَصْدُ

الصفحة	البحر	القافية
٢٨	الطويل	وأوردُ نفسي والمهندُ في يدي مَوارِدَ لا يُصدِرُنَ مَنْ لا يُجالِدُ
٣٣	الخفيف	أبداً أقطع البلادَ ونحمي في نُحوسٍ وهَمَّتي في سُعودِ
٣٤	الطويل	فلم أرَ قبلي مَنْ مَشَى البحرُ نحوَهُ ولا رَجُلًا قامَتِ تُعانِقُهُ الأَسَدُ
٣٤	الخفيف	إن أكنُّ مُعجَباً فَعُجِبُ عَجيبُ لَمْ يَجِدْ فَوْقَ نَفْسِهِ مِنْ مَزِيدِ
٨٧	الطويل	وكلُّ يَرَى طُرُقَ الشَّجَاعَةِ والنَّدَى ولَكِنَّ طَبَعَ النَّفْسِ لِلنَّفْسِ قَائِدُ
١٣٢	الخفيف	أينَ فضلي إذا قَنَعْتُ مِنَ الدَّهْرِ — رَبِّ بَعِيشٍ مُعَجَّلِ التَّنَكِّي —
٣٠	الطويل	وَأَتَعَبُ خَلَقَ اللهُ مَنْ زَادَ هَمُّهُ وَقَصَّرَ عَمَّا تَشْتَهِي النَّفْسُ وَجَدُّهُ
٣٦	الطويل	وَدَبَّرَهُ تَدْبِيرَ الَّذِي المَجْدُ كَفَّهُ إِذَا حَارَبَ الأَعْدَاءَ وَالْمَالَ زَنَدُهُ
٣٩	الخفيف	أبداً أقطع البِلادَ ونحمي في نُحوسٍ وهَمَّتي في سُعودِ
٤١	الوافر	وشغَلُ النَّفْسِ عَنِ طَلَبِ المَعَالِي بِبيعِ الشَّعْرِ فِي سَوقِ الكَسَادِ
٤٢	الطويل	أذمُّ إلى هذا الزَّمَانِ أَهْيَلُهُ فَأَعْلَمُهُمْ فَذمُّ وَأَحْزَمُهُمْ وَغَدُ
٤٧	الخفيف	مَفْرَشِي صَهْوَةَ الحِصَانِ وَلَكِ — مَنْ قَمِيصِي مَسْرُودَةٌ مِنْ حَدِيدِ
٤٧	الطويل	أُحِبُّكَ يَا شَمْسَ الزَّمَانِ وَبَدْرَهُ وَإِنْ لَامَنِي فِيكَ السُّهَى وَالْفِرَاقِدُ
٧٧	الطويل	وَأَمْضَى سِلاحِ قَلَدِ المَرْءِ نَفْسَهُ رَجَاءُ أَبِي المِسْكِ الكَرِيمِ وَقَصْدُهُ
٧٧	الطويل	وَمَا رَغَبْتِي فِي عَسَجِدِ اسْتَفِيدُهُ وَلَكِنَّهَا فِي مَفْخَرِ اسْتَجِدَّهُ
٧٩	البيسيط	لا تَشْتَرِ العَبْدَ إِلَّا وَالعَصَا مَعَهُ إِنَّ العَبِيدَ لِأَنْجَاسٍ مَنَّا كِيدُ
٨٧	الطويل	وكلُّ يَرَى طُرُقَ الشَّجَاعَةِ والنَّدَى ولَكِنَّ طَبَعَ النَّفْسِ لِلنَّفْسِ قَائِدُ
٨٧	الخفيف	فَفَدَى رَأْيِكَ الَّذِي لَمْ تُفْذِهِ كُلُّ رَأْيٍ مُعَلِّمٍ مُسْتَفَادِ
٨٩	الطويل	وَمَا قَتَلَ الأَحْرَارَ كالعَفْوِ عَنْهُمْ وَمَنْ لَكَ بِالْحُرِّ الَّذِي يُحْفَظُ اليَدَا
٩٣	الطويل	وَمَنْ نَكَدِ الدُّنْيَا عَلَى الحُرِّ أَنْ يَرَى عَدُوًّا لَهُ مَا مِنْ صَدَقَاتِهِ بُدُّ وَمَنْ نَكَدِ الدُّنْيَا عَلَى الحُرِّ أَنْ يَرَى عَدُوًّا لَهُ مَا مِنْ صَدَقَاتِهِ بُدُّ
٩٤	البيسيط	وَلَا العُلَى لَمْ تُجِبْ بِي مَا أَجُوبُ بِهَا وَجَنَاءَ حَرْفٍ وَلَا جَرْدَاءُ قَيْدُودُ
٩٧	الخفيف	ذاتِ فَرَعٍ كَأَتَمَّا ضَرَبَ العَنَدَ سَبْرُ فِيهِ بِمَاءِ وَرْدٍ وَعُودِ
٩٨	الكامل	قالتُ وقد رأتِ اصْفَهْراري مِنْ بِهِ وَتَنَهَّدتُ فَأَجَبْتُهَا المُتَنَهَّدُ
١٠٩	المتقارب	وأغرَى الصَّبَابَةَ بالعَاشِقِينَ وأَقْتَلَهَا لِلْمُحِبِّ العَمِيْدِ

الصفحة	البحر	القافية
١١٠	الطويل	أودُّ مِنَ الأَيَّامِ مَا لَا تَوَدُّهُ وَأَشْكُو إِلَيْهَا بَيْنَنَا وَهِيَ جُنْدُهُ
١١٠	الطويل	أَبَى خُلُقِ الدُّنْيَا حَبِيْبًا تُدِيْمُهُ فَمَا طَلَبِي مِنْهَا حَبِيْبًا تَرُدُّهُ
٢٥	المتقارب	وَأَلْهَجَ نَفْسِي لِعَبْرِ الخَنَا بِحُبِّ ذَوَاتِ اللَّمَى والنَّهْوِ
١١١	الخفيف	بَسُّ اللَّيَالِي سَهَدَتْ مِنْ طَرْبٍ شَوْقًا إِلَى مَنْ بَيِّتُ يَرْقُدُهَا
١١١	الطويل	سَهَادُ أَتَانَا مِنْكَ فِي العَيْنِ عِنْدَنَا رُقَادٌ وَقَلَامٌ رَعَى سَرْبِكَ—مٌ وَرَدٌ
١١٢	الخفيف	حَكَيْتُ يَا لَيْلُ فَرَعَهَا الوَارِدُ فَاحِكُ نَوَاهَا لِحَفْنِي السَّاهِدُ
١١٤	الخفيف	يَا عَادِلَ العَاشِقِينَ دَعُ فِتْنَةً أَضَلَّهَا اللهُ كَيْفَ تُرْشِدُهَا
١٢٧	الطويل	وَكَلُّ يَرَى طُرُقَ الشَّجَاعَةِ والنَّدَى وَلَكِنْ طَبَعَ النَّفْسِ لِلنَّفْسِ قَائِدُ
١٣٧	الطويل	وَقَيَّدَتْ نَفْسِي فِي ذِرَاكَ مَحَبَّةً وَمَنْ وَجَدَ الإِحْسَانَ قَيِّدًا تَقَيَّدَا
١٤٩	البيسيط	نَامَتْ نَوَاطِيرُ مِصْرٍ عَن تَعَالِيهَا فَقَدْ بَشِمْنَ وَمَا تَفْنَى العِنَاقِيدُ
١٥٢	الخفيف	وَخَوْضِهِ غَمْرٌ كُلُّ مَهْلِكَةٍ لِلذَّمْرِ فِيهَا فُوَادُ رَعْدِيدِ
١٥٣	الطويل	تُنَكَّسُهُمُ وَالسَّابِقَاتُ جِبَالُهُمْ وَتَطْعَنُ فِيهِمُ وَالرَّمَا حُ المَكَايِدُ
١٥٦	الطويل	وَأَنَّ ذَا الأَسْوَدَ المَتَّقُوبَ مَشْفَرُهُ تُطِيعُهُ ذِي العَضَارِي طُ الرِّعَادِيدِ
١٥٨	الطويل	وَمَنْ نَكَدِ الدُّنْيَا عَلَى الحُرِّ أَنْ يَرَى عَدُوًّا لَهُ مَا مِنْ صَدَاقَتِهِ بُدُ
١٥٨	الطويل	وَتُحْيِي لَهُ المَالَ الصَّوَارِمُ وَالقَنَا وَيَقْتُلُ مَا تَحْيِي التَّبَسُّمُ وَالجَدَا
١٥٩	الطويل	رَأَيْتِكَ مُحْضَ الحِلْمِ فِي مُحْضِ قُدْرَةٍ وَلَوْ شِئْتَ كَانَ الحِلْمُ مِنْكَ المُهَنْدَا
١٦٦	الطويل	أودُّ مِنَ الأَيَّامِ مَا لَا تَوَدُّهُ وَأَشْكُو إِلَيْهَا بَيْنَنَا وَهِيَ جُنْدُهُ
قافية الرءاء		
١٢٣	الكامل	مَنْ مُبْلِغُ الأَعْرَابِ أَتَى بَعْدَهَا جَالَسْتُ رِسطَالِيْسَ وَالإِسْكَندَرَا
١٢٥	الوافر	أَوَانًا فِي بُيُوتِ البَدْوِ رَحْلِي وَأَوْنَةً عَلَى قَتَدِ البَعْرِ—يِرِ
١٤	الطويل	ذَرِ النَّفْسَ تَأْخُذُ وَسَعَهَا قَبْلَ بَيْنِهَا فَمُفْتَرِقُ جَارَانِ دَارُهُمَا العُمْرُ
٢٥	البيسيط	يَا مَنْ تَحَكَّمَ فِي نَفْسِي فَعَدَّبَنِي وَمَنْ فُوَادِي عَلَى قَتْلِي يُضَافِرُهُ
٢٧	الوافر	وَنَفْسٍ لَا تُجِيبُ إِلَى خَسِيْسٍ وَعَيْنٍ لَا تُدَارُ عَلَى نَظِيرِ
٢٧	الخفيف	تَرُكُ مَدْحِيكَ كَالِهِيْجَاءِ لِنَفْسِي وَقَلِيلٌ لَكَ المَدِيْحُ الكَثِيرُ

الصفحة	البحر	القافية
٢٨	المتقارب	أَصْرَفُ نَفْسِي كَمَا أَشْتَهِي وَأَمْلِكُهَا وَالْقَنَا أَحْمَرُ
٢٩	الطويل	أَنَا مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ أَطِيبُ مَتْرَلًا وَأَسْرُّ رَاحِلَةً وَأَرْبِحُ مَتَجْرًا
٤٢	الوافر	وما ماضي الشبابِ مُسْتَرَدُّ ولا يَوْمٌ يَمُرُّ بِمُسْتَعَادِ
٤٨	الطويل	أَطَاعِنُ خَيْلًا مِنْ فَوَارِسِهَا الدَّهْرُ وَحِيدًا وَمَا قَوْلِي كَذَا وَمَعِيَ الصَّبْرُ
١٢٠		فلم يستر يثـــــــوك حتى رميت فوق الرجاء خصالاً عشارا
٦١	الكامل	كُنْ حَيْثُ شِئْتَ فَمَا تَحُولُ تَنُوفَةٌ دُونَ اللَّقَاءِ وَلَا يَشِيطُ مَزَارُ
٩٢	الطويل	فصرح بمن تموى ودعنا من الكنى فلا خير في اللذات من دونها ستر
٩٦	الكامل	بأبي وأمي ناطقٌ في لفظه ثمنٌ تباغ به القلوب وتشتري
٩٩	البسيط	لَوْلا ظِبَاءُ عَدِيٍّ مَا شَغِفْتُ بِهِمْ وَلَا بَرَبْرَبِهِمْ لَوْلا جَـآذِرُهُ
١٠٠	الطويل	رَأَيْنَ الَّتِي لِلسِّحْرِ فِي لِحْظَاتِهَا سُيُوفٌ ظَبَاهَا مِنْ دَمِي أَبَدًا حُمْرُ
١١٥	المتقارب	أرى ذلك القرب صار ازوراراً وصار طويل السلام اختصاراً
١٤١	الخفيف	اخترت دهماءتين يا مطرُ ومن له في الفضائل الخيرُ
١٥٥	الوافر	فقرحت المقاوِدُ ذَفْرِييَهَا وصعر خدّها هذا العذارُ
قافية السين		
١٢١	الكامل	لو كان ذو القرين أعمَلَ رأيه لما أتى الظلمات صبرن شُموساً
١٣٣	الوافر	ألذُّ من المدام الخندريسِ وأحلى من معاطاة الكؤوسِ
١٥٠	الكامل	لما وجدت دواء دائي عندها هانت على صفحات جالينوسا
٩٣	الوافر	مُعَاطَاةُ الصَّفَائِحِ وَالْعَوَالِي وإقحامي خميساً في خميسي
١٨	السريع	وإن عراك الشك في نفسه بحاله فانظر إلى جنسه
١٩	المتقارب	أحبُّ امرئٍ حبَّتِ الأنفُسُ وأطيب ما شمه معطسُ
٧٥	المديد	لا ترج الخير عند امرئٍ مرت يد النخاس في رأسه
٩٣	الوافر	فموتني في الوغى عيشي لأني رأيت العيش في أرب النفوسِ
١٠٧	الكامل	إن كنت ظاعنة فإن مدامعي تكفي مزادكم وتروي العيسا
قافية الصاد		

الصفحة	البحر	القافية
١٤٥	الكامل	فَعَلَتْ بِنَا فِعْلَ السَّمَاءِ بِأَرْضِهِ خَلَعُ الْأَمِيرِ وَحَقَّهُ لَمْ نَقْضِهِ
قافية العين		
١٣٢	الخفيف	قُبْحًا لَوْجَهَكَ يَا زَمَانَ فَإِنَّهُ وَجْهٌ لَهُ مِنْ كُلِّ قُبْحٍ بُرُقُ
١٠	الوافر	أَخِفْتَ اللَّهُ فِي إِحْيَاءِ نَفْسٍ مَتَى عَصِيَّ الْإِلَهِ؟ هُءُ بَانَ أُطِيعَا
١٠	الطويل	إِذَا عَرَضَتْ حَاجٌ إِلَيْهِ فَنَفْسُهُ إِلَى نَفْسِهِ فِيهَا شَفِيعٌ مُشَفِّعٌ
٢٧	البيسط	وَمَا الْحَيَاةُ وَنَفْسِي بَعْدَمَا عَلِمْتُ أَنَّ الْحَيَاةَ كَمَا لَا تَشْتَهِي طَبْعُ
٢٨	الكامل	إِنِّي لِأَجْبُنُ عَنْ فِرَاقِ أَحِبَّتِي وَتُحِسُّ نَفْسِي بِالْحِمَامِ فَأَشْجَعُ
٣٠	الكامل	وَلَمَنْ يُغَالِطُ فِي الْحَقَائِقِ نَفْسَهُ وَيَسُومُهَا طَلَبَ الْمُحَالِ فَتَطْمَعُ
٥٢	البيسط	أَطْرَحُ الْمَجْدَ عَنْ كِتْفِي وَأَطْلُبُهُ وَأَتْرِكُ الْعَيْثَ فِي غِمْدِي وَأَنْتَجِعُ
٦٤	الطويل	وَأَتْرِكُ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْمَلِكِ الرِّضَا كَرِيمِ الْحَيَاةِ أَرُوعَا وَابْنَ أَرُوعِ
٦٤	الطويل	تَظَلُّ إِذَا مَا جِئْتَهُ الدَّهْرُ آمِنَا بِخَيْرِ مَكَانٍ بَلْ بِأَشْرَفِ مَوْضِعِ
٨٣	الكامل	أَيْدٍ مُقَطَّعَةٌ حَوَالِي رَأْسِهِ وَقَفَاً يَصِيحُ بِهَا: أَلَا مَنْ يَصْنَعُ
٩٧	الكامل	نَشَرَتْ ثَلَاثَ ذَوَائِبٍ مِنْ شَعْرِهَا فِي لَيْلَةٍ فَأَرَتْ لَيْالِي أَرْبَعَا
٩٩	الطويل	أَشَارُوا بِتَسْلِيمٍ فَجُ—دَنَا بِأَنْفُسٍ تَسِيلُ مِنَ الْأَمَاقِ وَالسَّ—مُ أَدْمَعُ
١٠٧	الكامل	قَدْ كَانَ يَمْنَعُنِي الْحَيَاءُ مِنَ الْبُكَاءِ فَالْيَوْمَ يَمْنَعُهُ الْبُكَاءُ أَنْ يَمْنَعَا
١٠٦	الكامل	مَا زِلْتُ أَحْذَرُ مِنْ وَدَاعِكَ جَاهِدًا حَتَّى اغْتَدَى أَسْفِي عَلَى التَّوَدِّيعِ
١١٠	الكامل	شَوْقِي إِلَيْكَ نَفَى لَدَيْدَ هُجُوعِي فَارَقْتَنِي وَأَقَامَ بَيْنَ ضُلُوعِي
١١٢	الطويل	بِمَا بَيْنَ جَنَبِيَّ الَّتِي خَ—اضَ طَيْفُهَا إِلَى الدِّيَاجِي وَالْخَلْيُونِ هُجَّعُ
١١٥	الوافر	مُلِثَ الْقَطْرِ أَعْطَشَهَا رُبُوعَا وَالْأَسْقِيهَا السَّمَّ النَّقِيعَا
١١٥	الوافر	أَسْ—أَثَلَهَا عَنِ الْمَتَدِيرِيهَا لَا تُدْرِي وَلَا تُدْرِي دُمُوعَا
١٤٠	الكامل	وَاسْتَقْبَلْتَ قَمَرَ السَّمَاءِ بِوَجْهِهَا فَأَرْتَنِي الْقَمَرَيْنِ فِي وَقْتِ مَعَا
١٤١	الكامل	فَكَأَنَّهَا وَالِدَمْعُ يَقْطُرُ فَوْقَهَا ذَهَبٌ بِسِمْطِي لَوْلَا قَدْ رُصَّعَا
١٤٢	الوافر	كَأَنَّ نَقَابَهَا غَيْمٌ رَقِيقٌ يُضِيءُ بِمَنْعِهِ الْبَدْرَ الطُّلُوعَا
١٥٢	البيسط	رَضِيَتْ مِنْهُمْ بِأَنَّ زُرْتَ الْوَعْيَ فَرَأُوا وَأَنَّ قَرَعْتَ حَبِيكَ الْبَيْضَ فَاسْتَمَعُوا

الصفحة	البحر	القافية
قافية الفاء		
٢٤	الخفيف	كُنْ أَيُّهَا السَّحْنُ كَيْفَ شَتَّ فَقَدْ وَطَّنتُ لِلْمَوْتِ نَفْسَ مُعْتَرِفِ
٥٥	الطويل	وَنَفْسِي لَهُ نَفْسِي الْفِدَاءُ لِنَفْسِهِ وَلَكِنَّ بَعْضَ الْمَالِكِينَ عَنيفُ
قافية القاف		
١٧	الخفيف	أَنْتِ مِمَّا فَتَنْتِ نَفْسَكَ لَكِنَّ سَكِ عُوفِيَتِ مِنْ ضَنْئِي وَاشْتِيَاقِ
٣٣	الرجز	وَكُلَّ مَا قَدْ خَلَقَ اللَّـ هُ وَمَا لَمْ يُخْلَقِ
٨٨	الوافر	إِذَا مَا النَّاسُ حَرَّبَهُمْ لَيْبٌ فِيَّيَّ قَدْ أَكَلْتَهُمْ وَذَاقَا
٩٩	الطويل	وَأَعْيَدُ يَهْوَى نَفْسَهُ كُلُّ عَاقِلٍ عَفِيفٍ وَيَهْوَى جِسْمَهُ كُلُّ فَاسِقٍ
١٠٢	الوافر	أَيُّدْرِي الرَّبُّعُ أَيَّ دَمٍ أَرَاقَا وَأَيُّ قُلُوبٍ هَذَا الرَّكْبِ شَاقَا
١٠٢	الوافر	لَنَا وَلِأَهْلِهِ أَبَدًا قُلُوبٌ تَلَاقَى فِي جُسُومٍ مَا تَلَاقَى
١٠٩	الطويل	عَلَى ذَا مَضَى النَّاسُ اجْتِمَاعٌ وَفُرْقَةٌ وَمَيِّتٌ وَمَوْلُودٌ وَقَالَ وَوَامِقُ
١١٠	الكامل	أَرَقُّ عَلَى أَرَقٍ وَمِثْلِي يِيَّ أَرَقُ وَجَوْيُ يَزِيدُ وَعَيْرَةٌ تَتَرَقَّرُقُ
١١٢	الطويل	تَذَكَّرْتُ مَا بَيْنَ الْعُذِيبِ وَبَارِقِ مَجْرَرٍ عَوَالِينَا وَمَجْرَى السَّوَابِقِ
١١٤	الكامل	وَعَدَلْتُ أَهْلَ الْعِشْقِ حَتَّى دُقَّتْهُ فَعَجِبْتُ كَيْفَ يَمُوتُ مَنْ لَا يَعِشُقُ
١٥٤	الطويل	إِذَا مَا لَبَسْتَ الدَّهْرَ مُسْتَمْتِعًا بِهِ تَخَرَّقْتَ وَالْمَلْبُوسُ لَمْ يَتَخَرَّقِ
١٥٣	الطويل	وَأَقْبَلَ يَمْشِي فِي الْبِساطِ فَمَا دَرَى إِلَى الْبَحْرِ يَسْعَى أُمُّ إِلَى الْبَدْرِ يِرْتَقِي
قافية الكاف		
١١	الوافر	وَأَمَّا فِدَاءُكَ كُلِّ نَفْسٍ وَلَوْ كَانَتْ لِمَمْلَكَةٍ مَلَكَاتَا
٢١	الطويل	تَحَاسَدَتِ الْبُلْدَانُ حَتَّى لَوْ؟ نَهَا نُفُوسٌ لَسَارَ الشَّرْقِ وَالْعَرَبِ نُحُوكَا
٣٤	الوافر	وَكَمْ طَرِبَ الْمَسَامِعِ لَيْسَ يَدْرِي أَيُّعَجَبُ مِنْ ثَنَائِي أُمَّ عَلَاكََا
١٠١	البيسط	بَكَيْتُ يَا رَبُّعٌ حَتَّى كِدْتُ أُبْكِيكََا وَجُدْتُ بِي وَبَدَمَعِي فِي مَغَانِيكََا
١٠٣	الوافر	وَيَمْنَعُ نَعْرَهُ مِنْ كُلِّ صَبٍّ وَيَمْنَحُهُ الْبِشَامَةَ وَالْأَرَاكََا
قافية اللام		
١٢٠	الزجر	فوق الحماسي قليلاً يفضله أدرك عقلاً والرهان عمله
١٢١	الطويل	وكل أناس سوف تدخل بينهم دويهيّة تصفر منها الأنامل

الصفحة	البحر	القافية
١٢٤	الطويل	يَرُدُّ أَبُو الشَّيْبِلِ الحَمَيْسَ عَنِ ابْنِهِ وَيُسَلِّمُهُ عِنْدَ الوِلَادَةِ لِلتَّمَلِّ
٢٠	الطويل	أَلَا لَيْسَتْ الحَاجَاتُ إِلَّا نُفُوسَكُمُ وَلَيْسَ لَنَا إِلَّا السِّيُوفَ وَسَائِلُ
٧٣	الوافر	كَأَنَّ المَوْتَ لَمْ يَفْجَعْ بِنَفْسٍ وَلَمْ يَخْطُرْ لِمَخْلُوقٍ بِبِـبَالٍ
١٢	الخفيف	وَلَقَدْ رُمْتَ بِالسَّعَادَةِ بَعْضًا مِنَ نُفُوسِ العِدَى فَأَدْرَكَتْ كَلًّا
١١	الطويل	شَرِيكَ المَنَايَا وَالنَّفُوسِ غَنِيمَةً فَكُلُّ مَمَاتٍ لَمْ يُمِثَّهُ غُلُولُ
١٢	الوافر	وَأَشْرَفُ فَاحِرٍ نَفْسًا وَقَوْمًا وَأَكْرَمُ مُنْتَمٍ عَمَّا وَخَالًا
١٢	الطويل	وَوَيْلٌ لِنَفْسٍ حَاوَلَتْ مِنْكَ غَرَّةً وَطُوبَى لَعَيْنٍ سَاعَةً مِنْكَ لَا تَخْلُو
٢٣	البيسيط	حَتَّى وَصَلَتْ بِنَفْسٍ مَاتَ أَكْثَرُهَا وَلَيْتَنِي عِشْتُ مِنْهَا بِالَّذِي فَضَّلَا
١٤	الكامل	مُتَشَابَهُو رَعِ النَّفُوسِ كَبِيرُهُمْ وَصَغِيرُهُمْ عَفَّ الإِزَارِ حُلَاجِلُ
١٤	الطويل	إِذَا العَرَبُ العَرَبَاءُ رَازَتْ نُفُوسَهَا فَأَنْتَ فَتَاهَا وَالمَلِيكُ الحُلَاجِلُ
١٥	البيسيط	كَأَنَّ نَفْسَكَ لَا تَرْضَاكَ صَاحِبِهَا إِلَّا وَأَنْتَ عَلَى المِفْضَالِ مِفْضَالُ
١٥	الوافر	أَطَابَ النَّفْسَ أَتَى مِتَّ مَوْتًا تَمَنَّتُهُ البَوَاقِي وَالحَوَالِي
١٧	الطويل	وَمَنْ كَانَ ذَا نَفْسٍ كَنَفْسِكَ حَرَّةً فَفِيهِ لَهَا مَعْنٍ وَفِيهَا لَهُ مُسَلِّ
١٧	البيسيط	أَجْرَ الجِيَادِ عَلَى مَا كُنْتَ مُجْرِيهَا وَخُذْ بِنَفْسِكَ فِي أَخْلَاقِكَ الأَوَّلِ
١٧	الكامل	قَالَتْ فَلَا كَذَبَتْ شَجَاعَتُهُ أَقْدِمِ فَنَفْسِكَ مَا لَهَا أَجَلُ
١٩	الطويل	وَلَوْ لَمْ تَسِرْ سِرَّنَا إِلَيْكَ بِأَنْفُسٍ غَرَائِبٍ يُؤَثِّرُنَ الجِيَادَ عَلَى الأَهْلِ
١٩	الطويل	وَفِي كُلِّ نَفْسٍ مَا خَلَاهُ مَلَالَةٌ وَفِي كُلِّ سَيْفٍ مَا خَلَاهُ فُلُولُ
٢٠	الطويل	وَمَنْ لَمْ تُعَلِّمَهُ لَكَ الذَّلَّ نَفْسُهُ مَنْ النَّاسِ طَرًّا عَلَّمْتَهُ المَنَاصِلُ
٢١	البيسيط	تَجْرِي النَّفُوسُ حَوَالِيهِ مُخَلِّطَةً مِنْهَا عُدَاةٌ وَأَغْنَامٌ وَأَبَالُ
٢٢	الخفيف	فِي حَمَيْسٍ مِنَ الأَسْوَدِ بَتَيْسٍ يَفْتَرِسُنَ النَّفُوسَ وَالأَمْوَالَا
٢٣	الطويل	وَإِنَّا لَنَلْقَى الحَادِثَاتِ بِأَنْفُسٍ كَثِيرُ الرِّزَايَا عِنْدَهُنَّ قَلِيلُ
٢٩	الخفيف	وَلَذِيذُ الحَيَاةِ أَنْفُسُ فِي النَّفِّ سِ وَأَشْهَى مِنْ أَنْ يُمَلَّ وَأَحْلَى
٣٥	الطويل	أَمِطْ عَنْكَ تَشْبِيهِي بِمَا وَكَانَهُ فَمَا أَحَدٌ فَوْقِي وَلَا أَحَدٌ مِثْلِي
٣٦	الطويل	ذَرِبْنِي أُنَلُّ مَا لَا يُنَالُ مِنَ العُلَى فَصَعْبُ العُلَى فِي الصَّعْبِ وَالسَّهْلُ فِي السَّهْلِ

الصفحة	البحر	القافية
٢٩	الخفيف	وَإِذَا الشَّيْخُ قَالَ أَفَّ فَمَا مَـلَّ لِحَيَاةٍ وَإِنَّمَا الضَّعْفَ مَلًّا
٣٦	الطويل	تُرِيدِينَ لُقْيَانَ الْمَعَالِي رَحِيصَةً وَلَا بُدَّ دُونَ الشَّهْدِ مِنْ إِبْرِ النَّحْلِ
٤١	الطويل	تُحَقِّرُ عِنْدِي هِمَّتِي كُلَّ مَطْلَبٍ وَيَقْصُرُ فِي عَيْنِي الْمَدَى الْمُتَطَاوِلُ
٥٧	البسيط	لَوْلَا الْمَشَقَّةُ سَادَ النَّاسُ كُلَّهُمْ؛ أَلْجُودٌ يُفْقِرُ وَالْإِقْدَامُ قَتَالُ
٦٢	الوافر	وَنَدْعُوكَ الْحُسَامَ وَهَلْ حُسَامٌ يَعِيشُ بِهِ مِنَ الْمَوْتِ الْقَتِيلُ
٦٢	الوافر	حَيْدُ الرَّمْحِ عَنْكَ وَفِيهِ قَصْدٌ وَيَقْصُرُ أَنْ يَنَالَ وَفِيهِ طَوْلُ
٦٣	الكامل	جَيْشُكَ غَيْرَ أَنَّكَ حَيْشُهُ فِي قَلْبِهِ وَيَمِينِهِ وَشِمَالِهِ
٦٦		كَأَنِّي لَمْ أَرْكَبْ جَوَادًا لِلذَّةِ وَلَمْ أَتَبَطَّنْ كَاعْبَا ذَاتِ خَلْخَالِ
٧٠	المتقارب	وَإِنِّي لِأَعْشَقُ مِنْ أَجْلِكُمْ نُحُولِي وَكُلَّ أَمْرِيءِ نَاحِلِ
٧١	الخفيف	ذِي الْمَعَالِي فَلْيَعْلُونَ مَنْ تَعَالَى هَكَذَا هَكَذَا وَإِلَّا فَلَا لَا
٧٢	الرجز	إِنْ كُنْتَ عَنْ خَيْرِ الْأَنَامِ سَائِلًا فَخَيْرُهُمْ أَكْثَرُهُمْ فَضَائِلًا
٧٢	الطويل	أَلَسْتَ مِنَ الْقَوْمِ الْأَلَى مِنْ رِمَاحِهِمْ نَدَاهُمْ وَمِنْ قِتْلَاهُمْ مُهَجَّةُ الْبَخْلِ
٦٩	البسيط	إِنَّ الْهَمَامَ الَّذِي فَخِرَ الْأَنَامِ بِهِ خَيْرُ السِّيَوفِ بِكَفِّي خَيْرَةَ الدَّوَالِ
٦٩	الوافر	وَنَدْعُوكَ الْحُسَامَ وَهَلْ حُسَامٌ يَعِيشُ بِهِ مِنَ الْمَوْتِ الْقَتِيلُ
٨٧	الخفيف	أَبْلَغُ مَا يُطَلَّبُ النَّجَاحُ بِهِ الـ طَبْعُ وَعِنْدَ التَّعَمُّقِ الزَّلُّ
٨٧	البسيط	لَأَنَّ حِلْمَكَ حِلْمٌ لَا تَكَلَّفُهُ لَيْسَ التَّكْحَلُ فِي الْعَيْنَيْنِ كَالْتَّكْحَلِ
٨٨	المتقارب	يُرَادُ مِنَ الْقَلْبِ نَسْيَانُكُمْ وَتَأْبَى الطَّبَاعُ عَلَى النَّاقِلِ
٨٨	تجول	أَعَادَى عَلَى مَا يُوجِبُ الْحُبَّ لِلْفَتَى وَأَهْدَأُ وَالْأَفْكَارُ فِي تَجْوُلِ
٨٩	الخفيف	إِذَا صَدِيقٌ نَكَرَتْ جَانِبُهُ لَمْ تُعِينِي فِي فِرَاقِهِ الْحَيْلُ
٩١	الطويل	تُحَقِّرُ عِنْدِي هِمَّتِي كُلَّ مَطْلَبٍ وَيَقْصُرُ فِي عَيْنِي الْمَدَى الْمُتَطَاوِلُ
٩٢	الطويل	إِذَا عَدَلُوا فِيهَا أَحَبَّتْ بَأْتَةٌ: حُبِّيَّتِي قَلْبِي فُؤَادِي هِيَ جُمْلُ
٩٢	المديد	لَا تَحْسُنِ الْوَفْرَةَ حَتَّى تُرَى مَنْشُورَةَ الضُّفْرَيْنِ يَوْمَ الْقِتَالِ
٩٤	الطويل	مُحِبُّ كَنَى بِالْبَيْضِ عَنْ مُرْهَفَاتِهِ وَبِالْحُسْنِ فِي أَجْسَامِهِنَّ عَنِ الصَّقْلِ
٩٤	الخفيف	شِيمُ الْعَانِيَاتِ فِيهَا فَمَا أَدْرِي لِمَا أَتَتْ أَسْمَاهَا النَّاسُ أَمْ لَا

الصفحة	البحر	القافية
٩٧	الوافر	لَبَسْنَ الْوَشْيَ لَا مُتَجَمَّلَاتٍ ولكن كي يصن به الجـمالا
١٠١	الكامل	ولذا اسمُ أَعْطِيَةِ الْعُيُونِ جُفُونُهَا من أتها عمل السيوف عوامل
١٠٣	البيسط	مَتَى تَزُرُّ قَوْمَ مَنْ تَهْوَى زِيَارَتَهَا لا يُتَحْفُوكَ بغير البيض والأسل
١٠٧	الكامل	فِي الْخَدِّ أَنْ عَزَمَ الْخَلِيطُ رَحِيلًا مطر تزيد به الحدود محولا
١٠٧	الوافر	فَكَانَ مَسِيرُ عَيْسِهِمْ ذَمِيًّا وسير الدمع إثرهم انهمالا
١٠٨	البيسط	أَحْيَا وَأَيْسَرَ مَا قَاسَيْتُ مَا قَتَلَا والبين جار على ضعفي وما عدلا
١٠٩	البيسط	بِمَا بَجَفْنِيكَ مِنْ سِحْرِ صِلِي دَنَفًا يهوى الحياة وأما إن صددت فلا
١١٠	الخفيف	مَلُوءَةٌ مَا يَدُومُ لَيْسَ لَهَا من ملل دائم بما ملل
١١١	الطويل	لِيَالِي بَعْدَ الظَّاعِنِينَ شُكُّوْلُ طوال وكيل العاشقين طويل
١١١	الطويل	كَأَنَّ سَهَادَ اللَّيْلِ يَعَشَقُ مُقْلَتِي فبينهما في كل هجر لنا وصل
١١٣	الكامل	لَا الْحُلْمُ جَادَ بِهِ وَلَا بِمِثَالِهِ لولا اذكار وداعه وزياله
١١٣	المتقارب	إِلَامَ طَمَاعِيَةِ الْعَادِلِ ولا رأي في الحب للعاقل
١٤٠	الوافر	لَأَكْبَتَ حَاسِدًا وَأَرَى عَدُوًّا كأنهما وداعك والرحيل
١٤١	المتقارب	كَأَنَّ خَلَاصَ أَبِي وَاثِلِ معاودة القمر الأفل
١٤٢	الوافر	بَدَتْ قَمْرًا وَمَالَتْ خُوطَ بَانَ وفاحت عنبراً ورنّت غزالا
١٤٢	الخفيف	إِنَّمَا أَنْفُسُ الْأَنْبِيَاءِ سَبَاعُ يتفارسن جهرة وأغتبالا
١٤٣	الطويل	وَيَقْبَى عَلَى مَرِّ الْحَوَادِثِ صَبْرُهُ وَيِيدُو كما يبدو الفرند على الصقل
١٤٣	الخفيف	وَإِذَا اهْتَزَّ لِلنَّدَى كَانَ بَحْرًا وإذا اهتز للردى كان نصلا
١٤٤	الطويل	إِذَا كَانَ بَعْضُ النَّاسِ سَيْفًا لِدَوْلَةٍ ففي الناس بوقات لها وطبول
١٤٥	الوافر	فَإِنْ تَفَقَّ الْأَنَامُ وَأَنْتَ مِنْهُمْ فإن المسك بعض دم الغزال
١٤٨	الكامل	وَإِذَا تَعَثَّرَتِ الْجِيَادُ بِسَهْلِهِ برزت غير معثر بحباله
١٤٩	المتقارب	خَرَجْنَ مِنَ النَّقْعِ فِي عَارِضِ ومن عرق الركض في وابل
١٤٩	البيسط	مَا كَانَ نَوْمِي إِلَّا فَوْقَ مَعْرِفَتِي بأن رأيك لا يؤتى من الزلل
١٥١	المتقارب	وَأَنْبَتَ مِنْهُمْ رَيْعَ السَّبَاعِ فأنت بإحسانك الشامل

الصفحة	البحر	القافية
١٥١	الطويل	وريع له جيش العدو وما مشى وجاشت له الحرب الضروس وما تغلي
١٥٥	الخفيف	وقتل الزمان علماً فما يغـ رب قولاً ولا يجدد فعلاً
قافية الميم		
٥٦	البيسط	ألا فتى يورد الهندي هامة كَمَا تَزُولُ شَكُوكُ النَّاسِ وَالْتُهُمُ
١٢٢	الطويل	أجار على الأيام حتى ظننته يُطَالِبُهُ بِالرَّدِّ عَادٌ وَجَرُهُمُ
١٢٤	الكامل	لم يتروكوا لي صاحباً إلا الأسي وَذَمِيلَ ذِعْلَبَةَ كَفَحَلِ نَعَامِ
١٢٨	الخفيف	واقفاً تحت أخصي قدر نفسي واقفاً تحت أخصي الأنام
١٢٥	الطويل	برئي السرى برى المدى فرددني أخف على المركوب من نفسي جرمي
١٢٨	الطويل	وإني لمن قوم كأن نفوسهم بها أنف أن تسكن اللحم والعظام
١٣١	الطويل	فنب وثقا بالله وثبة ماجد يرى الموت في الهيحا جنى النحل في الفم
١٣١	البيسط	وقت يضيع وعمر ليت مدته في غير أمته من سالف الأمم
١٣٢	الوافر	أبنت الدهر عندي كل بنت فكيف وصلت أنت من الزحام
١٣٢	الطويل	ومن عرف الأيام معرفتي بها وبالناس روى رومه غير راحم
١٣٤	الكامل	وأخ لنا بعث الطلاق ألية لأعلن بهديه الخرطوم
١١	الطويل	على مهل إن كنت لست براحم لنفسك من جود فإتلك ثرحم
١٢	البيسط	في الجاهلية إلا أن أنفسهم من طيبهن به في الأشهر الحرم
١٢	الطويل	وإن نفوساً أمتك منيعة وإن دمماً أمتك حرام
١٣	البيسط	نفت رقاد علي عن محاجرهِ نفس يفرح نفساً غيرها الحلم
١٣	الطويل	تخرج عن حن الدماء كأنه يرى قتل نفس ترك رأس على جسم
١٣	الخفيف	تشرق أعراضهم وأوجههم كأنها في نفوسهم شيم
١٦	الطويل	فعيش لو فدى المملوك رباً بنفسه من الموت لم تفقد وفي الأرض مسلم
١٦	الكامل	وارفق بنفسك إن خلقك ناقص واستر أباك فإن أصلك مظلم
١٧	البيسط	ألزمت نفسك شيئاً ليس يلزمها أن لا يواريهم أرض ولا علم
٢٠	الخفيف	ونفوس إذا انبرت لقتال نفذت قبل ينفذ الإقدام

الصفحة	البحر	القافية
٢١	الطويل	أَبْتُ لَكَ ذَمِّي نَخْوَةً يَمِينِيَّةً وَنَفْسُ بِهَا فِي مَأْزِقٍ أَبَدًا تَرْمِي
٢١	البيسط	وَرَدَّ بَعْضُ الْقَنَا بَعْضًا مُقَارَعَةً كَأَنَّهَا مِنْ نُفُوسِ الْقَوْمِ فِي جَدَلٍ
٢٣	الكامل	لَهُوَى النُّفُوسِ سَرِيرَةٌ لَا تُعْلَمُ عَرَضًا نَظَرْتُ وَخَلْتُ أُنِي أُسَلِّمُ
٢٢	المتقارب	وَمَنْ ضَاقَتِ الْأَرْضُ عَنْ نَفْسِهِ حَرَى أَنْ يَضِيقَ بِهَا جِسْمَهُ
٢٤	البيسط	سُبْحَانَ خَالِقِ نَفْسِي كَيْفَ لَدُنَّهَا فِيمَا النُّفُوسُ تَرَاهُ غَايَةَ الْأَلَمِ
٢٤	البيسط	رِدِّي حِيَاضَ الرِّدَى يَا نَفْسِ وَأَتْرَكِي حِيَاضَ خَوْفِ الرِّدَى لِلشَّاءِ وَالتَّعَمِّ
٢٦	الطويل	أَجَارِكِ يَا أُسْدَ الْفَرَادِيسِ مُكْرَمُ فَتَسْكُنُ نَفْسِي أُمُّ مُهَانَ فَمُسَلَّمُ
٢٦	الخفيف	وَاقِفًا تَحْتَ أَحْمَصِي قَدْرٍ نَفْسِي وَاقِفًا تَحْتَ أَحْمَصِي الْأَنَامُ
٢٦	الطويل	كَذَا أَنَا يَا دُنْيَا إِذَا شِئْتَ فَادْهَبِي وَيَا نَفْسِ زِيدِي فِي كِرَائِهَا قُدَمَا
٢٨	الطويل	سَجِيَّةُ نَفْسٍ مَا تَزَالُ مُلِيحَةً مَنْ الضَّمِيمِ مَرْمِيًّا بِهَا كُلِّ مَخْرِمِ
٣١	الكامل	وَالظَّلْمُ مِنْ شِيَمِ النُّفُوسِ فَإِنْ تَجَدَّ ذَا عِفَّةٍ فَلِعَلَّةٍ لَا يَظْلَمُ
٣٤	البيسط	سَيَعْلَمُ الْجَمْعُ مِمَّنْ ضَمَّ مَجْلِسُنَا بِأَنِّي خَيْرٌ مَنْ تَسَعَى بِهِ قَدَمٌ
٣٥	الوافر	إِذَا غَامَرْتَ فِي شَرَفِ مَرُومٍ فَلَا تَقْنَعْ بِمَا دُونَ النُّجُومِ
٣٥	البيسط	مِيعَادُ كُلِّ رَقِيقِ الشُّفْرَتَيْنِ غَدًا وَمَنْ عَصَى مِنْ مَلُوكِ الْعُرْبِ وَالْعَجَمِ
٤٠	الطويل	تَعَرَّبَ لَا مُسْتَعْظِمًا غَيْرَ نَفْسِهِ وَلَا قَابِلًا إِلَّا لِخَالِقِهِ حُكْمًا
٣٨	الوافر	عَجِبْتُ لِمَنْ لَهُ قَدٌّ وَحَقٌّ وَيَبُوءُ نُبُوءَةَ الْقَضِيمِ الْكَهَامِ
٣٨	الخفيف	وَإِذَا كَانَتْ النُّفُوسُ كِبَارًا تَعَبَتْ فِي مُرَادِهَا الْأَجْسَامُ
١٥٩	الوافر	فَإِنْ أَمْرَضُ فَمَا مَرِضَ اصْطِبَارِي وَإِنْ أُحْمَمَ فَمَا حُمَّ اعْتِرَامِي
٤٠	البيسط	لِمِ اللَّيَالِي الَّتِي أَخْنَتَ عَلَيَّ جِدَّتِي بِرِيقَةِ الْحَالِ وَأَعْدِرْنِي وَلَا تَلْمُ
٤٠	البيسط	لَيْسَ التَّعَلُّلُ بِالْأَمَالِ مِنْ أَرَبِي وَلَا الْقَنَاعَةُ بِالْإِقْلَالِ مِنْ شِيَمِي
٨٨	الوافر	وَلَمَّا صَارَ وَدُّ النَّاسِ حَبًّا جَزَيْتُ عَلَى ابْتِسَامِ ابْتِسَامِ
١٥٩	الوافر	فَإِنْ أَمْرَضُ فَمَا مَرِضَ اصْطِبَارِي وَإِنْ أُحْمَمَ فَمَا حُمَّ اعْتِرَامِي
٤٧		إِلَى أَيِّ حِينٍ أَنْتَ فِي زِيٍّ مُحْرَمٍ وَحَتَّى مَتَى فِي شِقْوَةٍ وَإِلَى كَمِ
٤٨	الوافر	ذَكَرْتُ جَسِيمَ مَا طَلَبِي وَإِنَّا نُخَاطِرُ فِيهِ بِالْمُهْجِ الْجِسَامِ

الصفحة	البحر	القافية
٥٠	البيسيط	سَيَصْحَبُ التَّصْلُ مِني مِثْلَ مَضْرِبِهِ وَيَنْجَلِي خَبْرِي عَن صِمَّةِ الصَّمَمِ
٥٤	البيسيط	الْحَيْلُ وَاللَّيْلُ وَالْبَيْدَاءُ تُعْرِفُنِي وَالسَّيْفُ وَالرَّمْحُ وَالقَرطَاسُ وَالقَلَمُ
٥٦	البيسيط	أَلَا فَتَى يُورِدُ الْهِنْدِيَّ هَامَتَهُ كَيْمَا تَزُولُ شَكْوَى النَّاسِ وَالتُّهْمُ
٦٢	الطويل	وَفَاؤُكُمْ كَالرَّبْعِ أَشْجَاهُ طَاسِمِهِ بَأَنْ تُسْعِدَا وَالدَّمْعُ أَشْفَاهُ سَاجِمُهُ
٦٥	الطويل	وَقَفْتَ وَمَا فِي الْمَوْتِ شَكٌّ لَوَاقِفِ كَأَنَّكَ فِي جَفَنِ الرَّدَى وَهُوَ نَائِمٌ
٦٧	الخفيف	لَيْتَ أَنَا إِذَا ارْتَحَلْتَ لَكَ الْخَيْـ لُ وَأَنَا إِذَا نَزَلْتَ الْخِيَامُ
٧٠	البيسيط	وَاحٍ—رَ قَلْبَاهُ مِمَّنْ قَلْبُهُ شَبِمْ وَمَنْ بِجِسْمِي وَحَالِي عِنْدَهُ سَقَمٌ
٧٢	الطويل	عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ
٦٨	البيسيط	يُسَمَّى الْحُسَامَ وَلَيْسَتْ مِنْ مُشَابَهَةٍ وَكَيفَ يَشْتَبُهُ الْمَخْدُومُ وَالْخَدَمُ
٦٩	البيسيط	كُلُّ السَّيْفِ إِذَا طَالَ الضَّرَابُ بِهَا يَمَسُّهَا غَيْرَ سَيْفِ الدَّوَلَةِ السَّامُ
٧٥	البيسيط	مِنْ آيَةِ الطَّرْقِ يَأْتِي مِثْلَكَ الْكَرَمُ أَيْنَ الْمَاحِجِمْ يَا كَافُورُ وَالْجَلَمُ
٧٥	الوافر	أَمَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا كَرِيمٌ تَزُولُ بِهِ عَنِ الْقَلْبِ الْهَمُومُ
٧٧	الطويل	أَبَا الْمَسْكِ أَرْجُو مِنْكَ نَصْرًا عَلَى الْعِدَى وَأْمَلُ عِزًّا يَخْضِبُ الْبَيْضَ بِالْدَمِّ
٧٨	الطويل	وَمِثْلَكَ مَنْ كَانَ الْوَسِيطَ فُؤَادُهُ فَكَلَّمَهُ عَنِّي وَلَمْ أَتَكَلَّمِ
٨١	الكامل	يَحْمِي ابْنَ كَيْغَلِغِ الطَّرِيقِ وَعَرْسِهِ مَا بَيْنَ رِجْلَيْهَا الطَّرِيقِ الْأَعْظَمِ
٨٢	الكامل	يَمْشِي بِأَرْبَعَةٍ عَلَى أَعْقَابِهِ تَحْتَ الْعُلُوجِ وَمِنْ وَرَاءِ يَلْجَمِ
٨٤	الوافر	أَمَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا كَرِيمٌ تَزُولُ بِهِ عَنِ الْقَلْبِ الْهَمُومُ
٨٤	الوافر	فَهَلْ مِنْ عَازِرٍ فِي ذَا وَفِي ذَا فَمَدْفُوعٌ إِلَى السَّقَمِ السَّقِيمِ
٨٤	الكامل	وَلَقَدْ رَأَيْتُ الْحَادِثَاتِ فَلَا أَرَى يَقَقًا يُمِيتُ وَلَا سَوَادًا يَعْصِمُ
١٧٢	الكامل	وَالظَّلْمُ مِنْ شَيْمِ النَّفُوسِ فَإِنْ تَجَدُّ ذَا عِفَّةٍ فَلَعِ—لَّةٌ لَا يَظْلِمُ
٨٨	البيسيط	وَلَا تَشَكُّ إِلَى خَلْقٍ فَتَشْتَمُهُ شَكْوَى الْجَرِيحِ إِلَى الْغُرْبَانِ وَالرَّخَمِ
٨٨	الوافر	وَلَمَّا صَارَ وَدَّ النَّاسِ خِيَابًا جَزَيْتُ عَلَى ابْتِسَامِ بَابِتْسَامِ
٨٩	الطويل	إِذَا سَاءَ فِعْلُ الْمَرْءِ سَاءَتْ ظُنُونُهُ وَصَدَقَ مَا يَعْتَادُهُ مِنْ تَوَهُمِ
٩١	البيسيط	لَقَدْ تَصَبَّرْتُ حَتَّى لَاتَ مُصْطَبِرٌ فَالآنَ أَقْحَمُ حَتَّى لَاتَ مُقْتَحَمِ
٩٢	البيسيط	سُبْحَانَ خَالِقِ نَفْسِي كَيْفَ لَدَّتْهَا فِيمَا النَّفُوسُ تَرَاهُ غَايَةَ الْأَلَمِ

الصفحة	البحر	القافية
٩٣	الكامل	وَإِخْلَانًا لَنَا بَعَثَ الطَّلَاقَ أَلِيَّةً لَأَعْلَلَنَّ بِهِدِهِ الْخُرْطُومَ
٩٤	الخفيف	وَمَنْ خَبَرَ الْعَوَانِي فَالْعَوَانِي ضِيَاءٌ فِي بَوَاطِنِهِ ظَلَامٌ
٩٥	الطويل	إِذَا كَانَ مَدْحٌ فَالنَّسِيبُ الْمُقَدَّمُ أَكْلٌ فَصِيحٌ قَالَ شِعْرًا مُتَمِّمٌ
١٠١	الطويل	نَرَى عِظْمًا بِالْبَيْنِ وَالصَّدُّ أَعْظَمُ وَتَتَهُمُ الْوَاشِينَ وَالِدَمَّ عٌ مِنْهُمْ
١٠٣	الطويل	وَيُضْحِي عُبَارُ الْخَيْلِ أَدْنَى سَتُورِهِ وَأَخْرِهَا نَشْرُ الْكِبَاءِ الْمُلَازِمَةُ
١٠٣	الطويل	حَبِيبٌ كَأَنَّ الْحُسْنَ كَانَ يُحِبُّهُ فَأَتَرَهُ أَوْ جَارَ فِي الْحُسَنِ قَاسِمُهُ
١٠٩	الطويل	فَلَا يَتَّهَمُنِي الْكَاشِحُونَ فَإِنِّي رَعَيْتُ الرَّدَى حَتَّى حَلَّتْ لِي عَلاَقِمُهُ
٢٠	الكامل	أُرَوِّحُنَا أَهْمَلْتُمْ وَعِشْنَا بَعْدَهَا مَنْ بَعْدَ مَا قَطَرَتْ عَلَى الْأَقْدَامِ
١٠٣	الطويل	دِيَارُ اللَّوَاتِي دَارُهُنَّ عَزِيزَةٌ بِطُولِي الْقَنَا يُحْفَظْنَ لَا بِالتَّمَائِمِ
١٠٧	الكامل	مُتَلَا حِطِينَ نَسُحُ مَاءَ شُؤُونِنَا حَذَرًا مِنَ الرَّقَبَاءِ فِي الْأَكْمَامِ
١٠٨	الطويل	بَلَلْتُ بِهَا رُدْنِي وَالْعَيْمُ مُسْعِدِي وَعَبْرَتُهُ صِرْفٌ وَفِي عِبْرَتِي دَمٌ
١٠٨	الكامل	قَدْ كُنْتُ تَهْزَأُ بِالْفِرَاقِ مَجَانَةً وَتَجَرَّ ذَيْلِي شِرَّةً وَعَرَامِ
١٠٩	الطويل	أَنَا لَا تَمِي إِنْ كُنْتُ وَقْتُ اللَّوَائِمِ عَلِمْتُ بِمَا بِي بَيْنَ تِلْكَ الْمَعَالِمِ
١١٥	البيسيط	يَا أَعْدَلَ النَّاسِ إِلَّا فِي مُعَامَلَتِي فِيكَ الْخِصَامُ وَأَنْتَ الْخِصْمُ وَالْحَكْمُ
٣٨	الخفيف	وَإِذَا كَانَتْ النَّفُوسُ كِبَارًا تَعَبْتُ فِي مُرَادِهَا الْأَجْسَامُ
١٤٠	الخفيف	أَيْنَ أَرْمَعْتَ أَيُّهَذَا الْهُمَامُ؟ نَحْنُ نَبْتُ الرَّبِيِّ وَأَنْتَ الْغَمَامُ
١٤٥	الكامل	وَإِذَا أَشَارَ مُحَدِّثًا فَكَأَنَّهُ قِرْدٌ يُقَهِّقُهُ أَوْ عَجُوزٌ تَلْطِمُ
١٤٧	البيسيط	وَمُرْهَفٍ سَرْتُ بَيْنَ الْجَحْفَلِينَ بِهِ حَتَّى ضَرَبْتُ وَمَوْجُ الْمَوْتِ يَلْتَطِمُ
١٤٧	الطويل	تَسَاوَتْ بِهِ الْأَقْفَارُ حَتَّى كَأَنَّهُ يُجَمِّعُ أَشْتَاتَ الْجِبَالِ وَيَنْظِمُ
١٤٨	البيسيط	صَحِبْتُ فِي الْفَلَوَاتِ الْوَحْشَ مَنْفَرِدًا حَتَّى تَعَجَّبَ مِنِّي الْقُورُ وَالْأَكَمُ
١٥١	الطويل	وَأَحْسَنُ مِنْ مَاءِ الشَّيْبَةِ كُلِّهِ حَيًّا بَارِقَ فِي فَازَةٍ أَنَا شَائِمُهُ
١٥١	الطويل	سَلَكْتُ صُرُوفَ الدَّهْرِ حَتَّى لَقَيْتُهُ عَلَى ظَهْرِ عَزْمٍ مُؤَيَّدَاتِ قَوَائِمُهُ
١٥٢	الطويل	تَعَرَّضَ سَيْفُ الدَّوَلَةِ الدَّهْرَ كُلَّهُ يُطَبِّقُ فِي أَوْصَالِهِ وَيُصَمِّمُ
١٥٤	الطويل	خَمِيسٌ بِشَرْقِ الْأَرْضِ وَالْغَرْبِ زَحْفُهُ وَفِي أُذُنِ الْجَوْزَاءِ مِنْهُ زَمَارِمُ

الصفحة	البحر	القافية
١٥٦	البيسط	تَرْنُو إِلَى بَعِينِ الظُّبِيِّ مُجْهَشَةً وَتَمْسَحُ الطَّلَّ فَوْقَ الوَرْدِ بِالْعَنَمِ
١٥٨	الكامل	وَالهَمُّ يَخْتَرُمُ الجَسِيمَ نَحَافَةً وَيُشِيبُ نَاصِيَةَ الصَّبِيِّ وَيُهْرِمُ
١٥٩	البيسط	وَالأَعْوَجِيَّةُ مِلءُ الطَّرْقِ خَلْفَهُمْ وَالْمَشْرِفِيَّةُ مِلءُ اليَوْمِ فَوْقَهُمْ
١٦٢	البيسط	يَا مَنْ يَعِزُّ عَلَيْنَا أَنْ نُفَارِقَهُمْ وَجِدَانُنَا كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَكُمْ عَدَمٌ
١٦٣	البيسط	أَرَى النَّوَى يَقْتَضِينِي كُلَّ مَرَحَلَةٍ لَا تَسْتَقِلُّ بِهَا الوَخَادَةُ الرُّسْمُ
١٦٤	البيسط	وَمَا انْتِفَاعُ أَحْيِ الدُّنْيَا بِنَاطِرِهِ إِذَا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ الأَنْوَارُ وَالظُّلْمُ
١٦٥	الطويل	فِرَاقٌ وَمَنْ فَارَقْتُ غَيْرُ مَذْمَمٍ وَأُمَّ وَمَنْ يَمَّمْتُ خَيْرُ مِيَمٍ
قافية النون		
١٢٤	الوافر	بضرب هاج أطراب المنايا سوى ضرب المثلث والمثاني
١٣٣	المديد	يشعلني عنها وعن غيرها توطيني النفس ليوم الطعان
١٨	الطويل	وَدَى مَا جَنَى قَبْلَ المَبِيتِ بِنَفْسِهِ وَلَمْ يَدِهِ بِالجَامِلِ العَكَنَانِ
٢١	الكامل	وَلَمَّا تَفَاضَلَتِ النَّفُوسُ وَدَبَّرَتْ أَيْدِي الكُفَمَاةِ عَوَالِي المُرَانِ
٢٤	المديد	يشعلني عنها وعن غيرها توطيني النفس ليوم الطعان
٢٥	المتقارب	سَأَجْعَلُهُ حَكَمًا فِي النَّفُوسِ وَلَوْ نَابَ عَنْهُ لِسَانِي كَفَانِي
٢٦	البيسط	إِنِّي لِأَعْذِرُهُمْ مِمَّا أُعْتَفُهُمْ حَتَّى أُعْتَفُ نَفْسِي فِيهِمْ وَأَنِي
٢٨	الوافر	لَقَدْ عَلَّمْتُ نَفْسِي القَوْلَ فِيهِمْ كَتَعْلِيمِ الطَّرَادِ بِلا سِنَانِ
٣٠	الخفيف	وَمُرَادُ النَّفُوسِ أَصْعَرُ مِنْ أَنْ تَتَعَادَى فِيهِ وَأَنْ تَتَفَانَى
٣٣	البيسط	حَوْلِي بِكُلِّ مَكَانٍ مِنْهُمْ خَلْقٌ تُخْطِي إِذَا جِئْتَ فِي اسْتِفْهَامِهَا بَمَنْ
٣٤	البيسط	وَإِنَّمَا نَحْنُ فِي جَيْلٍ سَوَاسِيَةٍ شَرٌّ عَلَى الحُرِّ مِنْ سُقْمٍ عَلَى بَدَنِ
٣٥	الخفيف	كَانَ مِنْ نَفْسِهِ الكَبِيرَةِ فِي جِي— ش وَمِنْ كَبْرِيائِهِ فِي سُلْطَانِ
٣٧	البيسط	مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى المَرءُ يَدْرِكُهُ تَجْرِي الرِّيحُ بِمَا لَا تَشْتَهِي السَّفْنُ
٣٨	الخفيف	كُلُّ مَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الصَّعْبِ فِي الأَنْب— فُسٌ سَهْلٌ فِيهَا إِذَا هُوَ كَانَا
٤٣	البيسط	أَفْضَلُ النَّاسِ أَغْرَاضُ لَدَى الزَّمَنِ يَخْلُو مِنْ الهَمِّ أَخْ—لَاهِمٍ مِنَ الفِطَنِ
٦٣	الطويل	وَقَدْ عَلِمَ الرُّومُ الشَّقِيَّ—وَنَ أَنَا إِذَا مَا تَرَكْنَا أَرْضَهُمْ خَلَفْنَا عُدْنَا

الصفحة	البحر	القافية
٧٠	الطويل	وُصُفِي الَّذِي يُكْنَى أَبُو الْحَسَنِ الْهُوَيُّ وَتُرْضِي الَّذِي يُسَمَّى الْإِلَّاهُ وَلَا يُكْنَى
٧١	الكامل	فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا لِنَفْسٍ حُرَّةٍ بَلَغَتْ مِنَ الْعَلْيَاءِ كُلِّ مَكَانٍ
٧٨	المديد	فَلَيْتَهُ حَلَّى لَنَا طَرْفَنَا أَعَانَهُ اللَّهُ وَإِيَانَا
٩٣	الوافر	هَجَرْتُ الْحَمْرَ كَالذَّهَبِ الْمُصَفَّى فَحَمْرِي مَاءٌ مُزْنٌ كَاللَّجِينِ
٩٥	البيسط	تَفْنَى عِيٌّ وَوَهُمٌ دَمْعًا وَأَنْفُسُهُمْ فِي إِثْرِ كُلِّ قَبِيحٍ وَجْهَهُ حَسَنٌ
٩٨	البيسط	أَمَّا الثِّيَابُ فَتَعْرَى مِنْ مَحَاسِنِهِ إِذَا نَضَاهَا وَيَكْسَى الْحُسْنَ عُرْيَانَا
١٣٨	الكامل	الرَّأْيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشَّجْعَانِ هُوَ أَوَّلٌ وَهِيَ الْمَحَلُّ الثَّانِي
قافية الهاء		
١٣	الخفيف	دَانَ لَهُ شَرْفُهَا وَمَعْرِبُهَا وَنَفْسُهُ تَسْتَقِلُّ دُنْيَاهَا
٨٠	الوافر	لَعْنُ تَكُّ طِيءٍ لَكَأَنْتَ لِنَامًا فَأَلَامُهُ— رَبِيعَةٌ أَوْ بَنُوهُ
٨٧	الطويل	أَبِي خُلِقَ الدُّنْيَا حَبِيبًا تُدِيمُهُ فَمَا طَلَبِي مِنْهَا حَبِيبًا تَرُدُّهُ
٩٢	الطويل	وَفِي النَّاسِ مَنْ يَرْضَى بِمَيْسُورِ عَيْشِهِ وَمَرَّ كَوْبُهُ رِجْلَاهُ وَالثَّوْبُ جِلْدُهُ
١٠٣	الخفيف	كُلُّ مَهَاقَةٍ كَأَنَّ مُقْوَلَتَهَا تَقُولُ إِيَّاكُمْ وَإِيَاهَا
١٠٦	الخفيف	يَا حَادِيَّ عَيْسَهَا وَأَحْسَبِي أَوْجَدُ مَيْتًا قَبِيلَ أَفْقِدُهَا
١٣٧	الخفيف	أُحِبُّ حِمْصًا إِلَى خُنَاصِرَةٍ وَكُلُّ نَفْسٍ تُحِبُّ مَحْيَاهَا
قافية الياء		
١٣	الطويل	وَمِنْ قَوْلِ سَامٍ لَوْ رَأَيْتَ لِنَسْلِهِ فِدَى ابْنِ أَخِي نَسْلِي وَنَفْسِي وَمَالِيَا
١٥	الطويل	أُرِيكَ الرَّضَى لَوْ أَخَفَتِ النَّفْسُ خَافِيَا وَمَا أَنَا عَنْ نَفْسِي وَلَا عَنْكَ رَاضِيَا
٥٥	البيسط	غَيْرِي بِأَكْثَرِ هَذَا النَّاسِ يَنْخَدِعُ إِنْ قَاتَلُوا جَبُنُوا أَوْ حَدَّثُوا شَجَعُوا
٥٩	الطويل	خَلَقْتُ الْوَفَا لَوْ رَجَعْتُ إِلَى الصَّبَى لَفَارَقْتُ شَيْبِي مُوجِعَ الْقَلْبِ بِأَكْيَا
٧٥	الطويل	تَظُنُّ ابْتِسَامَاتِي رَجَاءً وَعَبْطَةً وَمَا أَنَا إِلَّا ضَاحِكٌ مِنْ رَجَائِيَا
٧٦	الطويل	وَعَيْرٌ كَثِيرٌ أَنْ يَزُورَكَ رَاجِلٌ فَيَرْجِعَ مَلَكًا لِلْعِرَاقِينَ وَالْيَا
٨٢	الطويل	وَتَعْجِبُنِي رَجُلًا فِي النَّعْلِ، إِنِّي رَأَيْتُكَ ذَا نَعْلٍ إِذَا كُنْتَ حَافِيَا
٨٧	الطويل	وَلِلنَّفْسِ أَخْلَاقٌ تَدُلُّ عَلَى الْفَقَى أَكَانَ سَخَاءً مَا أَتَى أُمَّ تَسَاخِيَا
١٦٤	الطويل	كَفَى بَكَ دَاءٌ أَنْ تَرَى الْمَوْتَ شَافِيَا وَحَسْبُ الْمَنَائِيَا أَنْ يَكُنَّ أَمَانِيَا

المراجع

١. أبو الطيب المتنبي . دراسة نحوية ولغوية للدكتور / محمد عزت عبد الموجود .
٢. أبو الطيب المتنبي دراسة في التاريخ الأدبي للدكتور ريجيس بلاشير ، ترجمة د. إبراهيم الكيلاني ، ط دار الفكر .
٣. أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين للدكتور / مصطفى الشكعة ، ط دار عالم الكتب .
٤. أبو الطيب المتنبي لجوزيف الهاشم ، ط دار الشرق الجديد .
٥. أبو الطيب المتنبي لمحمد كمال حلمي بك ، ط مكتبة سعد الدين .
٦. الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي للدكتور عبد القادر فيدوح ، ط دار صفاء للنشر والتوزيع .
٧. إمبراطور الشعراء للدكتور عائض القرني ، ط مكتبة العبيكان .
٨. بين الأنا والآخر في مدحيات المتنبي للدكتور عبد اللطيف الحديدي ، ط دار السعادة للطباعة .

٩. تفسير أبيات المعاني من شعر أبي الطيب المتنبي ، اختصار أبي المرشد سليمان بن علي المعري ، تحقيق د. مجاهد محمود الصواف ود. محسن غياض عجيل ، ط دار المأمون للتراث .
١٠. التفسير النفسي للأدب للدكتور / عز الدين إسماعيل ، ط مكتبة غريب .
١١. الحركة النقدية حول شعر المتنبي للدكتور / زكريا سعيد علي ، ط دار الثقافة العربية .
١٢. حقيقة النقد الثقافي للدكتور / مصطفى عبد الواحد
١٣. الحكمة في شعر المتنبي للدكتور / حسن علي قرعاوي ، ط دار عمار .
١٤. خزانة الأدب لعبد القادر البغدادي تحقيق عبد السلام هارون ، ط مكتبة الخانجي ، القاهرة .
١٥. خلاصة المتنبي للدكتور / عبد المجيد دياب ، ط دار سعاد الصباح .
١٦. الديوان ، شرح البرقوقي ، ط دار الكتاب العربي ببيروت
١٧. ديوان أبي الطيب المتنبي للدكتور عبد الوهاب عزام ، منشورات دار الشريف الرضي .
١٨. ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام لعبد الوهاب عزام ، ط دار المعارف بمصر
١٩. رؤية نفسية لروائع مختارة من الشعر العربي للدكتور / محمود محمد ميلاد ، ط دار عمار
٢٠. سنوات ضائعة من حياة المتنبي لهادي محمد الخفاجي ، ط شركة المطبوعات للتوزيع والنشر .
٢١. شرح ديوان أبي الطيب لأبي العلاء المعري ، تحقيق د. عبد المجيد دياب ، ط دار المعارف
٢٢. شرح ديوان أبي الطيب لمصطفى سبيتي ، ط دار الكتب العلمية .
٢٣. شرح شعر المتنبي لابن الإفليلي ، دراسة وتحقيق مصطفى عليان ، ط مؤسسة الرسالة .
٢٤. شرح مشكل شعر المتنبي لعلي بن سيدة الأندلسي ، تحقيق الدكتور / محمد رضوان الداية ، ط دار المأمون للتراث .

- ٢٥ . الشعر والشعراء لأبن قتيبة ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، ط دار الحديث بالقاهرة .
- ٢٦ . الصبح المنبي للشيخ يوسف البديعي تحقيق مصطفى السقا ومحمد شتا ، طبعة دار المعارف .
- ٢٧ . الصورة الفنية في شعر المتنبي للدكتور / منير سلطان ، الناشر : منشأة المعارف بالإسكندرية .
- ٢٨ . علم نفس الأدب للأستاذ الدكتور / مصري عبد الحميد حنورة ، ط دار غريب .
- ٢٩ . العوامل السياسية في شعر المتنبي لعصام السويفي ، ط دار الفكر اللبناني .
- ٣٠ . فن المتنبي بعد ألف عام لإبراهيم العريض ، ط دار العلم للملايين .
- ٣١ . في الميزان الجديد لمحمد مندور ، ط مكتبة نهضة مصر ، الطبعة الثالثة .
- ٣٢ . في الميزان الجديد لمحمد مندور طبعة مكتبة نهضة مصر الطبعة الثالثة .
- ٣٣ . القصيدة العباسية قضايا واتجاهات للدكتور / عبد الله العطاوي ، ط دار غريب .
- ٣٤ . قصيدة المديح عند المتنبي وتطورها الفني ، لأيمن محمد زكي العشماوي ، ط دار النهضة العربية ، بيروت .
- ٣٥ . فنائع المتنبي في الشعر العربي الحديث للدكتور / عبد الله أبو هيف ، ط المؤسسة العربية للدراسات والنشر .
- ٣٦ . كافوريات أبي الطيب للدكتور نعمان القاضي ، طبعة مركز كتب الشرق الأوسط .
- ٣٧ . لغة الحب في شعر المتنبي للدكتور / عبد الفتاح صالح نافع ، ط دار الفكر .
- ٣٨ . المبهات ودلالاتها الأسلوبية في شعر المتنبي لحميدة مناع العتري ، الناشر : رابطة الأدباء في الكويت .
- ٣٩ . المتنبي " رسالة في الطريق إلى ثقافتنا " للشيخ محمود شاكر ، مطبعة المدني بالقاهرة .
- ٤٠ . المتنبي الإنسان والشاعر بين أبي تمام وأبي فراس للدكتورة / نورة الشملان ، ط دار مصر .
- ٤١ . المتنبي دراسة جديدة لحياته وشخصيته للدكتور إبراهيم عوض .
- ٤٢ . المتنبي فارس الكلمة لعبد المحسن علي المطلق ، ط دار العلم للنشر .
- ٤٣ . المتنبي في مصر للدكتور / كمال عبد الباقي لاشين ، مطبعة الحسين الإسلامية .
- ٤٤ . المتنبي للدكتور / سمير محمد كبريت ، ط دار المعرفة ببيروت .

- ٤٥ . المتنبّي للدكتور / محمد حمود ، ط دار الفكر اللبناني .
- ٤٦ . المتنبّي للدكتور بكري شيخ أمين ، ط دار العلم للملايين .
- ٤٧ . المتنبّي للدكتور زكي المحاسني ، ط دار المعارف بمصر .
- ٤٨ . المتنبّي مالى الدنيا وشاغل الناس للدكتور محمد التونجي ، ط عالم الكتب .
- ٤٩ . المثل والتحول في شعر المتنبّي وحياته للدكتور / جلال الخياط ، ط دار الرائد العربي

بيروت

- ٥٠ . مجلة المورد العراقية ، ج ٦ ع ٣ ، ١٣٩٧هـ —
- ٥١ . مطالعات في الكتب و الحياة للعقاد ، ط دار المعارف في مصر .
- ٥٢ . مع شعراء الأندلس والمتنبّي لإميليو غرسيه غومث ، نقله على العربية د. الطاهر أحمد مكي ، ط دار المعارف .
- ٥٣ . المعجم المفصل في الأدب للدكتور / محمد التونجي ، ط دار الكتب العلمية ، ١٩٩٣ م .
- ٥٤ . مقدمة القصيدة عند أبي تمام والمتنبّي للدكتور / سعد إبراهيم شلي ، ط مكتبة غريب .
- ٥٥ . موازنة بين الحكمة في شعر المتنبّي والحكمة في شعر أبي العلاء المعري للدكتور / زهدي صبري الخواجا ، ط منشورات دار صبري للنشر .
- ٥٦ . النظام في شرح شعر المتنبّي وأبي تمام لأبن المستوفي ، تحقيق الدكتور / خلف نعمان ، ط دار الشؤون الثقافية ببغداد .
- ٥٧ . النقد الثقافي لعبد الله الغدامي ، ط المركز الثقافي العربي .
- ٥٨ . الواضح لأبي القاسم عبد الله بن عبد الرحمن الأصفهاني ، تحقيق محمد الطاهر بن عاشور ، ط الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٦ م .
- ٥٩ . الواضح للأصفهاني ، تحقيق محمد الطاهر بن عاشور ، ط الدار التونسية للنشر ، ١٩٦٨ م .
- ٦٠ . الوساطة بين المتنبّي وخصومه للقاضي علي عبد العزيز الجرجاني ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، وعلي محمد البجاوي ، ط المكتبة العصرية .
- ٦١ . وفيات الأعيان ، لابن خلكان تحقيق إحسان عباس ، ط دار الثقافة ، بيروت .

٦٢. يتيمة الدهر للثعالبي ، ط دار الكتب العلمية بيروت .